السجــون في مصــر في العصــر المملــوكـــي

(648- 923هـ/ 1250- 1517م)

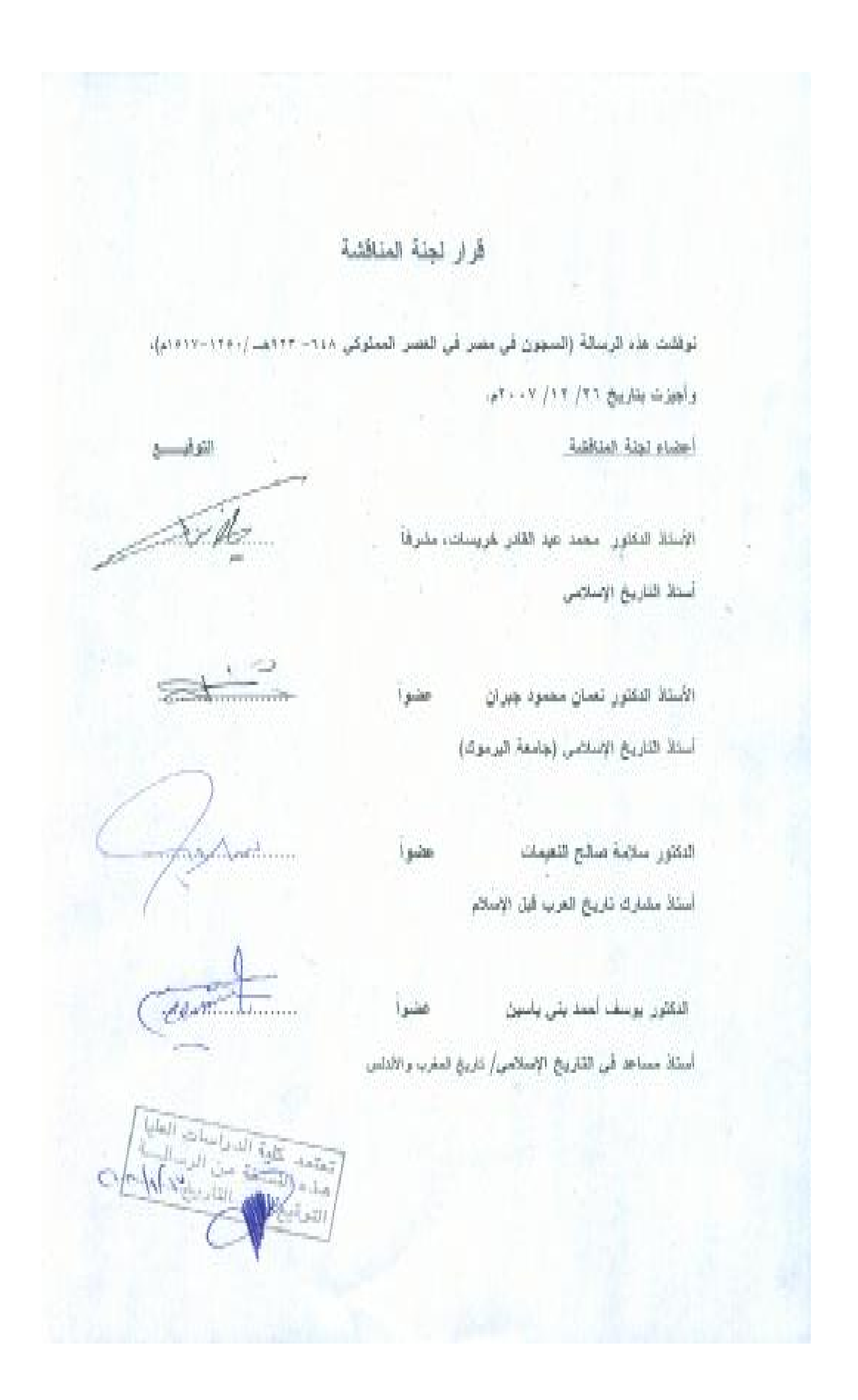
إعداد
هالـــة نواف يوســف الرفاعي

المشرف
الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريســات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليـــا
الجامعة الأردنية

كانون الثاني، 2008م



قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (السجون في مصر في العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)،

وأجيزت بتاريخ ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيــــع
الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات، مشرفاً أستاذ التاريخ الإسلامي		....
الأستاذ الدكتور نعمان محمود جبران أستاذ التاريخ الإسلامي (جامعة اليرموك)	عضواً	....
الدكتور سلامة صالح النعيمات أستاذ مشارك تاريخ العرب قبل الإسلام	عضواً	....
الدكتور يوسف أحمد بني ياسين أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي/ تاريخ المغرب والأندلس	عضواً	....

الإهداء

إلى من رعاني وساعدني، وأحاطني بكنفه.

إلى روح ابي الطاهرة أُهدي هذا العمل.

وإلى نبع الحنان والحب والتضحية، إلى الطيبة الرقيقة: أمي الغالية.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، وأخص بالـذكر الأستاذ الدكتور محمد خريسات الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي، فأشكره على ما قدمه لي من عون ومساعدة طوال فترة بحثي، حيث لم يبخل عليّ يوماً بعلمه ومعرفته، فقد كان لـي معلماً، ومرشداً، ومشرفاً، كما تجسدت فيه المعاني والقيم الإنسانية النبيلة بكل مـا تحملـه هـذه الكلمات من دلالة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى عضو لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور نعمان جبران الذي رفدني بالمعلومات القيمة التي تتعلق بموضوع رسالتي، وكان كعادته لا يفصل في تعاملـه بين واجبه العلمي وبين واجبه الإنساني.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى باقي أعضاء لجنة المناقشة، وهم: الدكتور سـلامة النعيمات، والدكتور يوسف بني ياسين على ملاحظاتهم المهمة التي قدموها.

وأخيراً أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور عصام عقلة، والدكتور أيمن التميمي، ومحمد علي الطعاني، وصهيب غزلان، وموظفي مكتبتي الجامعة الأردنية، وجامعـة اليرمـوك وأخص بالذكر موظفي قسم الإرشاد .

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

إدارة السجون وأنظمتها الداخلية

الفصل الثالث

فئات السجناء في العصر المملوكي

الفصل الرابع

أحوال المساجين

قائمة الاختصارات

ت	توفي
ج	جزء
خ	الخلافة الأولى
خ 2	الخلافة الثانية
خ 3	الخلافة الثالثة
د. ت	دون تاريخ نشر
د. م	دون مكان نشر
د.ن	دون ناشر
س 1	السلطنة الأولى
س 2	السلطنة الثانية
س 3	السلطنة الثالثة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ق	قسم
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
p	page
PP	Page to page

السجون في مصر في العصر المملوكي
648 - 923هـ/ 1250/ 1517م

إعداد
هالة نواف يوسف الرفاعي

المشرف
الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

ملخـــــــــص

تناولت هذه الدراسة موضوع السجون في مصر في العصر المملوكي من خلال تمهيد وأربعة فصول. فاحتوى التمهيد على تعريف مفهوم السجن، ولمحة تاريخية عن السجون، اشتملت على تعريف السجن الشرعي، وتطور السجون منذ عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى بداية العصر المملوكي.

وتناول الفصل الأول موضوع السجون مفردة البناء من حيث مواقعها، وأنواع المساجين فيها، وما آل إليه حالها من هدم أو إغلاق. والسجون المرفقة بمنشآت الدولة كسجون القلاع والأبراج المفردة، بالإضافة إلى السجون الخاصة ومواقع الترسيم.

أما الفصل الثاني فتناول موضوع إدارة السجون، والأنظمة الداخلية فيها، وتحت موضوع إدارة السجون تم عرض مواضيع التبعية الإدارية للسجون، وموظفو السجون، ومالية السجون. وضمن عنوان الأنظمة الداخلية تم عرض مواضيع سجلات السجون، وعمليات الكشف على المساجين، وعمليات نقل المساجين، وطرق وأدوات تقييد المساجين، وعمليات الإفراج عن المساجين. كما تم في هذا الفصل الحديث عن تأثير الأوضاع السياسية والأمنية على السجون.

وتناول الفصل الثالث فئات السجناء في العصر المملوكي، ضمن فئات أربع، وهم: سجناء القضايا السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والفكرية. وتناول موضوع سجناء القضايا السياسية حوادث سجن الخلفاء العباسيين، والسلاطين المماليك، والملوك والأمراء الأيوبيين،

ومدبري الثورات وحركات العصيان، وعربان مصر والشام، وأمراء الحجـاز وحكـام الـيمن. بالإضافة إلى فئة الأمراء والمماليك (الأجناد). وتمت دراسة موضوع سجناء القـضايا الإداريـة ضمن عدد من القضايا الإدارية كالتزوير والتجاوزات الخاصة بالقضاة، والتعدي علـى أمـوال الدولة، وارتباط هذه القضية بظاهرة المصادرات. وتمت دراسـة موضـوع سـجناء القـضايا الاجتماعية ضمن قضايا القتل والسرقة، والبغاء، والاحتيال. أما ضمن القضايا الفكرية فقـد تـم البحث في ظروف سجن الشيخ ابن تيمية.

أما الفصل الرابع فتناول مواضيع متعددة تحت عنوان أحوال المساجين، فتم وصف بيئة السجن وانتشار الأمراض داخل السجون، والحالة النفسية للمساجين، مع ذكر أمثلة على حوادث الانتحار داخل السجون. كما تم عرض الخدمات المقدمة للمساجين، وحالات الوفاة داخل السجن مع أمثلة توضح مراسيم دفن بعض المساجين. بالإضافة إلى عرض ظاهرتي تسول المـساجين، واستخدام المساجين. وعرض أيضاً حوادث الهروب من السجون، ووسائل تعـذيب المـساجين. وأخيراً عرض في الفصل أماكن النفي خلال العصر المملوكي.

المقدمة

إنَّ لمفهوم السجن في أذهان البشر صورة لا يمكن أن تتغير، ولا يمكن أن تتطــور إلــى الأفضل، رغم تطور الحياة، فهو في المجتمعات البدائية والمتحضرة مكــان الحجــز والحــصر والتقييد، وربما القتل.

ومن هنا فإن السجن كبناء لا يشكل موضعاً ذا قيمة، يحرص المؤرخــون والجغرافيــون على وصف تصاميمه. ولا يعتبر المساجين فئة تستحق البحث في أخبارها، باستثناء المــشاهير منهم.

لذا فإن أهم ما جاءت به المصادر حول السجون في العصر المملوكي كان لمحــات عــن سجن شارك مساجينه في الأحداث السياسية، أو كان ذكره ضرورةً يقتــضيها عــرض ســيرة المشاهير من السجناء وهذا هو النوع الأول من المادة التاريخية.

أمّا النوع الثاني فيتمثل بالتعريف بالسجن كموضع أخذ حيزاً في بناء المدن، وتخطيطها، استدرك المؤلف ارتباطه بما حوله من أبنية فعرفه بشكل موجز، ولكنه على قــدر كبيــر مــن الأهمية. وينطبق ذلك على ما جاء به المقريزي في الخطط.

وجاء النوع الثالث من المادة التاريخية متناثراً، مبتــوراً، وغامــضاً، اقتــضى التحليــل والتخمين والقدرة على التوظيف في المكان المناسب وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً في المصادر المملوكية.

إن شكل وحجم المادة التاريخية الموجودة في المصادر بالإضافة إلى غموضها أثر بــشكل كبير في إهمال دراستها، فبقي موضوع السجون في العصر المملوكي مجهولاً للكثيرين، خاصة فيما يتعلق بأسماء السجون ومواقعها، وطرق إدارتها، وأوضاع المساجين فيها. فتطلب الأمر من الباحثة الإحاطة بالمصادر وقراءَتها بدقة وجمع ما تناثر من معلومات وربطها ببعضها البعض.

إن عدم وجود أسس واضحة لتقسيم السجون كمواقــع فــي المــصادر المملوكيــة وفــي الدراسات الحديثة، دفع الباحثة إلى اعتماد نهج خاص في تقسيمها. وهو التقــسيم علــى أســاس استقلالية بناءها. فتم اعتماد مصطلح السجون مفردة البناء لما جاء منفصلاً عن منــشآت الدولــة وذلك تمييزاً لها عن أخرى تابعة لمنشآت الدولة كسجون الابراج والقلاع.

هذا مع محاولة الباحثة تحديد الموقع الدقيق للسجون بالنسبة للمدن الواقعة فيها بالإضـــافة إلى عرض بعض السجون تبعاً للعرف السائد وتوزيع السلطات في العصر المملـــوكي ويقـــصد بذلك السجون الخاصة ومواقع الترسيم، فتم التعريف بالترسيم وتوزيع السلطات كما تـــم تحديـــد منشآت الدولة التي كانت تتم بها عمليات الترسيم.

وقد ترتب على هذا التقسيم ضرورة تحديد تبعية أحد أشهر السجون في الدولة المملوكيـــة وهو سجن الإسكندرية، ونظراً لغموض واختلاط المعلومات وتضاربها حول هذا السجن وضعت الباحثة افتراضاً بأنه برج أو أكثر من أبراج مدينة الإسكندرية. وأوردت ما يدل على ذلـــك مـــن خلال المصادر المملوكية والدراسات الأثرية الحديثة.

أما فيما يتعلق بموضوع إدارة السجون وأنظمتها الداخلية، وأوضاع المساجين فيها، فقـــد اعتمدت الباحثة على تحليل الروايات وتوظيفها في أكثر من موضع لتعويض النقص في المـــادة التاريخية.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول:

احتوى التمهيد على تعريف لمفهوم السجن بالإضافة إلى لمحة تاريخية تضمنت التعريف بمفهوم السجن الشرعي زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالإضافة إلى لمحة عن السجون في مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين.

وتناول الفصل الأول من هذه الدراسة موضوع بناء السجون خلال العـــصر المملـــوكي، وفيه عرض للسجون مفردة البناء ومواقعها بالنسبة للمدن الواقعة فيها، وما آل إليه حالهـــا مـــن هدم أو إغلاق. بالإضافة إلى عرض السجون المرفقة بمنشآت الدولـــة، فـــتم التعريـــف بهـــذه المنشآت، مثل قلعة الجبل، وأبراج الإسكندرية، كما تم اعتماد مفهوم السجن الرئيـــسي للإشـــارة إلى مكان خاص داخل القلعة اتخذ بشكل واضح مكاناً للسجن، وتم تسليط الضوء على نوع مـــن السجون له أهمية كبيرة، وهو سجون الجباب، كما تم تحديد مرافق قلعة الجبـــل التـــي اتخـــذت كمواقع للسجن.

وكذلك فقد احتوى الفصل الأول على مواقع السجون الخاصة، وأماكن الترسيم. وقد بينت الباحثة فيه أسباب انتشار مواقع الترسيم، وكذلك السجون الخاصة داخل الدولة.

أما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان إدارة السجون وأنظمتها الداخلية، فقد بينــت الباحثــة فيه التبعية الإدارية للسجون وموظفي السجون، والعمال فيها، كما تحدثت عن مالية السجون من حيث مصادر الإنفاق على المساجين، وأشكال الإنفاق. كما تم الحديث عــن الأنظمــة الداخليــة للسجون، كسجلاتها، وعمليات تفقد المساجين، ونقلهم والإفراج عنهم، وتأثير الأوضاع الــسياسية على السجون.

وفي الفصل الثالث تناولت الباحثة فئات السجناء في العصر المملوكي حيث تــم تقــسيمهم إلى فئات أربع وهي: سجناء القضايا السياسية، والإدارية، والاجتماعية والفكرية. ونظراً لارتباط حوادث سجن الفئتين الأولى والثانية بالأوضاع السياسية والإدارية في العصر المملوكي بأكملــه؛ فقد تم التركيز على عرض الحدث المباشر الذي سبق عملية السجن، والتركيــز علــى موضــع السجن مع عدم إهمال ظاهرة تغيير مكان السجن لنفس السجين. وتم إيراد ذلك بشكل متتابع عند عرض أخبار السجناء.

وجاء الفصل الرابع من هذه الدراسة للحديث عن أحوال المساجين فتضمن استعراض بيئة السجن والحالة النفسية للمساجين بما في ذلك حوادث الانتحار داخل السجون والخدمات المقدمــة للمساجين، وعمالة المساجين داخل السجون، وظاهرة استخدام المــساجين، وحــالات وطــرق الهروب من السجن، وحالات الوفاة ومراسيم الدفن، بالإضافة إلى عمليات نفي المساجين.

التمهيد

تعريف السجن وأحوال السجون قبل الدولة المملوكية

أولاً: تعريف السجن

ثانياً: تطور السجون منذ عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى بداية العصر المملوكي

أ- السجون في عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم-

ب- السجون في عصر الخلفاء الراشدين

ج- السجون في العصر الأموي

د- السجون في العصر العباسي

هـ- السجون في العصرين الطولوني والإخشيدي

و- السجون في العصر الفاطمي

ز- السجون في العصر الأيوبي

أولاً: تعريف السجن

- السجن لغةً واصطلاحاً:

السِّجن لغةً: الحبس[١]، والسِجن بكسر السين المَحْبِس وهو اسم يعني مكان السجن، أما السَجن بفتح السين فهو مصدر الفعل سَجَنَ[٢]، وسَجَنَه يَسْجُنَه سَجْناً أي حبسه، والسَّجانُ صاحب السِّجن، ورجل سَجِينٌ. أي مَسْجُون والجمع سُجَناء وسَجْنى.[٣] ويقصد بالحبس المنع والإمساك.[٤] وهو ضد التخلية.[٥] وحَبَسَه يَحْبِسُه حَبْساً فهو مَحْبُوس وحَبِيسٌ، واحتبسه اتخذه سجيناً.[٦]

أما اصطلاحاً فالسجن: هو الموضع الذي تنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين، حيث يتم اعتقالهم لمدة معينة، أو مؤبدة، أو لتنفيذ عقوبة الإعدام، والسجون غالباً أماكن حرجة ضيقة[٧]، وليس من لوازم السجن أو الحبس الجعل في بنيان خاص مُعدٍ لذلك، بل الربط بالشجرة حبس، والجعل في البيت حبس[٨].

- الألفاظ ذات الصلة بمفهوم السجن:

- **الأسر**: هو الربط والشد بالقيد، والإسار ما يُشّدُ به، ومنه سمي الأسير وكانوا يشدونه بالقِدّ، فسُمّي كل أخيذ أسيراً وإن لم يشد به [٩].
- **الاعتقال** : اعْتُقِلَ الرجلُ حُبِسَ[١٠]، وعَقَّلَه واعْتَقَلَه: ثنى وظِيفَه مع ذراعه وشَدَّهما جميعاً في وسط الذراع، والعِقالُ: هو الرِّباط الذي يُعْقَل به، وجمعه عُقُل[١١].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة سَجَنَ.
(٢) الجوهري: الصحاح، مادة السجن؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة سجن؛ التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 5.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة سجن.
(٤) الموسوعة الفقهية، ج16، مادة حبس.
(٥) الجوهري: الصحاح، مادة حبس؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة حبس؛ التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 5.
(٦) ابن منظور: لسان العرب، مادة حبس.
(٧) الحصري: السياسة الجزائية، ص ص 388- 389؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص16. وانظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص5.
(٨) الموسوعة الفقهية، ج16، مادة حبس.
(٩) الجوهري: الصحاح، مادة أسر. وانظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 7.
(١٠) الجوهري: الصحاح، مادة عقل؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة عقل. وانظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 7.
(١١) ابن منظور: لسان العرب، مادة عقل. وانظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 7.

- **الحصر**: هو ضيق الصدر، يقال: حُصِرت صدورهم، أي ضاقت.[١] والمحصور: المحبوس، وحُصِرَ في الحبس إذا حبسه السلطان أو قاهر مانع، وإذا حُبس الرجل فقد حُصِر.[٢]
- **الصبر**: أصل الصَّبْر الحبس، وكل من حَبَس شيئاً فقد صَبَرَه، والصبر: نَصْب الإنسان للقتل، فهو مصبور، وصَبْر الإنسان على القتل: نصبه عليه[٣].

ومن المفاهيم الأخرى للسجن: (السجن الشرعي) الذي ظهر زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – (والترسيم)[٤] الذي انتشر خلال العصر المملوكي.

أما السجن الشرعي: فهو ليس السجن في مكان ضيق فحسب، وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت، أو مسجد، أو يتولى الخصم، أو وكيله، ملازمته له، ولهذا أسماه النبي - صلى الله عليه وسلم- أسيراً[٥]. فليس من لوازمه الجعل في بنيان خاص مُعَدٍ لذلك.[٦]

وقد بين الكاساني بأن منع الشخص من التصرف بنفسه يعني منعه من الخروج في أشغاله ومهماته، وإلى الجُمَع والجماعات، والأعياد، وتشييع الجنائز، وعيادة المرضى، والزيارة، والضيافة.[٧]

أما خصائص السجن الشرعي فيمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: عدم خروجها عن معنى مراقبة المسجون بهدف منعه من التصرف أو العودة لمثل جريمته، حيث يتحقق ذلك بتعويق الشخص وإمساكه في بيت، أو مسجد، أو ملازمته بواسطة خصمه، أو وكيله.[٨]

---

(١) الجوهري: الصحاح، مادة حصر. وانظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 8.
(٢)ابن منظور: لسان العرب، مادة حصر.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة حصر. وانظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص ص 7- 8.
(٤) سيأتي بيان معنى الترسيم ضمن الحديث عن السجون الخاصة ومواقع الترسيم في صفحة (65) من هذه الدراسة.
(٥) القرافي: الفروق، ص ص 135- 136؛ ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية، ص 102؛ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص 169؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 187؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج1، ص 24؛ عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام، ص 252.
(٦) الموسوعة الفقهية، ج16، مادة حبس.
(٧) الكاساني: بدائع الصنائع، ج7، ص 174.
(٨) البغدادي: السجون في مصر، ج7، ص 16.

ثانياً: تحديد مدة السجن، وهذه المدة تُحدَّدُ بتحقيق الغاية من سجن الشخص، فقد تكون بتوبته، أو استيفاء عقوبته، أو قيامه بسداد دينه(١).

وفيما يتعلق بلفظ الإمساك الذي جاء في قوله تعالى: "**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموتُ أو يجعل الله لهن سبيلاً**"(٢).

وإن كان الإمساك هذا يشكل نوعاً من الحد من الحرية، إلا أنه لا يعتبر سجناً بالمعنى المعروف(٣).

لقد استنبط الفقهاء تعريفهم للسجن الشرعي من خلال صفة السجن زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم- فقد روى أبو داوود: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم- حبس رجلاً في تهمة"(٤). كما حبس عليه الصلاة والسلام رجلاً اعتق شركاً له في عبد فوجب عليه إتمام عتقه(٥).

وسمح عليه السلام بأن يلزم المدين دائنه فعن قائل: "أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم- بغريم لي، فقال لي: ألزمه. ثم قال لي: يا أخا بني تميم، ما تريد أن تفعل بأسيرك"(٦).

---

(١) البغدادي: السجون في مصر، ص 16.
(٢) سورة النساء: آية 15.
(٣) روزنثال: مفهوم الحرية، ص 43.
(٤) أبو داوود: السنن، كتاب الأقضية، رقم (3630). وانظر: السرخسي: المبسوط، ج2، ص 88.
(٥) القرافي: الفروق، ج4، ص 136. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أعتقَ شِركاً له في عبد أقيم عليه بقيمة عدل، فأعطى شركاءه حصصهم إن كان له من المال ما يبلغ ثمنه، وَعَتَق عليه العبد، وإلا فقد عَتَقَ منه ما عَتَقَ" . انظر: ابن ماجه: السنن، كتاب العتق، ج2، رقم (2528).
(٦) أبو داوود: السنن، كتاب الأقضية، رقم (3629). وانظر: القرافي: الفروق، ص 136؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ص 247.

ثانياً: تطور السجون منذ عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم- حتى بداية العصر المملوكي

أ- السجون زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

ورد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه حبس في إحدى سواري المسجد، كما روى البخاري: "بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - خيلاً قِبَلَ نَجْد، فجاءت برجلٍ من بني حَنِيفة يقال له: ثُمامه بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: أطلقوا ثمامه، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**"[(١)].

ومما سبق يمكن القول أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لم يتخذ سجناً أو مكاناً معيناً بذاته للحبس[(٢)].

ب- السجون في عصر الخلفاء الراشدين:

في عهد الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- كانت مواقع السجن مشابهة لما استخدم زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم- فلم يتخذ أبو بكر –رضي الله عنه- سجناً معداً لحبس الخصوم.[(٣)] أما الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- فقد اتخذ أول الأمر الآبار لإجراء عقوبة السجن[(٤)]، وعندما اتسعت الدولة، وظهرت الحاجة إلى مبنى قائم بذاته. لِيُستخدم سجناً، اشترى عمر من صفوان بن أمية داراً بمكة، بأربعة آلاف درهم استخدمها كسجن.[(٥)]

ومن الأهمية هنا الإشارة إلى عملية اتخاذ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- لهذا السجن بالنسبة للفقهاء، حيث اعتبر سابقة تبيح اتخاذ السجون من قبل الحكام[(٦)] ودليلاً على جواز ذلك[(٧)].

---

(١) البخاري: الصحيح، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد، ج1، رقم (462). وانظر: الكتاني: التراتيب الإدارية، ج1، ص 245.

(٢) التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 28.

(٣) القرافي: الفروق، ص 136؛ ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية، ص ص 102- 103؛ محمود: السجون بين الأمس واليوم، ص 117؛ الحمداني: السجون في الإسلام، ع 201، ص 135؛ التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 21.

(٤) الكتاني: التراتيب الإدارية، مج1، ص 248.

(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج1، ص 248؛ البستاني: دائرة المعارف، مج 9، ص 509؛ الرحيم: السجون في مصر، ص 295.

(٦) ابن قيم الجوزية: الطرق الحكيمة، ص103.

(٧) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص 169.

أما الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه- فقد استخدم السجن الذي اشتراه عمر - رضي الله عنه-،[١] كما حَبَسَ في حصن في خيبر مقام على جبل يدعى القموص[٢].

وإذا كان الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- أول من اتخذ سجناً، فإن الخليفة علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- أول من بنى سجناً في الإسلام،[٣] فقد أقام سجناً في الكوفة جعل بناءه من القصب، ولما نقبه اللصوص بناه من الطين والحجارة.[٤]

إضافة إلى السابقة في البناء كان علي - رضي الله عنه- أول من خصص نفقات للمساجين تدفع من بيت مال المسلمين[٥].

ج- السجون في العصر الأموي:

تطورت السجون تبعاً للتطور الإداري الذي شهده العصر الأموي، من حيثُ الإشرافُ عليها، وحراستها، والعناية بأمور المساجين، كما ارتبطت بالظروف السياسية في الدولة وذلك من حيث ازدياد أعداد المساجين.

ويعتبر الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من أوجد السجن بمعناه المعروف، وخصص الحرس لحراسته، وجعله داخل أبنية خاصة في مواقع هامة من الدولة[٦]، حيث اشتملت دار الإمارة أو قصر الخضراء بدمشق على الحبوس والشرطة[٧].

وتظهر العناية الواضحة بأمور المساجين في العصر الأموي من خلال الديوان الذي أوجده الخليفة عمر بن عبد العزيز للإشراف على السجون[٨].

---

(١) الطبري: تاريخ، ج4، ص 402.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ج2، ص 395.

(٣) الرحبي: فقه الملوك، ج2، ص 240. وانظر: الكتاني: التراتيب الإدارية، ج1، ص 247؛ الحمداني: السجون في الإسلام، ص 135.

(٤) للمزيد انظر: الرحبي: فقه الملوك، ج4، ص 240؛ التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 27.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ص 149- 150.

(٦) عاشور: نظم الحكم والإدارة، ص 462؛ التميمي: السجون في العصر العباسي، ص ص 30- 31. وما في المتن توضيح لرأي المقريزي من أن معاوية أول من وضع السجن والحرس. انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 187.

(٧) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص 261.

(٨) أبو يوسف: الخراج، ص ص 150- 151.

أما ارتباطها بالظروف السياسية، وازدياد أعداد المساجين فقد ظهر من خـلال الـسجون التي اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان ومن بعده ابنه الوليد حيث اشتهرت سجونه بضيقها، وازدحامها بالمساجين[١].

د - السجون في العصر العباسي:

تنوعت السجون خلال العصر العباسي، وكثر عددها بسبب اتساع رقعة الدولة، وتـشابك الأحداث السياسية، والعسكرية من ثورات، وحركات عصيان.

ومن أشهر السجون العباسية – ولم يكن أقدمها - سجن المطبق فـي بغـداد، الـذي بنـاه الخليفة أبو جعفر المنصور مع بدء وضع أساس مدينة بغداد، وانتهى منه مع الانتهاء من بنائهـا سنة 146هـ/ 763م، وقد امتاز هذا السجن بمتانة البناء، ودقة التصميم، حيـث احتـوى علـى طوابق وحجرات متعددة فمنها الواسعة، ومنها ما هو بحجم الشخص، ومنهـا مـا كـان تحـت الأرض، أسفل منها آبار فوقها قباب، يُدلى فيها من يراد التضييق عليه، كما وزع فيها المساجين تبعاً لجرائمهم[٢].

أما عن السجون التي اتخذت بعد سجن المطبق، فهي سجن باب الشام، والـسجن الجديـد ببغداد، وسجن بستان موسى،[٣] بالإضافة إلى سجني سامراء اللذين بناهمـا المعتـصم. وهمـا (الحبس الكبير أو مطبق سامراء)، والسجن الجديد، والذي بُنِيَ لاستيعاب أعـداد إضـافية مـن السجناء ممن ضاق بهم مطبق سامراء[٤].

وَوُجِدَ نوعٌ خاصٌ من السجون تميزت به الدولة العباسية وهو سجون المطامير،[٥] وقـد استمدت هذه السجون أهميتها من الموقع وطريقة البناء، بالإضافة إلى إشراف الخلفـاء بـشكل مباشر على بنائها.

---

(١) الرحيم: السجون في مصر، ص 296؛ الحمداني: السجون في الإسلام، ص 135.
(٢) التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 58.
(٣) المنجد: سجون بغداد، مج 13، ع 641، ص 1122؛ التميمي: السجون في العصر العباسي، ص ص 55-60.
(٤) التميمي: السجون في العصر العباسي، ص ص 62- 63..
(٥) المطامير: من طَمَرَ، وطمر البئر دفنها، وطمر الشيء خبأه حيث لا يدري. والمطمورة: حفيرة أو مكـان تحت الأرض هيئ خفية يطمر فيه الطعام والمال أي يخبأ . ابن منظور: لسان العرب، مادة طَمَرَ. وانظـر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 63، حاشية (2).

وكانت مباني المطامير تحت الأرض، ينفذ إليها من خلال سراديب أو دهاليز، وقد بنيت داخل دار الخلافة، مما يوفر لها حراسة كاملة فتكون بعيدة عن هجمات الثوار، كذلك تعطى عمليات السجن فيها طابع السرية، بعيداً عن أعين الناس، ويُعَتَبَرُ الخليفة المعتضد بالله أول من أمر ببناء هذه المطامير، ووضع تصاميمها[١].

هـ - السجون في العصرين الطولوني والإخشيدي:

خلال العصر الطولوني انتشرت السجون المقامة تحت الأرض ومن أشهرها سجن المطبق[٢].

وقد تأثرت السجون بسياسة أحمد بن طولون؛ فبحكم إكثاره من العيون والعسس داخل الدولة[٣]، أدخل هؤلاء إلى السجون لمراقبة المساجين داخل السجن، ونقل أخبارهم إليه[٤]. وتبعاً لسياسته في عدم ميله للعفو عن المساجين،[٥] كانت عمليات الإفراج نادرة فذُكر "أنه مات في حبسه ثمانية عشر ألفاً"[٦] منهم.

أما عند الإخشيديين فقد انتشرت ظاهرة الترسيم، بسبب كثرة المصادرات التي تعرض لها كبار الموظفين في الدولة، وخاصة في وزارة جعفر بن الفرات[٧]، فاستُخْدِمَت دورُ الأعيان أو موظفي الدولة[٨] للترسيم على المصادرين.

و - السجون في العصر الفاطمي:

اتخذ الفاطميون سجوناً مفردة البناء، ومواقع للسجن مرفقة بمنشآت الدولة، وقد اختلفت طبيعة السجناء في كل موقع، ويعتبر سجن خزانة البنود من أشهر السجون الفاطمية في القاهرة،

---

(١) التميمي: السجون في العصر العباسي، ص ص 63- 65.
(٢) رمضان: المجتمع في مصر، ص 64.
(٣) المقريزي: الخطط، ج1، ص 594.
(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 405، 406؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 243؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 72.
(٥) البغدادي: السجون في مصر، ص 71.
(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص 17؛ رمضان: المجتمع في مصر، ص 346.
(٧) البغدادي: السجون في مصر، ص ص 68 - 70. حول جعفر بن الفرات. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص 204.
(٨) حول الأمثلة على ذلك. انظر: الكندي: الولاة، ج7، ص ص 517- 518، المقريزي: الخطط: ج2، ص 156؛ البغدادي: السجون في مصر، ص ص 69 - 70.

أُودع فيه الأمراء، وكبارُ موظفي الدولة والأعيان،[١] ولهذا السجن أهمية كبيرة كونه استخدم في هذه الفترة، وفي الفترة الأيوبية، ووصولاً إلى الفترة المملوكية.

إضافة إلى سجن خزانة البنود اتخذ الفاطميون سجنين حملا اسم سجن المعونة، وكانا في موضعين:

الأول: في الفسطاط، ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية من جامع عمرو بن العاص[٢]، وكان قبل ذلك منزلاً لسكن الولاة بعد الفتح الإسلامي لمصر، ثم صار داراً للشرطة في العصر العباسي، وظل كذلك حتى جعله أحد ولاة الشرطة في العصر الفاطمي وهو: يانس العزيزي سجناً فقط، وذلك سنة 381هـ/ 991م[٣] وفي هذا العصر استخدم لسجن الولاة[٤].

بقي هذا السجن قائماً طوال العصر الفاطمي، وكانت تُنفَّذُ فيه عقوباتُ التعذيب والقتل[٥]، حتى هدمه صلاح الدين الأيوبي سنة 566هـ/ 1170م أثناء وزارته للعاضد الفاطمي، وأقام مكانه مدرسة للفقهاء الشافعية، وسميت بالمدرسة الناصرية نسبة إليه[٦].

أما الثاني: ففي القاهرة، واختص بسجن المجرمين والسراق وقطاع الطرق[٧]، واستُخدِمَ في الفترة الأيوبية وفي الفترة المملوكية .

ومن السجون التي استخدمها الفاطميون منشآت الدولة كالقصور ودار الوزارة[٨]، فقد

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188.
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187. وانظر: زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 16. وانظر: ملحق رقم (4)، (10). - الفسطاط: ويطلق عليها اسم مصر العتيقة، كما يطلق عليها اسم مصر تمييزاً لها عن القاهرة، بنيت بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة 20هـ/ 640 م على يد عمرو بن العاص للمزيد: أنظر: محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص ص (35- 37)، (388- 389)، 494؛ مصيلحي: تطور العاصمة المصرية، ص ص 81- 83؛ جومار: وصف مدينة القاهرة، ص ص 25- 35، 330؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 14- 15، 22، 34- 41. وانظر: ملحق رقم (5).
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 187- 188. وانظر: زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 16.
(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187.
(٥) البنداري: سنا البرق، ص 57.
(٦) البنداري: سنا البرق، ص 57؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 81؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 16. – الخليفة العاضد بالله أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الخليفة الحافظ بالله. آخر الخلفاء الفاطميين. للمزيد: انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 319.
(٧) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188.
(٨) دار الوزارة: بنيت في العصر الفاطمي على يد الأفضل بن بدر الجمالي ولم يشغلها الوزراء الفاطميون إلا منذ زمن الوزير مأمون البطائحي، نزل فيها صلاح الدين عندما وزر للخليفة الفاطمي العاضد، وبعد أن تولى السلطنة نزل بالقصر ثم نزل بها وتبعه في ذلك الملوك الأيوبيون حتى سكنت القلعة انظر: المقريزي:

سُجن الخليفة الحافظ لدين الله[١] في قصره مقيداً على يد الوزير أبو علي بن الأفضل إلى أن قتل الوزير سنة 526هـ/ 1131م. وفي القصر نفسه قام الحافظ بسجن الوزير رضوان بن الولخشي إلى أن تمكن من الفرار سنة 542هـ/ 1147م[٢]، وسجن في دار الوزارة ولأكثر من مرة بطريرك الكنيسة القبطية زمن الخليفة الظافر بأمر الله بسبب اعتراضه على تدخل الوزير في مسألة تعيين المطران القبطي في بلاد الحبشة.[٣]

ز- السجون في العصر الأيوبي:

اتخذ الأيوبيون سجوناً مفردة البناء، ومواقع للسجن مرفقة بمنشآت الدولة. كما أجروا عمليات سجن في القصور وبيوت القادة والأمراء.

أما عن السجون المفردة فمنها: سجن خزانة شمائل الذي ينسب إلى علم الدين شمائل والي القاهرة أيام الملك الكامل محمد بن العادل، وقد اختص بحبس أرباب الجرائم[٤]، وارتبط وجوده بالجهود التي بذلها الأيوبيون لتتبع السارقين وقطاع الطرق[٥].

إضافة إلى سجن شمائل بنى الأيوبيون سجن (الصيّار) في الفسطاط، وعرف بهذه التسمية نسبة إلى رجل اسمه منصور الصيّار، كان يبيع أنواع الصير من السمك المعروف بالملوحة بدكان عند رأس الزقاق الذي بني فيه هذا السجن، وعرف أيضاً بحبس الولاة[٦].

= الخطط، ج2، ص 416؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص131؛ جومار: وصف مدينة القاهرة، ص 228؛ حاشية (3).

(١) الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد (524- 544هـ/ 1130- 1490م). انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص ص 525- 535.

(٢) البغدادي: السجون في مصر، ص 78. حول أخبار الوزير أبو علي. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 242.- رضوان بن الولخشي: تولى الوزارة للحافظ من سنة 531هـ/ 1136م حتى سنة 533هـ/1138م للمزيد: انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 272.

(٣) البغدادي: السجون في مصر، ص 79. - الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله. (544هـ- 1149م/ 1149- 1154). انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 280.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 16. علم الدين شمائل: قدم إلى القاهرة من إحدى قرى حماة بالشام وحظي عند الملك الكامل بسبب شجاعته وتتبعه لأخبار الفرنج عندما غزوا دمياط سنة 615 هـ، فأعطاه لقب أمير جاندار وجعله أكبر أمرائه ثم ولاه القاهرة. انظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص 188. وانظر: مبارك، الخطط التوفيقية، ج 2، ص 128.

(٥) البغدادي: السجون في مصر، ص 81. - الكامل محمد: ناصر الدين بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي. توفي بدمشق سنة 635هـ/ 1237م. للمزيد: أنظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 201، 206.

(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 81؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 16.

كما وجد سجن المعونة "بالقاهرة" والمخصص للمجرمين المحكوم عليهم بالسجن، وعلى الرغم من استمرار بقائه مع سجن خزانة البنود، وهو السجن السياسي خلال العصر الأيوبي(١)، إلا أنه جرى إهمال السجنين(٢)؛ ليعاد استخدامهما مع خزانة شمائل خلال العصر المملوكي.

أما عن مواقع السجن المرفقة بمنشآت الدولة، فمنها مرافق قلعة الجبل وسجن القلعة، ففي مرافق القلعة سَجَنَ الأيوبيون ذرية الخلفاء الفاطميين(٣)، ومنهم بدر الدين داوود بن الخليفة العاضد الذي سُجِن زمن السلطان الكامل، وتوفي مسجوناً سنة 645هـ/ 1247م(٤)، وفي سجن القلعة سُجِنَ الملك العادل الثاني(٥) وذلك بعد خلعه وسلطنة أخيه الصالح نجم الدين أيوب(٦) في ذي القعدة سنة 637هـ/ حزيران 1240م، وقد بقي مسجوناً فيها حتى أواخر سنة 645هـ/ 1247م، حين قرر نجم الدين أيوب الخروج إلى دمشق حيث خاف من بقائه في مصر، وخوفاً من هروبه أو إخراجه من السجن، قرر نقله إلى قلعة الشوبك، ولكنه امتنع، فأرسل إليه من خنقه في سجنه(٧).

ومن الأماكن التي اتخذت سجوناً: دار الضيافة(٨)، ودار الأفضل(٩)، والدار القطبية(١٠)، فقد سجن في دار الضيافة الخليفة الفاطمي العاضد بأمر من صلاح الدين، وسجن في دار الأفضل ولي عهد الخليفة وبعض أعمامه.(١١)

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 16.
(٢) البغدادي: السجون في مصر، ص 81.
(٣) البغدادي: السجون في مصر، ص 82.
(٤) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 82- 83.
(٥) العادل الثاني: أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر، للمزيد: أنظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 227، 276؛ الحلاق: تحفة الأحباب، ورقة 44. أ .
(٦) الصالح نجم الدين أيوب: بن الملك الكامل بن الملك العادل أبي بكر توفي سنة 647- 648 هـ / 1249- 1250م . للمزيد: أنظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 282؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 64.ب .
(٧) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص ص 297- 298؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص ص 276- 277؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 64.ب .
(٨) دار الضيافة: هي الدار التي ينزل بها الرسل والعربان والواردون على السلطان ويتلقاهم المهمندار. وذاعت شهرتها خلال العصر الفاطمي. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 129.
(٩) دار الأفضل: يرجح أنها دار الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي أمير الجيوش خلال العصر الفاطمي. أو دار أحد قادة الجيش. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 27.
(١٠) الدار القطبية: تقع بخط بين القصرين بالقاهرة، كانت لست الملك ابنة العزيز بالله نزار، ثم أصبحت للملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل، وصار يقال لها الدار القطبية، وأطلق على من سكنها من أخوات المفضل بالقبطيات نسبة إلى أخيهن. انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص406.
(١١) البغدادي: السجون في مصر، ص 83.

أما الدار القطبية فقد سجن فيها المغيث عمر بن الملك العادل، فبعد أن قبض الأمراء على والده تولى عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، فمشى في خدمته مدة ثم رأى منه الملك الـــصالح علامات النجابة والفطنة، فأمر بسجنه في الدار القطبية عند (عَمَة الصالح نجم الدين وعَمَة والـــد الملك المغيث)، وبقي فيها إلى أن مات الصالح نجم الدين وتولى تورانشاه الحكم فأرسله إلى قلعة الشوبك وسجنه بها(١)

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 392؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص 81، 298. - تورانشاه: بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل. آخر الملوك الأيوبيين في مصر، للمزيد: انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ص ص 331- 332.

الفصــــل الأول

بناء السجون في الدولة المملوكية

أولاً: السجون مفردة البناء

أ- سجون مركز الدولة

ب- سجون الأقاليم

ثانياً: السجون المرفقة بالمنشآت الإدارية والمدنية

أ - سجون القلاع

ب- سجون الابراج المفردة

ج- سجون القاعات المفردة

د- السجون الطارئة

ثالثاً: السجون الخاصة ومواقع الترسيم

أولاً: السجون مفردة البناء

أ- سجون مركز الدولة

1- سجن خزانة شمائل

كان موقع هذا السجن وسط مدينة القاهرة المملوكية(١) بجوار باب زويلة(٢)، أما موقعه سنة 1943 م، ففي المساحة التي يشغلها الجزء الجنوبي من جامع المؤيد على يسار الداخل إلى شارع المعز لدين الله من باب القاهرة المذكور(٣).

ورث المماليك سجن خزانة شمائل عن الأيوبيين، وحمل تلك التسمية نسبة للأمير علم الدين شمائل والي القاهرة في عهد السلطان الملك الكامل محمد بن العادل(٤)، ويعتقد أن علم الدين شمائل هو باني هذا السجن(٥) في مكان مخازن الغلال خلال العصر الفاطمي(٦).

إن المعلومات حول معالم السجن تكاد تكون معدومة، الأمر الذي يجعل من الصعوبة التعرف على تصميم السجن من حيث قاعاته، وغرفه؛ إلا أنه جاء في أحد المصادر، وبشكل غير مباشر، أن الأمير علاء الدين الطبلاوي سُجِنَ في برج خزانة شمائل في سنة 800هـ/ 1396م، كما سُجِنَ فيه جمال الدين الأستادار ولم "يُمكّن أحد من الاجتماع به"(٧)، ومثل هذه

---

(١) يستدل على الموقع من خلال باب زويلة وظهوره على خريطة القاهرة في الفترات التالية: العصر الفاطمي: ملحق رقم (6)، العصر الأيوبي: ملحق رقم (8)، العصر المملوكي: ملحق رقم (11).

(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 118؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ص 128. باب زويلة: أحد أبواب القاهرة وهناك باب النصر، وباب الفتوح، وباب البرقية. للمزيد حول بناء أسوار القاهرة ومواقع أبوابها. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص ص 397- 400؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، (ص ص 77- 79) (ص222)؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 38- 39؛ الطرابيلي: شوارع لها تاريخ، ص 21؛ جومار: وصف مدينة القاهرة، ص21؛ ٢٦ -٢٣ Abu - lughod, cairo, pp. وانظر الملاحق (6)، (8)، (10)، (11).

(٣) زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 17.- شارع المعز لدين الله، وسمى بالشارع الأعظم، وشارع القاهرة، والقصبة، وقد وضع جوهر الصقلي باني القاهرة رسم هذا الشارع بحيث يتخذ مساراً شبه مستقيم متجهاً من الشمال إلى الجنوب، ويصل بين باب الفتوح وباب زويلة. للمزيد: انظر: الطرابيلي: شوارع لها تاريخ، ص ص 20- 21؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص ص 222- 223، ص ص 326- 327؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص5.

(٤) المقريزي: الخطط ج2، ص 188؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 69.

(٥) انظر: Ayallon, D: The Mamluk Military, p٤١, ؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 356.

(٦) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 128؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 356.

(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 466.- توسعت المصادر في ذكر أخبار جمال الدين الأستادار، وعملية القبض عليه وسجنه بخزانة شمائل ولم يرد في هذه المصادر ذكر لتخصيص برج شمائل لسجنه. انظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 644- 645؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص ص 314- 315؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 479. - علاء الدين الطبلاوي: ولي القاهرة سنة 792هـ/ 1389م،

الحادثة تقود إلى الميـــل إلى أن البرج المذكور هو أحد أبراج سور القاهرة، أو أحد أبراج بـــاب زويلة[١]، وأنه كان يضاف للمبنى الأصلي للسجن ليستخدم لحالات سجن طارئـــة أو انفراديـــة؛ وربما ارتبطت تسمية البرج بخزانة شمائل، لقربه من موقع سجن خزانة شمائل.

وذكرت المصادر أسماءً وأوصافاً صريحة لسجن شمائل منها: سجن أربـــاب الجـــرائم[٢] والخزانة المعدة لذوي الجرائم[٣]، وغير ذلك من التسميات المشابهة، ووصف السجن بأنـــه مـــن أشنع السجون وأقبحها منظراً[٤]، يقاسي فيه المساجين الشدائد من البق والبراغيث[٥].

وربما تعود هذه الأوصاف إلى ازدحامه بالمساجين بسبب عمليات الـــسجن المتلاحقـــة، وبأعداد كبيرة، ففي سنة (796هـــ/ 1393م) قبض والي القاهرة على ثلاثمائـــة مـــن الأجنـــاد البطالين وسجنهم بخزانة شمائل ثم قام بالإفراج عن مائتين منهم في اليوم التالي[٦]، وفـــي ســـنة 800هـــ/ 1397م سجن فيها حوالي مائة وسبعون رجلاً من عربان بني وائل بالشرقية [٧].

ويورد المقريزي في الخطط عبارة على قدر كبير من الأهمية حول طبيعة مساجين خزانة شمائل إذ يقول: "يحبس فيها من وجب عليه القتـــل أو القطع من السُّراق وقطاع الطريـــق ومن

= تتابعت ولاياته لكنه انتكس وساءت ظروفه، قتل سنة 803هـــ/ 1400م، وقيل سنة802هـــ/1399م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص ص 252- 253.

(١) ما ورد في بعض المصادر يؤكد وجود أبراج على الأبواب وأنها قد تـــستخدم لأغـــراض أخـــرى غيـــر الحراسة. انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 329؛ الصيرفي: نزهة النفـــوس، ج2، ص 336. وانظـــر: الصيرفي: إنباء الهصر، ج2، ص 820.

(٢) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص331 و ج2، ق2، ص 434. ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 221.

(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 385.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص188؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 160؛ عـــلاء طـــه: الـــسجون والعقوبات، ص 39.

(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص328.

(٦) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ص 509؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 385- 386، ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 468. وانظر: Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٤٢. – االبطال: كان الشخص المسرح أو المطرود من الخدمة العسكرية بسبب غضب السلطان أو بسبب العجز أو كبـــر الـــسن يُعطى رتبة طرخان أو بطال مع اختلاف أن الأول يحتفظ بلقب أمير، أما الثاني فتنزع منه الإمرة وغالباً ما يتم نفيه. انظـــر: طرخـــان: الـــنظم الإقطاعيـــة، ص ص 275- 276؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, p.p. ٢٥- ٢٨.

(٧) ابن القاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 666؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص 509. - الشرقية: من أعمال الوجه البحري وهي عبارة عن إقليم يلي إقليم قليوب وبه مدن الخانكة وبلبيس والصالحية وهي متصلة (من ناحية البر) ببر الشام. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 162؛ القلقشندي: صبح الأعـــشى، ج4، ص 67؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص 31.

يريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة"[١].

وعلى ضوء عبارة المقريزي ستقوم الباحثة باستعراض ما أوردته المصادر عن هؤلاء المساجين؛ للتعرف على المقصود بأصحاب الجرائم العظيمة من وجهة نظر المقريزي والمعاصرين له.

لقد تعددت الإشارات في المصادر المملوكية لأشخاص وجماعات من الأمراء والمماليك سجنوا لأسباب سياسية، ويعتبر المؤيد شيخ واحداً من أشهرهم، فقد قَبَضَ عليه منطاش مع كثير من المماليك الظاهرية بعد خلع الظاهر برقوق وسجنه سنة 791هـ/ 1388م[٢]، وكان سبب هذه الحادثة إضعاف نفوذ المماليك الظاهرية، كذلك حادثة سجن آقبغا المارداني نائب الوجه القبلي عام 793هـ/ 1390م على يد السلطان برقوق فهي حادثة سياسية سببها العداء الشخصي بينه وبين برقوق، فقبض عليه وسجنه بخزانة شمائل بحجة كثرة ظلمه وتعسفه[٣].

وتأكيداً على ذلك ما جرى سنة 793هـ/ 1390م من سجن أربعة من فقهاء دمشق في خزانة شمائل بأمر من الظاهر برقوق، اتهموا بمحاولة القضاء على حكمه[٤]. وسجن الطواشي جوهر الزمردي والطواشي نصر السليماني وذلك عندما دبرا لخلع السلطان محمد بن حاجي وسلطنة الأمير حسين بن الناصر محمد مكانه[٥]. وسُجِنَ عدد كبير من المماليك السلطانية في عهد الناصر محمد، ممن اشتركوا في قتل الأشرف خليل[٦].

وكذلك سجن الأميرين منكلي بغا ومغلطاي بعد محاولتهما إثارة الفتنة والخروج على السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون[٧].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص88. وانظر: عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ص 97؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 39؛ ٤٢ -٤١ .Ayallon, D: The Mamluk Military, p.p
(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 170؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 4.
(٣) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 734. - نيابة الوجه القبلي: وهي وظيفة استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق ومقر نائبها أسيوط، وحكمه على جميع مناطق الوجه القبلي. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 25.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 144؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 379.
(٥) المقريزي: السلوك، ج3،ق1، ص68.- الطواشي أو الطواشية: هم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 109.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 379. - المماليك السلطانية: هم مماليك السلاطين وهم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً وأشدهم إلى السلطان قرباً وأوفرهم إقطاعاً. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص ص 15- 16؛ المقريزي: الخطط، ج1، ص153.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 539.

وقيام برقوق بسجن ايتمش الخاصكي وخمسين من المماليك الأسياد كانوا قد خططوا لقتله، أثناء توليه رتبة أمير كبير زمن السلطان حاجي بن الأشرف شعبان[١]

ومن أغرب الحوادث التي وردت عن طبيعة ومصير سجناء خزانة شمائل هي ما كان سنة 767هـ/ 1365م في عهد الأشرف شعبان، ففي أعقاب غزو الفرنج للإسكندرية في هذه السنة وهو ما عرف بحملة بطرس لوزجنان.[٢] اختلت أحوال ثغر الإسكندرية من الناحية الاقتصادية[٣]، رغم ذلك قدم رسل ملك جَنَوَة إلى ميناء الإسكندرية، وطلبوا رهائن عندهم من أعيان تجار الإسكندرية حتى ينزلوا مراكبهم ويدخلوا المدينة ويبيعوا ما معهم من البضائع، فخشي نائب الإسكندرية أن تكون مكيدة وحيلة منهم وأبلغ السلطان الأشرف شعبان بذلك فأمر الأشرف بإخراج جماعة من مساجين خزانة شمائل ممن حكم عليهم بالإعدام وأُلبسوا ثياباً فاخرة وأُرسلوا إلى الإسكندرية وأشيع أنهم من رؤساء تجار الإسكندرية، وبعث بهم النائب إلى الجنويين كرهائن كما طلبوا، "وجعل من خلفهم نساءً وأولاداً يصيحون ويبكون كأنهم عيالهم"[٤].

وتتطابق هذه الحادثة مع قول المقريزي، بأن المساجين كانوا ممن وجب عليهم القتل، فالسلطان لم يجازف بإرسال تجار الإسكندرية، ولكنه استخدم المحكوم عليهم والذين لا حول لهم ولا قوة بتنفيذ الخطة دون مقاومة، فقد تلقي بهم الأقدار إلى مصير مشابه لمصيرهم في خزانة شمائل، أو إلى مصير أفضل.

وبقي هذا السجن حتى هدمه السلطان المؤيد شيخ سنة 818هـ/ 1415م[٥]، وكان قد سُجنَ فيه قبل تسلطنه مع الكثير من مماليك الظاهر برقوق، سنة 791هـ/ 1389م، "فقاسى في ليلة من البق والبراغيث شدائد، فنذر الله تعالى إن تيسر له ملك مصر، أن يجعل هذه البقعة

---

(١) المقريزي: الخطط، ج3، ق2، ص473؛ العيني: السيف المهند، ص ص 46- 47.- الخاصكية: هم الذين يلازمون السلطان في خلواته ويسوقون المحمل الشريف ويجهزون في المهمات والمتعينون للإمرة. البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 114. - المماليك الأسياد: هم مماليك أبناء السلاطين الذين لم يتولوا السلطنة يلقب الواحد منهم بـ (سيدي). دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 144.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 22- 23.

(٣) المصدر نفسه، ج1، ق2، ص 24.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 35. وانظر: زقلمة: المماليك في مصر، ص 181، ورأيه بالحادثة. - جَنَوَة: قاعدة مملكة الجنويين وهم طائفة مشهورة من الفرنج، تقع على بحر الروم والبحر ما بينها وبين الأندلس وهي إلى الجنوب من البحر. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص ص 383- 384.

(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 128؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 356؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 68؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 21؛ موير: تاريخ دولة المماليك، ص 144؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, p ١٨.

مسجداً لله عز وجل، ومدرسة لأهل العلم، فاختار هذه البقعة وفاءً لنذره"(١). وشرع في الهدم يوم الأحد العاشر من ربيع الأول من سنة 818هـ/ 1415م فوجد في مكان السجن كثيراً من رمم القتلى ورؤوسهم(٢)، كما أزيلت مواقع مجاورة ليتم بناء المسجد مكانها بناءً على مرسوم من المؤيد شيخ، وهي قيسارية سنقر الأشقر، والدور المقامة في درب الصفيرة، وقيسارية بهاء الدين رسلان، كما هدم بعد مباشرة البناء ملك بجانب ربع الظاهر بيبرس، اشتراه الأمير عبد الغني بن أبي الفرج الأستادار ليعمل به ميضأه(٣).

2- سجن المقشرة

يقع هذا السجن شمال مدينة القاهرة المملوكية بين جامع الحاكم وباب الفتوح على يمين الخارج من هذا الباب(٤)، أما موقعه في حدود سنة 1943م ففي مقبرة أثرية تسمى بقرافة سيدي الساعي(٥)، وقد عرف بهذا الاسم نسبة إلى دار قشر القمح التي كانت تشغل المكان قبل استخدامه كسجن(٦).

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188، ج4، ص 328؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص ص 170- 171؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج5، ص ص 292- 293، 383.

(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188، 328.

(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 328- 329، ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 170؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 365؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ص 283. - القيسارية: الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 126. - قيسارية سنقر الأشقر: أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الصالحي النجمي، وتقع على يسار الداخل من باب زويلة بين خزائن شمائل ودرب الصفيرة، هدمت في جمادى الأولى سنة 818هـ - 1415م، لأغراض بناء الجامع. المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 86- 87. - درب الصفيرة: بتشديد الفاء وأصله درب الصفراء، يقع بجوار باب زويلة. المقريزي: الخطط، ص 41. - قيسارية بهاء الدين رسلان: أنشأها الأمير بهاء الدين الدوادار وجعلها وقفاً على خانقاه له بمنشأة المهراني، وكانت من أحسن القياسر، هدمت سنة 818هـ/ 1415م. وعوض شيخ أهل خانقاه عنها بخمسمائة درهم. المقريزي: الخطط، ج2، ص 87. - الربع: مبنى مخصص للسكن الجماعي، وقد أقيم في أغلب الحالات في الوكائل لإقامة التجار الغرباء، ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 340.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188. وانظر: الملاحق (6)، (8)، (10). - جامع الحاكم: أسسه الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله سنة 380هـ/990م، وكان يطلق عليه جامع الخطبة ثم أكمل بناءه الخليفة الحاكم بأمر الله بن العزيز سنة 401هـ - 1003م وسمي باسمه. انظر: مبارك: الخطط التوفيقية، ج1، ص 49، ج4، ص 167. جومار: وصف مدينة القاهرة، ص 176؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 56- 57. وانظر: ملحق رقم (6).

(٥) زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 21. - القرافة: اتخذ اللفظ الحرفي للقرافة نسبة لجماعة يقال لهم بنو قرافة، اختطوا المنطقة قادمين من اليمن، والقرافة في مصر اسم لموضعين، القرافة الكبيرة، والقرافة الصغيرة. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 87؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 445.

(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 76.

يتكون سجن المقشرة من موقعين، الأول: مقشرة القمح والثاني: أحد أبراج سور القاهرة[١]، ورغم عدم ورود إيضاحات أخرى في المصادر عن تصميم السجن وبنائه إلا أن وجود البرج كجزء منه يعطيه حصانة مناسبة لما تميزت به أبراج سور القاهرة من مناعة[٢].

وحول بدايات ومراحل استخدام السجن يقول المقريزي: "ومن جملته برج من أبراج السور على يمين الخارج من باب الفتوح، استجد بأعلاه دوراً لم تزل إلى أن هدمت خزانة شمائل، فعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم وهدمت الدور التي كانت هناك في شهر ربيع الأول سنة 828هـ/ 1424م"[٣].

أما ابن حجر فيقول: " وفيه – ربيع الأول عام 820هـ/ 1417م – تهدمت الدور التي أحدثت فوق البرج الذي يجاور باب الفتوح واتخذ هناك، فكان أمر السلطان بحبس أولي الجرائم فيه عوضاً عن خزانة شمائل"[٤].

لقد اتفق كلا المؤرخين على أن سجن المقشرة اتخذ كبديل لخزانة شمائل ولسجن أرباب الجرائم – أي بنفس اختصاص شمائل- وما اختلف فيه هو السنة التي بدأ فيها باستخدام السجن، وحسب ما ترى الباحثة أن السنوات المحددة في الروايتين صحيحة، فابن حجر يذكر أن أول عملية سجن تمت في ربيع الأول سنة820هـ/ 1417م، وهي الفترة التي خلت فيها القاهرة من سجن مخصص لأرباب الجرائم؛ لذا بدأت في هذه السنة وبالتحديد في ربيع الأول عملية السجن في البرج فقط، أما في سنة 828هـ/ 1424م، فقد استخدم البرج والمقشرة معاً، بدليل أن المقريزي وحتى رمضان من سنة820هـ/ 1417م، كان يطلق عليه اسم السجن المستجد عند باب الفتوح وليس سجن المقشرة.[٥]

وقد جرت في رمضان سنة820هـ/ 1417م، محاولة لنقل مساجين القسم الأول: وهو البرج إلى موضع آخر بسبب ما عانى المساجين "من شدة الضيق وكثرة الغم" فاختير سجن قصر الحجازية وبدء بتجهيزه فلم يتم ذلك ولم ينقل المساجين[٦]، كما لم ترد إشارة واضحة

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 970.
(٢) أورد ريمون أمثلة على أبراج القاهرة. أنظر: ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 86- 87.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص188.
(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 272.
(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص71.
(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص71.

عن كيفية التوسعة على المساجين قبل استخدام القسم الثاني وهو المقشرة سنة 828هـ/ 1424م.

وصف سجن المقشرة بأنه من أشنع السجون وأضيقها، يعاني فيه المساجين من الغم والكرب ما لا يوصف[١]، كما لقب من يسجن فيه بالمقشراوي[٢]، وهو تعبير عن تحقير الناس لمن أدخل إليه، والتسمية كذلك جماعية، فقد أطلق على فَلاحي بحطيط، والذين سجنوا حوالي سنة 875هـ/ 1470م اسم فلاحي المقشرة[٣] - وفلاحين – تمييزاً لهم عن الترك أو الجركس.

وأطلق على مساجين المقشرة اسم أرباب الجرائم[٤]، وقد أصبح هذا اللفظ مألوفاً بعد وروده في خزانة شمائل.

كان مساجين المقشرة ممن ارتكبوا جرائم اجتماعية، أو عسكرية، أو أمنية، أو قاموا بتجاوزات إدارية، أو شخصية، أما مساجين الجرائم الاجتماعية، فمنهم الشريف الأكفاني الذي عوقب وسجن بالمقشرة بسبب قتله لزوجته[٥]. وبسبب السرقة سجن أحد اللصوص وكان قد دخل خيمة السلطان الأشرف قايتباي أثناء وجوده في الشام بالرملة، وسرق بقجة قماش من عند رأسه، فنقل مع عودة السلطان إلى القاهرة وسجن بالمقشرة[٦]. وسجن لص اشتهر بالقاهرة سنة 895هـ / 1489م بعد أن سرق أمتعة كثيرة للناس، وأثناء سجنه ضرب بالمقارع، وقطعت يده، وأكحل ثم أطلق[٧]، كما سجن بسبب تزوير مراسيم سلطانية شخص يدعى زين الدين عبد الرحمن، وكان قد سجن قبل ذلك بسبب السرقة[٨].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص188؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج 2، ص 77؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 114؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 40. .

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 176؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 114. - درج الناس في مصر اليوم على تسمية مشابهة لهذه التسمية، حيث يصفون من يحكم عليه بالسجن المؤيد بـ(خريج الليمان أو اللومان) أما تعريفه حسب عبد الرحيم صدقي فهو سجن يودع فيه المحكوم عليهم بعقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة، وبمصر سجنان من هذا النوع. انظر: صدقي: علم العقاب، ص206.

(٣) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 203.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص71- 188؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص 42، 62، 63، 90، 182، 183؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج 2، ص 76؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 21.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 919.

(٦) الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص 316.- البقجه: من اللفظ التركي (بوغجه) وهو قطعة قماش تلف بها الأغراض ثم تربط أطرافها الأربعة، وقد تحفظ فيها الأوراق، أو تلف فيها الأوراق والحلوى. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 36.

(٧) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 1122.

(٨) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 247.

أما مساجين الجرائم العسكرية والأمنية فكانوا قلة في سجن المقشرة رغم طول فترة اتخاذه سجناً، ولم تتعلق جرائم من سجنوا فيها بشكل مباشر بالسلطان، وتراوحت بين اضطرابات قام بها بعض المماليك ضد أستاذهم، أو أسرى فرنج أو مساجين من عربان مصر، فقد أمر الظاهر جقمق بسجن جماعة من مماليك الأمير تغري بردي المؤيدي الدوادار بعد أن حاولوا قتل أستاذهم تغري بردي(١). وخلال سلطنة قايتباي سجن الأمير أزدمر الإبراهيمي عشرة من مماليكه بعد ضربهم بالمقارع، بسبب اعتدائهم على دواداره ومباشريه طلباً للنفقة.(٢)

إضافة لمن سبق ذكرهم سجن حوالي عشرين من رسل الفرنج قدموا إلى رودس أثناء حصار المماليك لها سنة 847هـ/ 1443م؛ وذلك للتفاوض مع المماليك، وقد سجنهم السلطان الظاهر جقمق بعد أن شعر أن قدومهم خدعة لتتبع أخبار الإمدادات المرسلة للحملة(٣)، كما سجن في زمن قايتباي، عشرة من أسرى الفرنج، أفرج عن ثلاثة منهم بسبب إسلامهم(٤).

كما سجن في المقشرة عدد كبير من عربان مصر، منهم ثمانين شخصاً من جماعة بيبرس شيخ العربان بالشرقية، وذلك بأمر من السلطان جقمق(٥)، وسجن عيسى بن بقر شيخ عربان الشرقية بأمر من الأشرف قايتباي بعد أن ضرب بالمقارع(٦).

أما التجاوزات الإدارية والشخصية والتي قام بها بعض القضاة وسجنوا بسببها في المقشرة، فمن الأمثلة عليها: سجن أحد نواب القاضي الشافعي وهو أبو البركات الهيثمي بسبب الشك في صحة أحكامه(٧)، وسجن القاضي البقاعي بسبب تعديه على جيرانه ورميهم بالنشاب(٨). وسجن القاضي أمين الدين عبد الرحمن الديري بسبب إثارة الفتنة في القدس، وكان الديري قد نادى بإقفال المسجد الأقصى ومحاربة تمراز نائب القدس ونعته بالكفر، فاستقدم إلى القاهرة مقيداً في جنزير وسجن بالمقشرة(٩) .

---

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص 42؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 72.
(٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 435. .
(٣) السخاوي: التبر المسبوك ص ص 62، 63.
(٤) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 444.
(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 216، 220. - عربان الشرقية: حسب القلقشندي كانت الإمرة في الشرقية لقبيلتي ثعلبة وجذام. القلقشندي: صبح الأعشى، ص 68.
(٦) الصيرفي: إنباء الهصر، ص ص 289- 290.
(٧) السخاوي: التبر المسبوك، ص90.
(٨) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص614؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص ص182- 183.
(٩) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص200.

كما تعرض الفقهاء للضرب والإهانة، عند سجنهم في المقشرة فقد ضرب عز الدين بن بكور أحد نواب الشافعية بسبب قيامه بتزوير محضر، حيث أخذه والي القاهرة وهو راكب حماراً والمشاعلية ينادون عليه من باب القلعة إلى السجن، "وكان الناس يصرخون بسبه وإهانته لكراهيتهم له" [١] وضرب ثم سجن بالمقشرة القاضي شهاب الدين الحنفي بسبب تزويجه لامرأة مع بقاء عصمتها لزوجها الأول.[٢]

ويلاحظ مما سبق كثرة عدد المساجين من الفقهاء في المقشرة والذين سجنوا بسبب إشاعة الفتنة، والفتاوى الخاطئة، والأحكام التي لم ترض السلطان، أو بسبب الشكاوى، وترافقت عمليات السجن مع ضربهم وإهانتهم وتعريضهم لشتم العامة وسخريتهم.

أما عن نظرة المؤرخين لواقع وجود الفقهاء في المقشرة فقد ظهر ضمنياً عند السخاوي في التبر المسبوك، وبشكل واضح عند ابن تغري بردي في حوادث الدهور، فقد تعمد السخاوي استخدام ألفاظ أرباب الجرائم، وأولي الجرائم، وحبس المجرمين، لأكثر من مرة عند عرضه لحوادث سجن الفقهاء[٣]، في حين لم يذكرها في حوادث سجن اللصوص والقتلة.

أما ابن تغري بردي فقد نقل لنا صورة واضحة عن مشاعر الفقهاء بسبب وجودهم في المقشرة من خلال حادثة سجن القاضي ولي الدين السفطي حيث يقول:

"ومن لطيف ما وقع له لمّا دخل حبس المقشرة...، دخل إليه بعض الناس وخاطبه بـ : (يا مولانا قاضي القضاة). فقال له السفطي، بعدما استغاث: تقول لي قاضي القضاة؟ قل: يا لص، يا حرامي، يا مقشراوي، فقال له المتكلم: المرسوم مرسومك يا لص، يا حرامي، يا مقشراوي"[٤].

وتُظهر الحادثة حالة الإحباط التي تولدت في نفس السفطي بسبب وجوده في السجن،

---

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص350.
(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص 267.
(٣) انظر: السخاوي: التبر المسبوك، ص (42، 62، 63، 90، 182، 183).
(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 176. - السفطي: هو ولي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج السفطي الشافعي، ولد عام 796هـ/ 1393م. حفظ القرآن وتلقى العلم، عين نائباً للقاضي الشافعي، فكثر ظلمه، ثم عين قاضياً للقضاة بالديار المصرية، فساءت سمعته، عزل عن القضاء 853هـ/ 1448م، ثم صودر وسجن بالمقشرة، توفي سنة 845هـ/1441م. انظر: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص ص 176- 178، 312- 314؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج7، 118- 121.

خاصة في سجن مثل المقشرة.

أما رأي ابن تغري بردي في هذا الأمر فيظهر من خلال رواية تظهر كدعابة ولكنها تحمل في طياتها الاستنكار لما وصلت إليه أوضاع القضاة، ومن بينها وجودهم في سجن المقشرة حيث يقول: "اتفق أن بعض الأعيان سألني فيما بينه وبيني بأن قال: هل سمعتم بأن قاضي القضاة ينفى إلى طرطوس[١] ؟ فقلت له: ما نعلم، إلا أن قضاة القضاة يحبسون بالمقشرة مع أرباب الجرائم، أعني بذلك ما وقع للسفطي قبل تاريخه. فضحك لذلك من حضرنا من الجلساء. - ويضيف – قلت: وزماننا هذا لا ننكر فيه ما يفعل بالقضاة وغيرهم..."[٢].

لقد ظل سجن المقشرة قائماً حتى نهاية العصر المملوكي ودخول مصر تحت حكم العثمانيين سنة 923هـ / 1517م.[٣]

3- سجن خزانة البنود[٤]

كان الفاطميين هم أول من اتخذ هذا السجن، وكان موقعه شرقي القصر الكبير[٥]، أي شرق القاهرة الفاطمية[٦]، وفي الشمال الشرقي للقاهرة الأيوبية[٧]، وكذلك بالنسبة للقاهرة المملوكية[٨].

أما موقعه زمن المقريزي (ت 845هـ/ 1441م) - أي بعد هدمه - فهو زقاق يعرف

---

(١) المقصود بقاضي القضاة هنا: علم الدين صالح البلقيني كان جقمق قد أمر بنفيه إلى طرطوس سنة 854هـ/ 1450م. انظر: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 214.- طرسوس: مدينة على ساحل بحر الروم، تقع إلى الشمال الغربي من حلب، وهي مدينة مسوّرة بناها الرشيد سنة 170هـ/ 786م وأكملها سنة 172هـ/ 788م. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 318.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 214. وانظر: البغدادي: السجون في مصر، ص ص 98، 99.

(٣) زيادة: السجون في مصر، ع262، ص 21.

(٤) البنود: جمع بند بفتح الباء وسكون النون، وهو العلم الكبير وهو فارسي معرب، والتسمية الشائعة لها هي الرايات. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 680. وانظر: ماجد: نظم سلاطين المماليك، ص3. ٤٠ Ayallon, D: The Mamluk Military, p.

(٥) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 525. وانظر ملحق رقم (6). - القصر الكبير الشرقي: عرف بذلك تميزاً له عن القصر الصغير الغربي الذي بني مقابله. أنشئ هذا القصر على يد جوهر الصقلي وذلك للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ثم زيد في بنائه طوال عهود الخلفاء الفاطميين. انظر: محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 323. وانظر: ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 50- 52.

(٦) انظر: ملحق رقم (6).

(٧) انظر: ملحق رقم (8).

(٨) انظر: ملحق رقم (10).

بخط خزانة البنود[١]. وقد حمل السجن هذه التسمية نسبة إلى خزانة البنود التي أنشأها الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله، وذلك مع عدد من خزائن القصر، وقد اختصت هذه الخزانة بصناعة الأسلحة والبنود.[٢]

وقد تغيرت وظيفة هذه الخزانة بعد احتراقها سنة 461هـ/ 1068م، حيث استخدمها الفاطميون سجناً للأمراء والأعيان، وبقيت حتى نهاية الدولة الفاطمية، ثم استخدمها الأيوبيين سجناً ومن بعدهم المماليك.[٣]

كان سجن خزانة البنود سجناً سياسياً أُودع فيه الأمراء والمماليك ممن ارتكبوا جرائم قتل السلاطين، كما أُودع فيه من هؤلاء من قاموا بتجاوزات مثل عدم الانضباط العسكري أو تجاوزات قانونية، وجرائم شرعية أو من الأسرى.

ومن الذين تم سجنهم فيها الأمراء السبعة الذين شاركوا بقتل الأشرف خليل سنة 693هـ/ 1294م. وهم: طرنطاي الساقي، وأناق، ونوغاي، وأروس السلحدار، ومحمد خواجا، والطنبغا وآقسنقر الحسامي، وبعد سجنهم قطعت أيديهم وأرجلهم وطيف بهم على جمال، وأيديهم معلقة في أعناقهم. وعندما أعيدوا إلى السجن ماتوا فيه بعد أيام بسبب العقوبة.[٤]

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، 188.شغل موقع السجن في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حسب ما ذكر علي مبارك في الخطط التوفيقية بيت لأحمد باشا راشد، أما مكان هذا الموقع حوالي سنة 1943 حسب ما ذكره زيادة في مقالة فهو الدور الواقعة بين عطفة القرازين ودرب علم الدين بقسم الجمالية. انظر: مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 112؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 17. وحول موقع الجمالية في العصرين الفاطمي والمملوكي وفي القرن العشرين. انظر على التوالي الملاحق: (6)، (10) ، (13)، (16).

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 404؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 102؛ ماجد: نظم سلاطين المماليك، ص31. - الحاكم بأمر الله: هو أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز بالله. ولد سنة 375هـ/ 985م . وبويع الخلافة سنة 386هـ/ 996م ومات بنفس السنة التي ولي ابنه فيها الخلافة وهي 411هـ/ 1020م. - الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله: (411-427هـ/1020- 1035م). انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص ص 177- 411.- خزائن القصر: اتخذ الفاطميون العديد من الخزائن حصرها القلقشندي بثمان وهي: خزانة الكتب وخزانة الكسوة، وخزانة الشراب، وخزانة المطعم وخزانة السروج وخزانة الفرش وخزانة السلاح وخزانة التجمل. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 545- 548.

(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 117؛ زيادة: السجون في مصر، ع 260، ص 17؛٤٠ Ayallon, D: The Mamluk Military, p .

(٤) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص ص 138- 139؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص ص 366- 367؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 270؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 331؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص ص 696- 697؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص ص 222- 223؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 70.ب؛ حياة حجي: أحوال العامة، ص ص 112- 113.- الساقي: وهو لقب من يتولى مد السماط وتوزيع اللحم وسقي الشراب بعد رفع السماط. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص 427.

وممن سجنوا بسبب تجاوزات في الأمور العسكرية، أو الإدارية، أو الأمور الشرعية، جماعة من الأجناد سجنوا بسبب تخلفهم عن العرض وذلك زمن الظاهر بيبرس(١)، كما سَجَنَ بيبرس الناصح الواحي ضامن الواحات بعد أن تجاوز صلاحياته وجمع أموالاً طائلة من وظيفته، وعندما خطط للهروب أمر بيبرس بتسميره في العشرين من ذي الحجة سنة 665هـ/ 1266م،(٢) وسجنَ بيبرس أيضاً آقش القفجاقي أحد المماليك بسبب ادعائه النبوة وبعد عدة أشهر من سجنه أمر بتسميره.(٣)

خزانة البنود زمن الناصر محمد (س 2):

يمكن القول أن خزانة البنود ومنذ عهد الناصر محمد أصبحت تختص بسجن الأسرى. ففي سنة 702هـ/ 1302م وبعد معركة شقجب بين المماليك والمغول، استطاع المماليك أسر أعداد كبيرة من الأرمن ممن تحالفوا مع المغول، فتم نقلهم من الشام إلى القاهرة حيث أمر الناصر بسجنهم في خزانة البنود.(٤)

وعندما عاد الناصر محمد من الكرك وتولى السلطنة للمرة الثالثة سنة 709 هـ/ 1309م حوّل سجن خزانة البنود إلى منازل للأسرى(٥) يسكنون فيها مع نسائهم وأولادهم(٦)، إلا أن الأسرى أساءوا استعمال هذه المنازل، وتجاهروا فيها ببيع الخمر وشربه واشتغلوا بحماية من

- السلحدار: وهو من يتولى حمل سلاح السلطان أو الأمير في المناسبات ومن وظيفته أيضاً الإشراف على السلاح خاناه. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 118؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 182.

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 133. العرض: عرض الجند من أهم المناسبات التي يجري فيها التوزيع الإقطاعي ويستعرض السلطان جنوده أكثر من مرة خلال سلطنته ليستوثق من القادرين على الخدمة والموالين له. للمزيد: انظر: طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 218.

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج2، ص 362؛ النويري: نهاية الأرب، ج30، ص ص 147- 148. - ضامن الواحات: هو الذي يتولى حساب جمع ضريبة من الضرائب أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان. البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 235.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج30، 2ص 147.

(٤) العيني: عقد الجمان، ج4، ص 50.

(٥) يبدو أن عمليات إسكان الأسرى بشكل جماعي في مواضع محددة من المدن كانت أمراً شائعاً في العصر الأيوبي. ففي سنة 610هـ - 1213م، أثناء حكم الظاهر غازي لحلب، أحرق في شفير خندق قلعة حلب مغائر أعدها لسكن الأسرى، وكان في كل مغارة مقدار خمسين بيتاً. انظر: ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ق1، ص 25.

(٦) المقريزي: الخطط: ج2، ق2، ص 188. وانظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 177؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص20؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 102؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 39؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٤١.

يدخل إليهم من أرباب الجرائم[١]، وبيع لحم الخنزير وتنظيم أعمال البغاء[٢]، وتوسعوا في ذلك فأصبح لخزانة البنود سوقاً منظماً عرف باسمها.

ويبدو أن تجاوزات هؤلاء الأسرى أخذت بعداً آخر، ففي زمن الصالح إسماعيل بن الناصر محمد تعرض السوق لهجوم من قبل العامة، فنُهبت وكسرت جرار الخمر فيه وهتكت نساء الفرنج بعد أن عجز والي القاهرة عن ردهم، وتمثل موقف الصالح إسماعيل بإصدار مرسوم ينص على أن لا يتعرض أحد لأسير من أسرى الفرنج ويهدد من أخذ لهم شيئاً بالشنق[٣].

حمت الدولة المملوكية الأسرى، ولم تعترض لما كانوا يقومون به من تجاوزات بسبب ما كان يؤخذ من ضرائب على البغاء وبيع لحم الخنزير وبيع الخمور، ويمكن القول أن المتحصل من هذه الضرائب كان مبالغ كبيرة وخاصة من بيع الخمر، حيث بلغ إنتاج خزانة البنود في سنة واحدة 32.000 جرة خمر[٤].

وقد ذكر (لابدوس) أن أحد الرحالة زار القاهرة في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي - الثامن الهجري- وشاهد هذه الفئة من الأسرى وكان رأيه بأن هؤلاء في وضع مرضٍ ويعاملون بإحسان، وبعد أن تجاهل ذكر التجاوزات الأخلاقية قال إن أرباح الخمور التي يبيعونها تذهب إلى خزانة السلطان[٥].

وقد أشار (Ayallon) إلى هؤلاء الأسرى وقال: على الرغم من أن أعمال من سمّاهم "سجناء الفرنجة" كانت تتنافى مع تعاليم الإسلام إلا أن الناصر محمد كان يرفض المطالب المتكررة بإبعادهم من خزانة البنود خوفاً من أن يؤثر ذلك الإجراء على علاقاته الطيبة مع ملوك أوروبا كما يبين ما آل إليه حال هؤلاء، فقد ذكر دون تحديد السنة أن إبعادهم تم بعد وفاة الناصر محمد إلى قرب مقام السيدة نفيسة حيث كانوا لا يزالون يعيشون في عصر المقريزي[٦] ت (845هـ/ 1441م).

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 500. وانظر: زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 20.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 73؛ لابدوس: مدن إسلامية، ص 286.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 622؛ حياة حجي: أحوال العامة، ص ص 295- 296.
(٤) لابدوس: مدن إسلامية، ص 107، 286؛ عاشور: المجتمع المصري، ص 231.
(٥) لابدوس: مدن إسلامية، ص 151.- الخزائن السلطانية: وهي التي تحفظ فيها الأموال، وما يحمل إليها من الأموال والنقد وما يتحصل من الثغور، ويحفظ فيها معادن كالزمرد والند، البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 120.
(٦) Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٤١. وحول مقام السيدة نفيسة. انظر: ملحق رقم(8).

وفي سنة 744هـ/ 43- 1344م هدم سجن خزانة البنود على يد الحاج آل ملك الجوكندار بعد أن تولى نيابة السلطنة للصالح إسماعيل في أوائل هذه السنة، كما منع بيع الخمور وتتبع شاربيها وبعد أن سوّاه بالأرض، أمر ببناء جامع سُمي باسمه شغل قسم من مساحة أرض السجن وأجّر القسم الباقي من الأرض لإقامة دور سكنية وطواحين جديدة[١].

واكتمل بناء الجامع فامتنع الناس عن الصلاة فيه لكثرة ما دفن في أرضه من رمم القتلى وما سفك عليه من دماء[٢] فأقفل بابه، فكتب أحد الشعراء أبياتاً على لسان المسجد وأرسلها إلى الأمير آل ملك يقول[٣]:

أنا مسجدٌ سُمّيتُ بَيتَ عبادةٍ	عاري الملابسِ ليس فِيّ حَصيَرُ
هجَر المؤذّنُ والمصلّي جانبي	وجفانيَ التهليلُ والتكبيرُ
الشمع في خلل المساجد مُشَعَلُ	وفناءُ ربعي مظلمٌ مهجورُ
ما جاء في القرآن فيَ عبارةٌ	واليومَ للشيطان فِيَّ عبُورُ
هل مَن يُبلِّغُ للأميرِ رسالتي	فأنا الذي بينَ المساجدِ بُورُ

إن هذا الموقف من العامة يظهر الصورة التي اختزنها الناس عن السجون من حيث كونها مكاناً للتعذيب والقتل، ولهذا هجروا الجامع وامتنعوا عن الصلاة فيه.

4- سجن الديلم

أول من استخدم هذا السجن هم المماليك، ويقع شرق القاهرة المملوكية إلى الجنوب من الجامع الأزهر، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى حارة الديلم التي وجد فيها،[٤] والتي تجزأت بعد

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 310؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 499- 500؛ لابدوس: مدن إسلامية، ص 107 ؛٤١ Ayallon, D: The Mamluk Military, p.- الحاج آل ملك الجوكندار: هو الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، أصله من أسرى الروم أسر سنة 676هـ/ 1277م، وهب إلى الأمير سيف الدين قلاوون. للمزيد: أنظر: ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة 33.أ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص 411؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 310- 311. - الجوكندار: الجوكان عصا تضرب بها الكرة من على ظهر الحصان، والجوكندار- هو حامل الجوكان للملك ليلعب بالكرة. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 58.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 499- 500.

(٣) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص 500.

(٤) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص119. حول موقع الجامع الأزهر وحارة الديلم في العصر الفاطمي والجامع في العصر المملوكي. انظر: ملحق رقم (6)، وملحق رقم (11). - الجامع الأزهر بناه جوهر الصقلي حين بنى القاهرة سنة 360هـ/ 970م. للمزيد: انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 273؛ جومار:

العصر المملوكي إلى حارات ثلاث هي: حارة الأتراك، وحارة الكعكيين، وحارة خوشقدم[١].

ويورد مبارك في كتابه الخطط التوفيقية المُؤَرخ سنة 1307هـ/ 1889م، تفاصيل عن حارتي خوشقدم والكعكيين تفيد في التعرف على امتداد السجن وشيئاً من تصميمه، يقول مبارك: "إلى الآن يوجد في حارة خوشقدم زقاق مشهور بحبس الديلم وهو كدهليز صغير ضيق عليه باب ولا شيء فيه واليوم فتح فيه باب منزل على يمين الداخل إليه"[٢] وبعد وصفه لإحدى دور حارة الكعكيين يقول: "وتجاه هذه الدار زقاق صغيرة مشهور بحبس الديلم يعرف الآن بعطفه المعايرجي، بها دار كبيرة لها باب آخر في حارة خوشقدم"[٣].

ومن هنا يمكننا الإفتراض أن ما وصفه (بالمنزل) بحارة خوشقدم (والدار الكبيرة) بحارة الكعكيين ما هو إلا بناء السجن، وأن له على الأقل بابين ودهليزين كانا بمثابة طريق للوصول إلى باقي أجزاءه، وضِيقُ الدهليزين كان تسهيلاً لعملية الحراسة، كما يمكننا استنتاج اتساع مساحة السجن من خلال ذكر المؤلف (للدار الكبيرة) التي امتدت حتى حارة خوشقدم، ومن الممكن أن تكون قد احتوت على قاعات أو غرف تشغل المساحة بين الحارتين.

وصف مدينة القاهرة، ص 168، 174- 175؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة ، ص39. - الحارة كل محلة دنت منازلها والمحلة منزلة القوم، وقديماً كانت الحارات كبيرة ومتسعة تتشعب منها الدروب أي (باب الطريق الواسع) وكان للحارات غالباً أبواب تقفل ليلاً وكل حارة يقطنها جمع من الناس تربطهم صلة العصبية أو الجنس أو المهنة، محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص ص 40- 41. - حارة الديلم عرفت بهذه الاسم نسبة إلى الديلم الذين قدموا إلى القاهرة سنة 368هـ/ 978 م. ابن تعزي بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص 44؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 495 .

(١) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 119. - حارة الأتراك تقع تجاه الجامع الأزهر، سميت بهذا الاسم لنزول جماعة من الأتراك بها عام 368هـ/ 978م. وكانت مختلطة بحارة الديلم أغلب سكانها من الأكابر والأعيان المقريزي: الخطط، ج2، ص 10؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص ص 120، 260 . - حارة الكعكيين، عرفت بهذا الاسم لما كان فيها مطابخ وأسواق يباع فيها جميع أنواع المأكولات خاصة الكعك، مبارك: الخطط التوفيقية، ج 2، ص 268. - حارة خوشقدم: كانت من ضمن حارة الديلم كبيرة المساحة، سكنها الأمراء والأعيان، جاءت تسميتها نسبة للأمير خوشقدم. انظر: مبارك الخطط التوفيقية، ج2، ص ص 119- 120. ملحق رقم (14).

(٢) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 119.- ظهور الحارتين الأخيرتين، بالإضافة إلى الجامع الأزهر على خريطة القاهرة في العصر العثماني. يمكننا من الاستدلال على موقع السجن بالنسبة للمدينة. انظر ملحق رقم (14).

(٣) المصدر نفسه، ج2، ص 269. يأتي وصف زيادة مكملاً لوصف مبارك حيث يذكر أن موضع السجن- زمنه 1944م دار التومي والمساكن الواقعة على جانبي زقاق السباع الخارج من شارع العقادين. انظر: زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 21.

كانت التبعية الإدارية لسجن الديلم للقضاة؛[١] لذلك فإن حوادث السجن قد ارتبطت بدعاوى شرعية ضد القضاة أنفسهم، أو ضد كبار موظفي الدولة، وتتمثل باتهام المدعى عليه بأنـــه كفّـــر غيره أو الإتهام بالكفر لتبرير السجن والمصادرة، فقد سجن في الديلم شهاب الدين العبادي نائب القاضي الحنفي بعد دعوى أقامها ضده يلبغا السالمي ناظر خانقاه صلاح الدين متهماً إياه بـــالكفر والكلام بحق ملكين من الملائكة: جبريل وميكائيل[٢]، وسجن القاضـــي شـــمس الـــدين محمـــد الديسطي المالكي بسبب دعوى أقامها عليه القاضي المالكي ناصر الدين بن المخلطة بأنه كَفَّـــره ووصفه بتعاطي الرشوة[٣]، وسُجِنَ أيضاً أبو الخير النحّاس بسبب دعوى بكفره أقيمت ضده عند القاضي الشافعي، وكان ابن النحاس قد صودر وسجن مدة عند القاضي المالكي قبل أن ينقل إلى الديلم[٤].

بقي سجن الديلم قائماً حتى نهاية العصر المملوكي فاستخدمه العثمانيون[٥] وولاتهـــم علـــى مصر حتى أوائل أيام محمد علي الكبير[٦].

5- سجن رحبة باب العيد

يقع سجن رحبة باب العيد شرق القاهرة الفاطمية[٧]، وفي الشمال الشرقي، مـــن القـــاهرة المملوكية[٨]. والرحْبَة: بإسكان الحاء أو فتحها الموضع الواسع، وجمعها رحاب[٩]، وقد ســـميت

---

(١) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 466.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 248 . - ناظر الخانقاه هذا المصطلح مكّون من لفظتين: ناظر وهو الموظف الذي ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه والخانقاه وهـــي كلمـــة فارسية معناها بيت وأصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، أي الذي يتصرف في شؤون ماليـــة الطعام الذي يقدم للملك. البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى ، ص 115 – 341. - خانقاه صلاح الدين أو خانقاه سعيد السعداء: وهي دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وهي أول خانقاه عملت بالديار المصرية. ابن تعزي بردي: النجوم الزاهرة، ج 4، ص 53.

(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص 305؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 252. - القاضي شمس الدين محمد الديسطي، علّم أصول الفقه على مذهب المالكية وبرع فيه، ناب القضاء وغيره زمـــن جقمـــق، السخاوي: الضوء اللامع، ج7، ص ص 22- 23 .

(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 271- 280.

(٥) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 269.

(٦) زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 21.- محمد علي الكبير: الشهير بمحمد علي باشا بايعه العلماء بالولاية على مصر سنة 1220هـــ/ 1805م. وأرسلوا إلى استانبول يطلبون اعتماد التعيين فوافقت تركيـــا واستمر حاكماً على مصر حتى سنة 1264هـــ/ 1847م، محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 506 .

(٧) انظر: ملحق رقم (6).

(٨) انظر: ملحق رقم (10) حيث موقع القصر الكبير الشرقي.

(٩) المقريزي: الخطط، ج2، ص 47.

بهذا الاسم نسبة إلى باب العيد أحد أبواب القصر الكبير الشرقي(١) وكانت خالية من البناء إلى ما بعد سنة ستمائة للهجرة فاختط الناس وعمروا فيها الدور والمساجد وغيرها(٢) وهي تمتد من باب الريح أحد أبواب القصر الكبير حتى خزانة البنود(٣).

وعلى الرغم من إشارة المقريزي لسجن رحبة باب العيد مع سجن الديلم في الخطط لكنه لم يذكر تفاصيلاً عنه كباقي سجون القاهرة التي ذكرها.

كان المماليك أول من اتخذوا هذا السجن وكان اختصاصه يشبه اختصاص سجن الديلم حيث ارتبطت عملية السجن بدعاوى قضائية تبعيتها المباشرة للقضاة؛ لذلك أطلق عليه مع سجن الرحبة اسم سجون القضاة(٤).

وتكمن أهمية ما يعرض من أخبار عن هذا السجن في تاريخ حدوثها، للفصل بينه وبين سجن قصر الحجازية الذي اتخذ منذ حوالي سنة 807هـ/ 1404م. وأبطل تماماً سنة 820هـ/ 1417م. ففي سنة 797هـ/ 1394م، أي قبل اتخاذ قصر الحجازية سجناً سُجِنَ في الرحبة شهاب الدين العبادي نائب القاضي الحنفي وذلك بعد سجنه في الديلم في نفس قضيته مع يلبغا السالمي ناظر خانقاه صلاح الدين.(٥)

أما الأدلة على استمرار استخدامه بعد إبطال سجن قصر الحجازية ما ذكره كل من ابن إياس والسخاوي من تعرض هذا السجن للنقب وهروب المساجين، وذلك في ربيع الأول سنة 852هـ/ 1448م زمن جقمق(٦) إضافة إلى ما ذكره مبارك من استمرار استخدام السجن حوالي سنة 1101هـ/ 1689م ، أي بعد انتهاء العصر المملوكي ودخول مصر تحت الحكم العثماني(٧).

---

(١) باب العيد: كان الخلفاء الفاطميون يخرجون منه لصلاة العيد تنتظرهم مواكب العسكر في الرحبة. المقريزي: الخطط، ج2، ص 47؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 94.

(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 47. وانظر: ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 50؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 94.

(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 47. - باب الريح: يقع في الواجهة الشمالية للقصر الكبير الشرقي، كان يدخل منه التلاميذ للاستماع إلى داعي الدعاء الشيعي الفاطمي، مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 94. وانظر: موقع الباب ملحق رقم (6).

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج4، ص 109.

(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 407- 410؛ ابن حجر: إنباء الغمر،ج3، ص 250.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، ص 201؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 166.

(٧) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 269.

6- سجن قصر الحجازية

يقع هذا السجن في رحبة باب العيد[١]، وشغل مواقع من قصر الحجازية[٢] بالإضافة إلى المدرسة الحجازية،[٣] وبدأ استخدام هذا السجن منذ أوائل القرن التاسع الهجري على يد جمال الدين يوسف البجاسي عندما أصبح أستاداراً سنة 807هـ/ 1404م، وذلك بحكم الصلاحيات الكبيرة لكبار موظفي الدولة في اتخاذ مواقع يسجنون فيها، وقد بين المقريزي ذلك بقوله: "فصار يجلس برحبة هذا القصر والمقعد الذي كان بها وعمل القصر سجناً"[٤] ويضيف المقريزي: "... وعمّر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته وصار يحبس في المدرسة الحجازية ... واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الأستادارية في داره وجعلوا هذه المدرسة سجناً ..." [٥]. وقدَّر المقريزي مساحته بعشرة أفدنة.[٦]

استُخدِمَ القصر للسجن وهو على هيئته الفاخرة وعمارته الملوكية، وقد بني بأرضيات رخامية ووصل الماء إلى أعلاه وبنى فيه إصطبلاً كبيراً للخيول، كما احتوى على ساحة واسعة[٧] وبُنِيَ حوله سور ضخم عبارة عن حائطين سمك الواحد أربعة أمتار وبينهما فضاء مشغول بقناطر تربط الحائطين سعته أربعة أمتار أي أن سمك السور بالحائطين والفضاء اثني عشر متراً[٨].

أما عن حاله بعد استخدامه كسجن فيقول المقريزي: " ... فصار موحشاً يروع النفوس ذكره؛ لِما قتل فيه من الناس خنقاً وتحت العقوبة من بعد ما أقام دهراً وهو مَغنى صبابات،

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71.

(٢) قصر الحجازية، بناه الفاطميون وكان يعرف بقصر الزمرد، فسمي باب القصر الكبير المقابل له من جهة الشرق، باب الزمرد امتلكه العديد من الملوك والأمراء الأيوبيين إلى ان اشترته خوندتتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوجة الأمير ملكتمر الحجازي فعمرته عمارة ملوكية وتأنقت فيه تأنقاً زائداً. المقريزي: الخطط، ص 71. وانظر: مبارك، الخطط التوفيقية، ج2، ص ص 94- 226.

(٣) المدرسة الحجازية: أنشأتها خوندتتر سنة 761هـ/ 1359م. بجوار قصر الحجازية، كان موضعها باب الزمرد، أحد أبراج القصر الكبير، المقريزي: الخطط، ج2، ص 383. وانظر: مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 227.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71. وحسب المقريزي اغتصبه جمال الدين من الأوقاف.

(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص 383.

(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71. قدر مبارك المساحة بتسعة وخمسون ألف متر ومائتين وخمسين متراً مربعاً ، وذلك حسب ما يساويه فدان العصر المملوكي، وهو خمسة آلاف وتسعمائة وعشرون متراً مربعاً. انظر: مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 227.

(٧) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71.

(٨) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 227.

وملعب أتراب، وموطن أفراح ودار عز، ومنزل لهو، ومحل أماني النفوس، ولــذاتها"[١]، وأمــا عن حال المدرسة فيقول المقريزي - أيضاً -: " فزالت تلك الأبهة وذهب ذلك الناموس"[٢]

عُطِّلَ السجن بعد وفاة جمال الدين الأستادار، ثم أعيد استخدامه مدة قام خلالهــا الناصــر فرج بن برقوق بقلع شبابيك الحديد ليصنع منها "آلات حرب" كما قلع رخامه واستخدمه اصطبلاً لخيوله[٣].

أما في الفترة التي تلت ذلك فقد جرت محاولات لتجهيز السجن من أجل إعادة اســتخدامه، وذلك بعد أن لاحظ الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج الأستادار ما يجده المسجونون في السجن "المستجد عند باب الفتوح" بعد هدم خزانة شمائل، من شدة الضيق وكثرة الغم فاختاره في سنة 820هـ/ 1417م. "ليكون سجناً لأرباب الجرائم"[٤]، واستأجره[٥] من جهة وقــف جمــال الدين الإستادار بمبلغ عشرة آلاف درهم فلوساً عن أجرة سنتين وشرع في تجهيزه وأزال أكثــر معالمه "ثم ترك على ما بقي ولم يتخذ سجناً"[٦].

ومنذ هذه الفترة لم ترد إشارات إلى إعادة استخدامه ويبدو أنه تهدم شيئاً فشيئاً ولم يبق في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التــاسع عشر الميلادي سوى السور وحجــــارة كثيــــرة استخدم قسم منها في بناء بعض مؤسسات الدولة في القاهرة في القرن المذكور[٧].

7- سجن المعونة[٨]

يقــع في أقصى جنــوب شرق القاهرة الفاطميــة[٩]، وأقرب معالم القــاهرة إليه ســوق

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص71 .
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 383. وانظر: مبارك: الخطط التوفيقية،ج2، ص 277.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71.
(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71. يقصد بالسجن المستجد: البرج الذي استخدم بفترة أسبق. انظر: ســجن المقشرة .
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 278.
(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71.- الدرهم ثلثاه فضة والثلث الآخر نحاس والدرهم منها قيمتــه ثمانيــة وأربعون فلساً. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص 80- 81؛ مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 247.
(٧) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 247.
(٨) المعونة هي المحافظة على الأمن وصاحب المعونة هو والي الجنايات. زيادة: السجون في مصر، ع262، ص 16.
(٩) مصيلحي: تطور العاصمة المصرية، ص 141. وانظر: الملحق رقم (6)

الخراطين[١]. ونتيجة لامتداد العمران في الفترتين الأيوبية والمملوكية نحو الجنوب صار موقعه شرق القاهرة[٢].

كان سجن المعونة من السجون التي سبق استخدامها في العصر الفاطمي لسجن أرباب الجرائم من السرّاق وقطّاع الطرق[٣]. وخلال العصر الأيوبي مرّ بفترة إهمال إلى أن استخدمه المماليك وبقي حتى زمن المنصور قلاوون (678- 689هـ) / (1279- 1290م). وأبرز ما ذكر حول استخدام هذا السجن هو حادثة هدمه، فقد ذكر المقريزي: أن هذا السجن كان ضيقاً شنيع المنظر يشم من يمر بالقرب منه رائحة كريهة[٤]، وعندما أصبح المنصور قلاوون من جملة أمراء الظاهر بيبرس، كان يمر من جهته عند قدومه من داره إلى قلعة الجبل فيشم رائحته الرديئة ويسمع صراخ المساجين من الجوع والعري والقمل فنذر لله إن صار سُلطاناً أن يهدم هذا السجن "ويجعل بدله مكاناً حسناً" وعندما آلت إليه السلطنة هدمه وبنى مكانه سوقاً وأسكنه بائعي العنبر، فاشتهر باسم سوق العنبريين وذلك سنة 680هـ/ 1281م.[٥]

8- سجن اللصوص بالفسطاط:

سجن فيه قاآن بن المعز أيبك سنة 672هـ/ 1273م بعد أن قُبِضَ عليه في القرافة عند قبر أبيه المعز[٦].

ويلاحظ من تسمية السجن انه لم يختص بالمساجين من الخاصة، ومع ذلك سجن فيه قاآن تبعاً لمكان القبض عليه والذي يرجح أنه القرافة الكبرى في الفسطاط، وليس القرافة الصغرى قرب القاهرة[٧].

---

(١) سوق الخراطين: سوق كبير مغمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع مهود الأطفال وحوانيت الخراطين صناع السكاكين. انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 102- 103. وانظر: الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 111.ب. حول موقع الباب انظر: ملحق رقم (6).
(٢) زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 16.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 16.
(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 102. وانظر: الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة. 111.
(٥) انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 102. حيث ذكر بأن قلاوون هو من هدم السجن وفي نفس الجزء ص 188 ذكر بأن الناصر محمد هو من هدمه. والأصح هو قوله الأول. - العنبر: خيوط الحرير أو الغزل الفاخر منه. انظر: المقريزي: الخطط، ج1، ص ص 102- 103؛ الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 111. أ. وانظر: طرخان: النظم الإقطاعية، ص 368.
(٦) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 77؛ النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 109.
(٧) انظر: ملحق رقم (10).

9- سجن النساء (الحجرة)

استخدم المماليك سجناً خاصاً بالنساء وهو سجن الحجرة، الذي اشتهر باسم "حِجْرُ النساء"(١)، وكان من بين السجون الشهيرة التي تم كسرها سنة 813هـ/ 1410م أثناء ثورة شيخ ونوروز على الناصر فرج بن برقوق(٢).

وعلى الرغم من حقيقة وجود سجن للنساء إلا أن المصادر لم تربط بين ما أصدر من قرارات ومراسيم تتعلق بالنساء وبين حوادث سجن في الحجرة، مما جعل من الصعوبة بمكان تحديد الكثير من الأمور عن هذا السجن، وما أمكن استخلاصه من رواية في ظل ظروف عسكرية وأمنية هو أن الأطفال كانوا يحجزون مع أمهاتهم داخل هذه السجن، ففي سنة 782هـ/ 1380م وعندما قبض على نساء وبنات بدر بن سلام زعيم عربان البحيرة أُدخلن إلى القاهرة وهن مقيدات بالحبال وأولادهن الصغار على رقابهن وتم سجنهن في الحجرة(٣).

ب- سجون الأقاليم:

خصص لكل إقليم من أقاليم مصر سجوناً خاصة بها، ومن هذه السجون:

1- سجن الفيوم

تقع مدينة الفيوم في منخفض أرضي،(٤) وتبعد عن القاهرة مسافة 103كم، وهي مدينة من ضمن العمل الرابع من أعمال الوجه القبلي المسمى بالفيومية ومقر ولاية الفيوم، وكان يحيط بها سور دائري، واشتهرت بكثرة بساتينها، وغزارة الفاكهة فيها، وحسن عمارتها(٥).

أشارت المصادر إلى وجود سجن في الفيوم استخدمه منطاش وسجن فيه عدداً من الأمراء أتباع الظاهر البرقوق بعد أن قبض عليه وسجنه بالكرك سنة 791هـ/ 1389م، ومن هؤلاء الأمراء: سيف الدين أردبعا العثماني رأس نوبة وسيف الدين الجركتمري أمير طبلخاناة،

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 269؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ح1، ق2، ص 266؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 100.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 269. وانظر: عاشور: المجتمع المصري، ص 97، نظم الحكم والإدارة، ص 464؛ زيادة: السجون في مصر، ص 21.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 266- 269.
(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 286؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 161.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 450- 451. - الوجه القبلي: هو المعبر عنه بالصعيد، وبه تسعة أعمال. القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص ص 430، 449.

وقازان البيرقشي أمير طبلخاناة، وسيف الدين قرابغا الأبو بكري أمير مجلس[١].

2- سجن قوص

تقع قوص على الضفة الشرقية لنهر النيل[٢]، وتبعد عن القاهرة مسافة 645 كم، وهي قصبة صعيد مصر،[٣] من ضمن العمل التاسع من أعمال الوجه القبلي المسمى بالقوصية والذي تنتهي عنده آخر الديار المصرية من البر الشرقي والغربي، وهي بلاد التمر ومنها يجلب إلى كافة أرجاء مصر[٤].

كانت قوص إحدى مناطق النفي الشهيرة في العصر المملوكي وقد عرفت بقسوتها[٥]؛ لطبيعة المناخ، وبعدها عن القاهرة وصعوبة اتصال المنفيين مع غيرهم، فقد جرى في سنة 791هـ/ 1389م نفي عدد من الأمراء إلى قوص بعد أن تم سجن الظاهر برقوق في الكرك[٦].

وقد ذكرت المصادر التي أوردت خبر النفي بأنه تم التشديد على الأمراء المنفيين إلى قوص عن طريق سجنهم فيها وبأن هؤلاء الأمراء تمكنوا من الهروب إلى الكرك حيث الظاهر برقوق[٧].

3- سجن أسوان

تقع أسوان شرقي النيل في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة[٨]، وهي آخر حد من جهة الجنوب[٩]، تبعد عن القاهرة مسافة 1202 كم، كانت تتبع العمل التاسع بالوجه القبلي المسمى

---

(١) ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج3، ص 352، 357. – رأس نوبة: لصاحبها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 155.- أمير طلبخانه: تدل على أنه كان عملهم دق الطبول، وغيرها من الالآت الموسيقية في المواكب الرسمية أو الأمور الهامة. البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 43. - أمير مجلس – وهو لقب يطلق على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص 428؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص50؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص22.

(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 161؛ ابن دقماق: الإنتصار، مج1، ص 28.

(٣) البغدادي: مراصد الأطلاع، ج3، ص 1133.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 455؛ الخالدي: المقصد الرفيع: ورقة 84. ب.

(٥) Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٣٧, ٤٨.

(٦) ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج3، ص ص 292- 293؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 257؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 416، ضومط: الدولة المملوكية، ص 319.

(٧) ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج3، ص ص 292- 293. الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 257، ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 416.

(٨) ياقوت: معجم البلدان، مج1، ص 191.

(٩) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 161.

بالقوصية[١]، أي أنها مضافة إلى والى قوص حتى زمن الظاهر برقوق الذي جعلها مستقلة عنها وكان واليها يحمل رتبة أمير طبلخاناة[٢].

وردت إشارة إلى حادثة سجن في أسوان لم يذكر فيها موقع السجن بالنسبة للمدينة أو اختصاصه، وكانت هذه الحادثة عن سجن القاضي كريم الدين بن السديد ناظر الخاص بأمر من الناصر محمد بن قلاوون سنة 722هـ/ 1322 واشتهرت الحادثة وليس السجن لأن السجين انتحر داخله[٣].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص455.
(٢) المصدر نفسه، ج4، ص 27.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 453. انظر: ترجمة كريم الدين عند ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة 51. أ.

ثانياً: السجون المرفقة بالمنشآت الإدارية المدنية

أ- سجون القلاع (قلعة الجبل):

تقع قلعة الجبل في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القاهرة المملوكية[١]، على منحدر صخري من تقاطيع جبل المقطم يسمى: الجبل الأحمر. وكان لإقامة المحاجر على منحدر الجبل خلف القلعة، أثر في عزلها عنه مما اكسبها الحصانة اللازمة[٢].

بنيت القلعة بأمر من صلاح الدين[٣] الذي عهد لبهاء الدين قراقوش الأسدي بتنفيذ عملية البناء[٤] سنة 572هـ/ 1176م.[٥]

يبلغ محيط القلعة ثلاث آلاف متر[٦]، وهي كثيرة التعرجات، كما أنها ترتفع في مواضع وتنخفض في أخرى[٧]. ولها بابان رئيسيان، وهما من تخطيط صلاح الدين، الأول في الشرق باتجاه الخندق ويسمى باب القرافة لأنه يطل على مقبرة بين سور القلعة وجبل المقطم، ويسمى أيضا باب الدرفيل. والثاني في الغرب مواجه للقاهرة ويسمى باب المدرج[٨].

في العصر المملوكي كانت القلعة أهم موقع بالنسبة للقاهرة، يقيم فيه السلاطين المماليك، واحتوت على منشآت عكست شكل الحياة العسكرية والسياسية والاجتماعية[٩] التي عاشها السلاطين المماليك الذين استطاعوا استغلال مرافق القلعة بالإضافة إلى السجون الموجودة فيها في إجراء عمليات السجن.

1- سجن القلعة:

أشارت المصادر إلى وجود سجن في القلعة لم تحدد موقعه منها، سجن فيه عدد من الملوك والأمراء الأيوبيين من أسرى معركة العباسة من بينهم المعظم تورانشاه بن صلاح الدين

---

(١) انظر: ملحق رقم (11).
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 204؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 140، الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 133. أ. وانظر ملحق رقم (11).
(٣) البنداري: سنا البرق، ص 119.
(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ج2، ص 52؛ البنداري: سنا البرق، ص 119.
(٥) البنداري: سنا البرق، ص 119.
(٦) جومار: وصف مدينة القاهرة، ص 227.
(٧) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 140.
(٨) ابن الفضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 141؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص ص 423-424؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 204- 205. وانظر: ملحق رقم (9) مخطط القلعة.
(٩) أنظر ملحق رقم (9) مخطط القلعة.

بن يوسف بن أيوب وأخوه نصرة الدين والأشرف صاحب حمص(١).

وسجن فيه الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطة للمنصور قلاوون وذلك بعيد تولي الأشرف خليل بن قلاوون السلطنة(٢). وسُجن فيه أيضاً مماليكُ الأشرف خليل الذين ثاروا على نائب السلطنة كتبغا وذلك زمن الناصر محمد(٣).

وكان إيداع شخص من غير فئة الخاصة في هذا سجن يعتبر أمراً نادراً، إلا ما كان له ارتباط بالأمور السياسية أو التي تمس السلاطين، فقد سجن كاتب نصراني ومات في السجن من جراء الضرب، وذلك بعد أن اعترفت عليه جارية من جواري خوند شيرين زوجة الظاهر برقوق، بأنه اشترك معها – أي الجارية – في سحر خوند شيرين حتى ماتت(٤).

2- سجون الجباب (من القلعة)

الجب لغة: هي الركيّه التي لم تطو، أي لم تعمر جدرانها فإذا طويت فهي بئر(٥).

تعتبر الجباب من السجون الهامة في العهد المملوكي وقد أخذت أهميتها من مواقعها داخل القلاع، وطريقة البناء تحت الأرض بالإضافة إلى نوعية المساجين فيها.

وتشير المصادر إلى وجود أكثر من جب داخل القلعة، كان أكثرها شهرة - ولم يكن أقدمها - (الجب الرئيسي) الذي بناه المنصور قلاوون، ومن هنا سيجري إعطاء لمحة عن هذا الجب ونوعية المساجين.

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 291؛ النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 421؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 181؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق1، ص ص 375- 377؛ العيني: عقد الجمان، ج1، ص 42.
- العباسة: بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام، بينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخاً، ذات نخل ومستنقع ماء يأوي إليه طير كثير، تنسب إلى العباسة بنت أحمد بن طولون. ياقوت: معجم البلدان، مج4، ص 75. - توران شاه بن يوسف بن أيوب: وهو غير الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين بن أيوب بن الملك الكامل محمد. ولد بالقاهرة سنة 577هـ/ 1181م ومات في سنة 658هـ/ 1260م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص 83. - الأشرف صاحب حمص: هو موسى بن إبراهيم بن شيركوه مَلَكَ حمص بعد وفاة أبيه سنة 644هـ/ 1246م، توفي سنة 662هـ/ 1263م، اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ص ص 310- 414.

(٢) ابن الفرات: تاريخ، مج2، ص ص 100- 101؛ ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ج2، ص ص 285- 286.

(٣) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 264.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 69. - خوند شيرين: الرومية أم الناصر فرج بن برقوق وكانت ابنة عم سيدها ولما تسلطن إبنها صارت تلقب بخوند الكبرى وسكنت قاعة العواميد بقلعة الجبل، السخاوي: الضوء اللامع، ج12، ص 70.

(٥) الدرة: تفسير القرآن الكريم، مج6، ص 434.

الجب الرئيسي: كان موقعه طباق المماليك الموجودة بساحة الإيوان[١]، وباني هذا الجب السلطان المنصور قلاوون في سنة 681هـ/ 1282م في السنة التالية لهدمه سجن المعونة، وقد استخدم الجب دون انقطاع حتى أمر الناصر محمد بردمه في السابع عشر من جمادى الأولى سنة 729هـ/ 1328م[٢]، واستخدم في الردم الأتربة والحجارة التي تخلفت عن هدم الإيوان الكبير، وبنى مكانه أطباق للمماليك السلطانية، وذلك بعد أن نقل المساجين إلى بعض أبراج القلعة[٣].

أما عن سبب الردم فقد أورد المقريزي ما ملخصه: أن اثنين من غير المساجين وصفا ما شاهداه فيه. كان الأول شاد العمائر الذي نزل لإصلاح الجب ودهش من شدة الظلام وكثرة الوطاويط. وكان الثاني شخص مازحه الأمير بكتمر الساقي وأنزله لمدة ليلة إلى الجب فوصف الاثنان الجب وذكرا معاناة الأمراء المسجونين فيه فأمر الناصر محمد بإخراج الأمراء منه وردمه.[٤]

وهذه الحادثة تكشف عن أوضاع المساجين داخل الجب وشدة قسوته، فقد وصفه المقريزي في مواضع أخرى بالجب الشنيع[٥] يقاسي المسجون فيه ما هو كالموت وأشد منه[٦]، كما أشار

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 213. - طابق محمد مصطفى زيادة بين موقع الجب في العصر المملوكي، وبين موقعه سنة 1944م وذكر بأنه في الجهة الشرقية لما عرف بالحوش. وتوجد فيه ثكنات الجيش المصري. انظر: زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 20. - الطباق: مكان لتربية وتعليم المماليك وهو بمثابة ثكنات لجيوش المماليك في القلعة.المقريزي: الخطط، ج2، ص 214، طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 232؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 105. - الإيوان: هو المعروف بدار العدل، بناه المنصور قلاوون، وللإيوان وظيفة أساسية وهي أنه مكان للنظر في المظالم بالإضافة إلى وظائف أخرى وهي استقبال الرسل وعرض المماليك؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص 141- 142؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 423؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 206- 207؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص 22. وانظر: ملحق رقم (9) مخطط القلعة.

(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 189، 213؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 74؛ الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 134 ب.

(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 189- 213؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 74؛ الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 134. ب.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 189- 203؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 310؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 74؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 20؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, P ٤٠. - شاد العمائر: يكون صاحب هذه الوظيفة متكلماً في العمائر السلطانية مما يختار السلطان تجديده أو إحداثه من القصور والأسوار والأبنية؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 23؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 195. - بكتمر الساقي. انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص ص 486- 487.

(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص 205. وانظر: Ayallon, D: The Mamluk Military, P ٤٠.

(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص213. وانظر بنفس الصيغة: الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 134. ب.

بأنه مخصص لفئة الأمراء[١]. وقد أيد ابن تغري بردي ما أورده المقريزي وقال: "أنه شنيع المنظر، شديد الظلمة كره الرائحة وأنه يمر بالمحابيس فيه شدائد عظيمة"[٢].

وممن سجن في الجب الأمير بدر الدين بيسري[٣] في الفترة التي تلت سنة 680هـ/ 1456م، وذلك بأمر من المنصور قلاوون، وبقي فيه إلى ما بعد وفاة قلاوون وتولى الاشرف خليل السلطنة حيث أفرج عنه في شعبان سنة 692هـ/1293م.[٤]

وسجن فيه أيضاً قراقوش الظاهري بعد أن عزل عن ولاية قوص وكان ذلك بسبب العداء بينه وبين وزير الأشرف خليل (ابن السلعوس) الذي تولى عملية سجنه في غياب الأشرف في عكا، وعندما حضر الأشرف أخرج من الجب مقيدا لتتم محاكمته، حيث ضرب ثم سجن بخزانة شمائل[٥].

كما سجن في الجب الأمير منكوتمر نائب السلطان لاجين[٦]، وقد صادف ذلك وجود جماعة من الأمراء، ممن تسبب منكوتمر بسجنهم، موجودين في الجب فحاولوا قتله فكذب بأن السلطان غضب عليه وسجنه عندهم[٧] ولم تطل عملية سجنه حيث بقي في الجب بحدود

الساعة[٨]، ثم أخرج وقتل على بابه[١].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص205؛ وانظر: الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 134. ب. ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص399؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, P. ٤١

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص74.

(٣) الأمير بيسري، الشمسي الصالحي النجمي؛ انظر ترجمته عند ؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 16 المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 833- 880؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص147؛ العيني: عقد الجمان، ج4، ص 208، 218، 483.

(٤) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 365؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص8، ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 122؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 69؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص147؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 370.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج2، ص ص 76- 79.

(٦) بيبرس الدوادار: التحفة المملوكية، ص 153؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 357؛ الجزري: حوادث الزمان، ورقة 272. أ؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص 421- 422؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص ص 80- 82. سجن منكوتمر بعيد مقتل لاجين.

(٧) بيبرس الدوادار: التحفة المملوكية، ص 154؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 388؛ النويري: نهاية الأرب، ج 31، ص 359- 360؛ الجزري: حوادث الزمان، ورقة 272. ب؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 858؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص 422، 427، 437. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص84.

(٨) الجزري: حوادث الزمان، ورقة 272.ب؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 42، 49؛ العيني: عقد الجمان، ج4، ص 407.

وسجن فيه الشيخ ابن تيمية ليلة عيد الفطر سنة 705هـ 1305م، هو وأخواه شرف الدين، وزين الدين، وقد بقي ابن تيمية فيه حتى يوم الجمعة 23 ربيع الثاني سنة 707هـ/ 1307م، أما أخواه فقد أخرجا منذ 27 ذي الحجة سنة 706هـ/ 1306م. (٢)

الملامح العامة للسجن في الجب:

أولاً : كانت طريقة إيداع الشخص في الجب تتم عن طريق وضع المسجون في قفة، ثم تدلى بحبل حتى ينزل منها إلى قعر الجب، وعندما يراد إخراجه ينادى عليه فيجلس بالقفة ليجري رفعها إلى أعلى، وظهر هذا الوصف عند المقريزي؛ عندما أشار إلى منكوتمر بقوله: "وقد أرخيت القفة من رأس الجب، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها"(٣). وفي بعض الحالات كان السجين يُنزل إلى الجب وهو مقيد كما حدث للأمير بدر الدين بيسري(٤).

ثانياً: إن عمليات إعدام بعض المساجين كانت تتم على باب الجب، ومن أمثلة ذلك قتل منكوتمر، كما كانت مراسيم الإفراج تُقرأ على السجين على باب الجب بعد إخراجه منه، فقد قُرأ مرسوم الإفراج الذي أصدره الأشرف خليل سنة 690هـ/ 1291م على بدر الدين بيسري، وجرى الحوار بين الأمراء حاملي المرسوم وبين الأمير بيسري لإقناعه بفك قيده ولبس التشريف في موضعه على باب الجب ولكنه رفض إلا أن يكون ذلك أمام السلطان(٥).

---

(١) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 154؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 288؛ الجزري: حوادث الزمان، ورقة 272.ب.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 47؛ المقريزي: السلوك: ج1، ق3، ص 30؛ العيني: عقد الجمان، ج4، ص 430. - شرف الدين عبد الله .توفي سنة 727هـ/ 1326م. انظر أخباره عند: ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 272؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص ص 76- 77؛ ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة 92. أ. - زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن توفي سنة 747هـ/ 1347م. انظر أخباره عند: السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 24؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 152.

(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 859. انظر: العيني: عقد الجمان، ج3، ص 429؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 154.

(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 322.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 216- 217؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 122؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 69- 70؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص ص 769- 770.- المراسيم: يكتب المراسيم السلطانية مستوفي الصحبة ويعلم عليها السلطان؛ تارة تكون بما يعمل في البلاد وتارة بإطلاقات وتارة باستخدامات كبار في صغار الأعمال وما يجري مجراها وفي ديوان الصحبة تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية. انظر البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 307.- التشاريف: هي ملابس خاصة ينعم بها السلطان، البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 76.

ثالثاً: إن المؤكد أن الظلام الدامس كان يغطي الجب خاصة إذا أغلق الباب، فمن جهة وصف المقريزي الجب بأنه مظلم عاشت فيه الوطاويط[١]، مع معرفتنا بالرابطة الفطرية بينها – الوطاويط – وبين الظلام. ولكننا من جهة أخرى نضع معطيات جاءت في المصادر حول الرؤية داخل الجب. فعن منكوتمر يقول النويري: "فلما رآه الأمراء قاموا إليه وقصدوا قتله"[٢]، ويقول المقريزي: إنهم "لما عاينوه أنكروا ذلك"[٣]، ويقول العيني: "فلما صار في الجب عرفه الأمراء المعتقلون".[٤]

من خلال ما ورد وحول رؤية منكوتمر داخل الجب، ورغم ما ذكره المؤرخون ، يمكن القول أن الأمراء عرفوه بعد كلامهم معه أي من صوته.

وكان بالقلعة عدة جباب ارتبطت عمليات السجن فيها بالأحداث السياسية في بدايات الدولة. فبعد معركة العباسة بين المماليك والأيوبيين وزع الأسرى الأيوبيين على هذه الجباب[٥]. وبعد مقتل اقطاي تتبع المعز أيبك المماليك البحرية وسجن الكثير منهم في السجون العادية وفي الجباب[٦].

والملاحظ أن هذه الجباب كانت موروثة عن الأيوبيين فقد استخدم أيبك أحد الجباب، كما أبقى على مساجين كانوا فيه منذ زمن الصالح نجم الدين أيوب، منهم ناصر الدين بن يغمور أستادار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ووزيره أبو الحسن السامري.[٧]

كذلك استخدم المعز أيبك أحد الجباب لسجن جماعة من المماليك سنة 655هـ/ 1257م، فعندما أقتيد هؤلاء إلى الجب كان مرورهم بالقرب من القصر السلطاني فاستغل أيدكين الصالحي فرصة المرور من قرب نافذة القصر حيث تجلس شجر الدر، وأخبرها بعزم المعز أيبك على

---

(١) المقريزي: الخطط، ج1، ص 189.
(٢) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 360.
(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 859.
(٤) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 433.
(٥) المقريزي: السلوك، ج1، ق 2، ص 378.
(٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 540.
(٧) المقريزي: السلوك، ج1، ق 2، ص 376. - الصالح عماد الدين إسماعيل: أبو الجيش بن الملك العادل أبى بكر. ملك دمشق بوصية من الملك الأشرف بن العادل فانتزعت منه على يد أخوه الكامل. ثم على يد الصالح نجم الدين أيوب. كما انتزعت منه بعلبك وبصرى. فأقام عند الناصر يوسف صاحب حلب ثم دمشق. انظر: العيني: عقد الجمان، ج1، ص 42؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 292.

الزواج من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل[١] فلما أنزلوا إلى الجب قال أيدكين: "إن كان حبسنا فقد قتلناه"[٢]، فكان هذا من أسباب الوحشة بين شجر الدر وأيبك وهو ما دفع بها إلى قتله[٣].

3- سجن الزردخاناه[٤]:

اشتقت لفظة الزردخاناه من مقطعين هما: الزرد، وهي تسمية فارسية للدروع، وخاناه ومعناها بيت، وهما معاً يعنيان: بيت الزرد[٥]، أما المعنى الاصطلاحي: فهو المكان الذي تصنع أو تخزن فيه الأسلحة.[٦] ولها تسميات مختلفة تحمل نفس المعنى مثل: السلاح خاناه، وخزائن السلاح أو حواصل الذخيرة[٧] .

استخدم السلاطين المماليك الزردخاناه في سجن الأمراء الكبار وموظفي الدولة، فعندما قبض السلطان لاجين على نائبه قراسنقر ومجموعة من أتباعه الأمراء سجنهم مقيدين في الزردخاناه، أما قراسنقر فسجن في قاعة قريبة من السلطان.[٨] وعندما أمر الناصر محمد بالقبض على الأكز شاد الدواوين أمر بضربه ثم أمر بسجنه فيها مقيداً[٩]، وسجن فيها مقيداً وبأمر من الظاهر برقوق يلبغا الأحمدي الأستادار بعد أن شك السلطان برقوق باشتراكه مع الأمير علي باي في التخطيط لقتله، وعندما تحقق من براءته نزع القيد عنه وأفرج عنه[١٠]. وبأمر من السلطان فرج سُجن سعد الدين غراب ناظر الجيش وأخيه فخر الدين، وبقيا حتى التزم سعد الدين بدفع ألف ألف درهم، والتزم فخر الدين بدفع ثلاثمائة ألف درهم. فسلما إلى الأمير يلبغا السالمي. ثم لشاد الدواوين ليتولى تحصيل ما التزما به[١١]

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج1، ص141.
(٢) المقريزي: السلوك، ج1، ق 2، ص 402.
(٣) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 456؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص188؛ الذهبي: دول الاسلام، ج2، ص122؛ العبادي: قيام دولة المماليك، ص138.
(٤) استخدمت الزردخاناه التي أقيمت في مواقع القتال في عملية السجن. والحديث عن ذلك في السجون الطارئة
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص11؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 169؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص86؛ ماجد: نظم سلاطين المماليك، ص 22- 23.
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 11.
(٧) ماجد: نظم سلاطين المماليك، ص22.
(٨) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 363.
(٩) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 399.
(١٠) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ص 3، ص ص 564- 565؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 469. ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 505- 506.
(١١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص ص (164- 165)، 168.

ويلاحظ أن تقييد السجناء داخل الزردخاناه أمراً أساسياً، وذلك للحد من حركتهم داخلها، خاصة وإن مرافقها تحتوي على مختلف أنواع الأسلحة والأدوات الحديدية الحادة التي قد تسهل عملية هروبهم وتسلحهم بها.

4- سجن خزانة الخاص (الخزانة الكبرى)

خزانة الخاص مستودع أموال الدولة، ومتوليها يسمى ناظر الدولة[١]، وكان له أهمية كبرى في العصر المملوكي حتى عهد الناصر محمد الذي استحدث وظيفة ناظر الخاص، فقل شأن الخزانة تبعاً لتراجع متوليها ورغم ذلك أطلق عليها اسم: (الخزانة الكبرى) وهو اسم أكبر من مسماه، بسبب تراجع أهميتها حيث لم تعد تحتوي إلا على الخلع المعدة للأمراء، أو الأموال التي تودع فيها بشكل مؤقت أولاً بأول[٢]. وظلت خزانة الخاص مرفقاً إدارياً وعسكرياً داخل القلعة حتى خلع الظاهر برقوق[٣] وسجنه سنة 791هـ/ 1389م، وما تبع ذلك من اتخاذ منطاش خزانة الخاص لسجن أعداد كبيرة من مماليك الظاهر برقوق[٤]، وبالغ في التضييق عليهم حيث قام بإغلاق شبابيك الخزانة وأبوابها وفتح لها من سقفها طاقة[٥]، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يطلقون على هذا السجن اسم (جب خزانة الخاص)[٦].

ورغم كون سجن خزانة الخاص سجناً طارئاً[٧] إلا أنه يعتبر من السجون السياسية الشهيرة خلال العصر المملوكي، استمد شهرته بعد سجن مماليك الظاهر برقوق ودورهم في الأحداث السياسية في فتنة خلع برقوق وعودته إلى الحكم.

5- أبراج القلعة

تُعتَبر الأبراجُ جزءاً أساسياً في بناء القلاع ويعود تاريخ بناء أبراج قلعة الجبل إلى زمن صلاح الدين والملك العادل الأيوبي، وقد تميزت باتساعها إلى مئات الجنود، وكان بعضها

---

(١) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 121؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص 31؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 227.
(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص121؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص 31؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 227؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص118.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 227.
(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق 3، ص 696- 697؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص300. الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 267، 288؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 21- 22.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص 300؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 267.
(٦) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 324؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٤٠.
(٧) زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص ص 21- 22.

دائري الشكل والبعض الآخر مربع الشكل بنى بحجارة بها نتوءات بارزة،[١] بنيت على قاعدة حجرية منتظمة الشكل وعلى درجة كبيرة من الصلابة ويقدر عددها باثنين وثلاثين برجاً[٢] .

وقد أورد ريمون[٣] وصفاً لبرجين من أبراج القلعة هما برج المبلط (البلاط) وبرج طرفة. وعلى الرغم من عدم ورود إشارات لهذه المسميات عند ذكر حوادث السجن في الأبراج إلى أنها تعطى تصوراً عن هيئة هذه الأبراج .

يقع برج المبلط (البلاط) في الزاوية الجنوبية الشرقية للقلعة وبلغ ارتفاعه 16.80 متراً بني فوق صخرة يبلغ ارتفاعها ستة أمتار، أما برج طرفة فيقع في الجهة الجنوبية وبلغ إرتفاعه 30م ويشتمل الخارجي على أربعة معاقل مقببة تبلغ أطوالها 4.500 × 7.200 متراً،[٤] ويلاحظ من خلال مخطط القلعة[٥]. أن شكل برج المبلط كان دائرياً، أما برج الطرفة فمربع الشكل وهو على ما يبدو من النوع الأكثر حصانة لوجود المعاقل في أعلاه .

وقد اتخذ المماليك من أبراج القلعة مكاناً للسجن، واستغلوا ما تمتعت به من سعة، وحصانة مزدوجة نتيجة لارتفاعها من جهة وتبعيتها للقلعة من جهة أخرى، فأشار المقريزي بوضوح إلى تخصيص الأبراج لسجن الأمراء المماليك، وأوردت المصادر العديد من حوادث السجن في الأبراج منها ما كان في البرج الأحمر والبرج الكبير، وكثيراً من الحوادث اقتصرت المصادر على إيراد لفظ برج القلعة، أو أحد أبراج القلعة، وتميزت هذه الأبراج بالظلمة شأنها شأن الجباب.

البرج الأحمر: ويعرف أيضاً ببرج المقطم، موقعه في الجهة الجنوبية من القلعة، بني على يد الملك الكامل الأيوبي[٦]، وقد ارتبط ذكر هذا البرج في المصادر باسم شجر الدر بعد أن سجنت فيه إثر مقتل زوجها المعز أيبك سنة 655هـ/ 1257م؛ فبعد أن قبض عليها مماليك المعز

---

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 86.
(٢) جومار: وصف مدينة القاهرة، ص 231.
(٣) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 87.
(٤) المرجع نفسه، ص 87.
(٥) انظر: ملحق رقم (9).
(1) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص400 حاشية رقم (1). ماجد: نظم سلاطين المماليك، ص 12؛ العبادي، قيام دولة المماليك، ص 140، حاشية رقم (1).- هدم هذا البرج على يد محمد علي باشا الذي بنى مكانه برجاً أصغر من القديم لا يزال قائماً للآن. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص 36، حاشية رقم (3).

وحاولوا قتلها حماها مماليك الصالح نجم الدين أيوب فنقلت من دار السلطنة إلى البرج الأحمر ومعها بعضَ جواريها[١].

وورد ذكر البرج تحت اسم برج المقطم في حادثة سجن الأمير قوصون نائب السلطنة سنة 742 هـ/ 1341م على يد الأمراء بزعامة أيدغمش[٢]

برج السباع: سجن فيه ستة من الأمراء على يد الناصر محمد سنة 718 هـ/ 1318م ومن هؤلاء الأمراء طوغان نائب البيرة وأياز نائب قلعة الروم، كما سجن معهم أحد مماليك سلار[٣].

البرج الكبير: خصصه الظاهر بيبرس لإقامة الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله عند مبايعته في محرم سنة 661هـ/ 1262م. ومنذ سنة 663هـ/ 1264م ضيق عليه فيه[٤] ومنعه من الاجتماع بالناس "وصار كالمسجون"،[٥] كما سجن فيه الخليفة المستكفي بالله على يد الناصر محمد[٦] وسجن فيه الخليفة المتوكل على الله بأمر من الظاهر برقوق[٧].

---

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص ص 46- 48؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 300؛ النويري: نهاية الأرب، ج29، ص ص 456- 457؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص ص 108- 112؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص 403؛ العيني: عقد الجمان، ج1، ص ص 143، 165؛ ص 124- 125؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة 59.أ؛ العبادي: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ص 124- 125، وقيام دولة المماليك، ص 139- 140.

(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص ص 586، 589، 590. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 36.

(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 183.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 142؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 470- 477؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 242.

(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص 242.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 471؛ اليوسفي: نزهة الناظر، ص 362؛ طرخان: النظم الإقطاعية، ص 366 هامش 46.

(٧) اليوسفي: نزهة الناظر، ج1، ص188؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 116؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص ص 337- 338؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 188؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 268؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 84؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 397- 398.

وممن سجن في أبراج القلعة دون ذكر اسم البرج:

المنصور علي بن أيبك سنة 657هـ/ 1259،[١] وداوود ملك النوبة سنة 675هـ/ 1276،[٢] والملك الأيوبي المغيث عمر سنة 661هـ/ 1262[٣].

---

(١) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص 203؛ النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 468؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 59؛ ابن شاكرالكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص 214، المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص ص 417- 418.

(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ص 129- 130؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص ص 55- 56؛ والتحفة الملوكية، ص 82- 83؛ ابن الفرات: تاريخ، مج 7، ص ص 45- 50؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص ص 72- 74.

(٣) النويري: نهاية الأرب ، ج29، ص 402 ؛ غوانمة: إمارة الكرك، ص 320.

6 - قاعات القلعة

قاعة الصاحب: تسمى المجلس العالي أو دار الوزارة[١] ويجلس بها الوزير وكتاب الدولـــة[٢]، وموقعها في إيوان القلعة[٣]، استخدمت لأغراض سجن المصادرين؛ حيث أمر الأشرف شعبان أن يسجن بها الأمير بيدمر الخوارزمي نائب دمشق وذلك لأغراض مصادرته بعـــد أن ألـــزم بدفع ثلاثمائة ألف دينار[٤]، كما سجن بها التاج المكي ناظر الجيش وبقي حتى دفع مئة ألـــف درهم، ثم أفرج عنه[٥].

القاعة الصالحية: سجن فيها الأمير بدر الدين بيسري بأمر من السلطان لاجين[٦] سنة 697هـ/ 1297م[٧] وبقي فيها حتى وفاته سنة 698 هـ/ 1298م[٨].

قاعة الدهيـــشة: بناها الصالح إسماعيل بن الناصر محمد سنة 745هـ/ 1344م. بعد أن بلغـــه عن المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم يُبن مثلهـــا، فقـــصد مـــضاهاته وأمر بجلب حجارة من دمشق وحلب لبناء دهيشة في قلعة الجبل فبالغ في الإنفـــاق عليهـــا[٩]. وممن سجن في هذه القاعة الأمراء حاجي وحسين أبناء الناصر محمد بن قلاوون علـــى يـــد أخيهما السلطان الكامل شعبان[١٠] وذلك في آخر جمادى الأولى سنة 747هـــ/ 1346م،[١١] وقد قرر الكامل أن يحجزهما في مكان تحت أرض القاعة ويبني فوقه حائط فـــأمر بتجهيـــز الحجارة والجبس والجير اللازم لذلك، وشرع في بناء عشرين مسقطاً.[١٢] ولم يتم مـــا بـــدأه بسبب قيام الأمراء بإخراج الأمير حاجي والأمير حسين ومبايعة حاجي بالسلطنة،[١٣] وخلـــع

---

(١) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 301- 367.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 424.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 336.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 87.
(٥) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 327.
(٦) النويري: نهاية الأرب ، ج31، ص 377؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 835.
(٧) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 833، 835.
(٨) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 880؛ العيني: عقد الجمان، ج2، ص 698.
(٩) الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 134.أ؛ المقريزي: الخطط، ج1، ص 212. وانظر موقع القاعـــة على مخطط القلعة في العهد المملوكي، ملحق رقم (9) مخطط القلعة .
(١٠) المقريزي: السلوك، ج21، ق3، ص 714؛ ابن تغـــري بـــردي: النجـــوم الزاهـــرة، ج10، ص 112؛ السخاوي: وجيز الكلام، ح1، ص 22؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 509.
(١١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ق1، ص 509.
(١٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج10، ص 110.
(١٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 509.

الكامل وسجنه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة في نفس القاعة، ثم قتله فيها بأمر من المظفر حاجي(١).

قاعتا النحاس والفضة: سجن في قاعة النحاس الأتابكي يلبغا اليحياوي على يد الأشرف شعبان، وسجن معه الأمير طيبغا حاجب الحجاب،(٢) كما سجن فيها يلبغا الناصري على يد حليفه القديم منطاش(٣).

أما قاعة الفضة فقد سجن فيها الخليفة المعتصم بالله زكريا في ذي الحجة من سنة 791هـ/ 1389م، وذلك أثناء وجود يلبغا ومنطاش في القاهرة، وسيطرتهما على الأمور في سلطنة المظفر حاجي الثانية(٤).

وأشار كل من ابن إياس والصيرفي إلى قاعتي النحاس والفضة حين شرحا الأحداث السياسية بعد اختلاف يلبغا الناصري ومنطاش، حيث أشارا إلى سجن يلبغا على يد منطاش ثم تطرقا إلى حادثة سجن الظاهر برقوق وقد كانت إشاراتهما متضاربة، فقد ذكر ابن إياس أن منطاش قبض على يلبغا الناصري وسجنه في قاعة النحاس بقلعة الجبل، وهي نفسها التي سجن فيها برقوق قبل نقله لسجن قلعة الكرك.(٥) وذكر الصيرفي أن منطاش سجن يلبغا في قاعة الفضة وهي نفس القاعة التي سجن فيها برقوق على يد يلبغا(٦).

إن الإختلاف هنا مزدوج وهو أن ابن إياس خصّ قاعة النحاس كمكان لسجن يلبغا وقبله برقوق، والصيرفي خَص قاعة الفضة بسجن الاثنين، كما ذكر كل من ابن قاضي شهبة والسخاوي أن القاعة الأخيرة هي المكان الذي سجن فيه برقوق(٧).

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 712؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 75. أ؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص22؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 512؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 151.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 49؛ موير: تاريخ دولة المماليك، ص 116.- حاجب الحجاب: منصب مملوكي كان صاحبه يقوم مقام النائب في الولايات، وإليه يرجع عرض الجند وما شابه ذلك، فهو يتصف بين الأمراء والجند تارة، وبمراجعة نائب السلطان تارة أخرى، وإليه تقدم العروض، دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 59؛ وانظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 97.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 411- 412.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 269، 270.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 412- 413.

(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 240.

(٧) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 283؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 289.

القاعة البرونزية: سجن فيها السلطان يوسف بن الأشرف برسباي ثم نُقل إلى إحدى دور القلعة(١).

7- حوش القلعة

وجد في قلعة الجبل أحواش عدة(٢) كان أشهرها ما بناه الناصر محمد بن قلاوون سنة 738هـ/ 1337م على مساحة من الأرض تبلغ أربعة فدادين، كانت غوراً كبيراً بسبب ما قطع منها. وقد بنى الناصر فيها القصور السلطانية، والقاعات كما جعل فيها حظيرة تحتوي على أعداد كبيرة من الماشية والطيور، وبعد عهد الناصر محمد أصبح الحوش مكاناً لإقامة الاحتفالات(٣) وكان موقعه في الجهة الجنوبية من القلعة(٤).

استخدم أكثر من موقع في الحوش لإجراء عمليات السجن والترسيم ففي قاعة البحرة سجن السلطان الظاهر بلباي المؤيدي بعد خلعه يوم السبت سابع جمادى الأولى سنة 872هـ/1467م وبقي فيها حتى ليلة الثلاثاء عاشر جمادى الأولى من نفس السنة حيث نقل ليسجن بالإسكندرية(٥). وسجن فيها المنصور عثمان بن جقمق بعد خلعه على يد الأشرف إينال،(٦) كما سجن فيها بأمر من الأشرف إينال الخليفة القائم بأمر الله حمزة(٧)، وممن احتجز فيها من غير الخلفاء والسلاطين الأمير زين الدين الإستادار وذلك لأغراض مصادرته(٨).

أما المقعد من الحوش والذي يعتبر أحد المواضع المعدة لجلوس السلطان(٩)، فقد سُجِنَ فيه زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وذلك لأغراض مصادرته.(١٠)

8- القصور السلطانية بالقلعة (الدور)

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 40، 63؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 562.
(٢) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص 23.
(٣) المقريزي: الخطط: ج2، ص 229؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 121- 122.
(٤) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 121.
(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 791؛ البصروي: تاريخ، ص 29.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 677.
(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 531.
(٨) كانت عبارة ابن تغري بردي المبينة لصفة وجود زين الدين هي: " وآل الأمر إلى حبس زين الدين بالبحرة... " إلى قوله " واستمر زين الدين بالبحرة في الترسيم"، ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 482.
(٩) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1159.
(١٠) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص ص 1156- 1157؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 76.

تعرف القصور بالآدر السلطانية[١]، والدور السلطانية، والآدر الشريفة ومنها دور الحريم السلطانية التي تعرف بالقياع[٢].

استخدم المماليك دور القلعة لإجراء عملية السجن منذ بدايات الدولة، ففي سنة 655هـ/1257م عندما قامت شجر الدر بقتل المعز أيبك، كان الأمير جمال الدين ايدغدي العزيزي مسجوناً في إحدى دور القلعة فأفرجت عنه شجر الدر لتستشيره في أمرها[٣]. كما سجن في دور القلعة الصالح عماد الدين إسماعيل بعد أن قبض عليه في وقعة العباسة، سنة 648هـ/ 1250م[٤].

وسجن في الدور السلطانية الأشرف كجك بن الناصر محمد[٥] كما سجن فيها المنصور محمد بن حاجي بن الناصر محمد[٦] وقد اختلف في المكان الذي سجن فيه المنصور فقد ذكر

ابن إياس أنه في دور الحرم[٧]، وذكر ابن حجر أنه كان في الحوش[٨]. ومن المؤكد أن الحوش ضمن الدور السلطانية والتي فيها دور الحرم.

9- اصطبلات القلعة:

وهي حواصل الخيول والبغال والإبل وكانت متعددة منها إصطبل الخاص الشريف وفيه دواب الركوب، وإصطبل الجمهورة وبه الدواب المستخدمة في لعب الكرة، وإصطبل البيمارستان الذي يوضع فيه الخيول الضعيفة وإصطبل البغال، وغير ذلك[٩] .

وتقع الإصطبلات في الجهة الغربية من القلعة،[١] وقد بنيت في موقع يستطيع السلطان مشاهدتها من قصره.[٢] وممن سجن في هذه الإصطبلات الأمير علي باي العلائي سنة 800هـ/ 1397م بأمر من الظاهر برقوق[٣].

---

(١) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص143؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 426.
(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 103؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 310- 311.
(٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج 1، ص 46.
(٤) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص ص 291 – 292؛ النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص ص 420- 421.
(٥) المقريزي: الخطط، ج2، ص239؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 150.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 131.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 593.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج4، ص 84.
(٩) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 21.

10- الركاب خاناه من القلعة:

تقع "بباب السلسلة"[٤] أي في الجهة الغربية مـن القلعـة وأقـرب المواقـع إليهـا هـو الإصطبلات[٥] وهذا ينسجم مع الغرض الذي وجدت من أجله وهو تجهيز الخيول وتزيينها.

ومعنى الركاب خاناه: بيت الركاب، وتشتمل على النفيس من عِدَد الخيل، والتي تتناسب مع مكانة مستخدمي الخيول وهم السلاطين كالسروج المغـشاة بالـذهب والفـضة، والكبـابيش المتخذة من الذهب المزركش المزهر بالريش، ويشرف على الركاب خاناه المهتار[٦]، كما يتبعها الركابدارية وهم الذين يحملون الغاشية بين يدي السلطان[٧]. وقد تـم سجـن الأميـر مغلبـاي الشهابي مع آخرين فيها سنة 857هـ/ 1453م[٨].

(١) انظر: مخطط القلعة في العهد المملوكي ملحق رقم (9).
(٢) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 122؛ وانظر: ملحق رقم (9).
(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 673.
(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 424
(٥) أنظر: مخطط القلعة في العهد المملوكي. ملحق رقم (9).
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص ص 11- 12. الكنابيش: مفردها كنبوش، وهي البرذعة تجعل تحت سرج الفرس. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 289.
(٧) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 161. - الغاشية: سرج من أديم مخروزة بالذهب يحملها أحـد الركابدارية في مواكب السلطان رافعاً لها على يديه يلفتها يميناً وشمالاً. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 4، ص6.
(٨) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 424

ب- سجون الأبراج المفردة

1- أبراج الإسكندرية

تمهيد

لا شك أن سجن الإسكندرية لم يبلغ شهرة سجون القاهرة، ومن هنا نجد أن بعض المصادر قد أطلقت عليه اسم سجن الإسكندرية، والبعض الآخر اسم برج الإسكندرية.

ومن خلال ذلك تشكك الباحثة في وجود سجن سياسي مفرد البناء وواسع لعدم وجود أدلة تاريخية، وتفترض أن هناك عدة أبراج استخدمت في عملية السجن، وذاعت شهرة أحدها رغم عدم إفصاح المصادر عن تسميته وموقعه، وأصبح يطلق على هذا البرج الشهير أو كل برج من هذه الأبراج اسم "برج الإسكندرية"[١]. و "سجن الإسكندرية "[٢].

من هنا فأدلة الباحثة في محاولة إثبات ذلك هو إيراد أمثلة على التداخل في تسمية موضع السجن والتعريف بما وجد في الإسكندرية من أبراج، بالإضافة إلى ذكر أمثلة على كثرة عدد المساجين.

ومن الأمثلة على عدم اعتماد المؤرخين لفظاً واحداً للتسمية، حادثة سجن جانبك الصوفي والتي تمت في ذي الحجة سنة 824هـ/ 1421م، حيث ذكر الصيرفي أنه في يوم الخميس 16 من ذي الحجة خلع على الأمير طاراباي واستقر أتابك العساكر عوضًا من جانبك الصوفي"بحكم مسكة واعتقاله بالإسكندرية"،[٣] وفي حادثة هروب جانبك سنة 826هـ/ 1422م يقول الصيرفي أيضاً: "وفي يوم الاثنين العاشر من شهر شعبان توارت الأخبار بهروب الصوفي من حبس إسكندرية".[٤] ويتضح من حوادث أخرى أن السجن هو البرج، ففي عملية هروب سلام بن التركية زعيم عربان البحيرة سنة 785هـ/ 1383م ذكر ابن قاضي شهبة أن ابن تركيه "هرب من سجن الإسكندرية"[٥] وأسماه كل من المقريزي والصيرفي وابن إياس برج الإسكندرية[٦].

---

(١) انظر: على سبيل المثال: المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1098؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص327؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 142؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق،1، ص 397، 426، 564، 571، وج1، ق2، ص 668.

(٢) انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 219؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 394، و ج2، ص 430، 443، 500؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 214- 215.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 518.

(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 27.

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 107.

(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 491؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 66؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 329.

ويبدو أن معظم أبراج الإسكندرية استخدمت سجوناً ففي سنة 819هـ/ 1416م نقل المؤيد شيخ الخليفة المستعين ليسجن بالإسكندرية "فأنزله في برج من أبراجها "[١].

مواقع أبراج الإسكندرية

وجد في الإسكندرية عدة أبراج صنفها السيد عبد العزيز سالم في دراسة تاريخية أثرية لمدينة الإسكندرية تبعاً لمواقعها في الجهات الأربع لسور الإسكندرية، أو موقعها بالنسبة لمعالم حضارية شهيرة بالإسكندرية، وأهم هذه الأبراج:

1- **برجا السور الشرقي:** طابق سالم بين رسومات الرحالة الأوربيين الذين زاروا الإسكندرية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين وبين بقايا كتل معمارية في منطقة سياحية تعرف اليوم بحدائق الشلالات فيها آثار لبرجين كانا قريبين من باب رشيد أحدهما نصف دائري والآخر مستطيل. ويرى سالم أن أحد البرجين استخدم في السجن خلال العصر المملوكي.[٢]

2- **برج السور الشمالي:** وهو برج ضرغام، بناه الأمير الفاطمي أبو الأشبال ضرغام، وموقعه في المنطقة الممتدة بين باب البحر والباب الأخضر[٣].

3- **برجا السور الجنوبي:** البرج الأول يقع على باب السدرة وسمي باسمه، والثاني قرب باب الزهري وعرف كذلك باسم هذا الباب، وهو برج ضخم نصف دائري تتخلل جدرانه منافذ للسهام، وتعلوه من الداخل قبوات متداخلة يدخل إليه من طريق يؤدي إلى أسطوان ممتد، وسقفه عبارة عن قبوة نصف اسطوانية، ويعتبر من الأبراج الحربية الهامة ولا يزال قائماً حتى اليوم[٤].

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص225. انظر: السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 425.
(٢) سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص 445- 446، 454.
(٣) المرجع نفسه، ص ص 454- 455.
(٤) المرجع نفسه ، ص 455.

4- **قلعة السلسلة**: هي المنار الذي شرع الناصر محمد ببناءه بازاء منارة الإسكندرية، وتـوفي قبل أن يتم[١] فأكمل بعد وفاته، وشكله نصف إسطواني وتكـون مـن عـدة طوابـق ذات شرفات[٢].

5- **قلعة قايتباي**: أسماها ابن إياس بالبرج، وذكر أن الأشرف قايتباي أمر في سنة 882هـ/ 1477م ببناء هذا البرج على أساس منار الإسكندرية القديم[٣]. وفي القلعة أبراج قائمة على الأسوار، وبرج رئيسي قائم على أساس المنار القديم، فقد اشتملت الجهات الغربية والجنوبية للسور على عدة أبراج منها ثلاثة أسطوانية الشكل في السور الغربي، وفي الـشرقي ثلاثـة نصف أسطوانية، أما البرج الرئيسي فهو بناء مربع الشكل طول كل جانـب منـه ثلاثـون متراً، وأركانه الأربعة مزودة بأبراج صغيرة نصف أسطوانية قطر كلاً منها سـتة أمتـار، ويتكون البرج الرئيسي من ثلاثة طوابق أهم ما في الطابق الأول مسجد القلعة، أما الثـاني ففيه ممرات وقاعات وحجرات، بينما يضم الثالث القاعة الكبرى والتي تسمى المقعد[٤].

ملامح عملية السجن في أبراج الإسكندرية:

أولاً: عملية إبعاد الأمراء :

كان لبعد إقليم الإسكندرية عن القاهرة، مركز الصراع على النفوذ والسلطة، سبباً فـي اختيار أبراجها مكاناً لسجن الأمراء ممن يراد عزلهم عن الأحداث وإبعادهم إبعاداً مادياً[٥]، فبعد أن تولى المظفر قطز السلطنة عام 657هـ/ 1258م أمر بالقبض على جماعة من أمراء المعز أيبك ونقلوا إلى الإسكندرية وكان ذلك بعد خلع علي بن أيبك[٦]. كـذلك قـام قطـز فـي سـنة 659هـ/ 1260م بالقبض على جماعة من مماليك المعز أيبك وأرسـلهم للإسـكندرية بعـد أن "حاولوا الوثوب عليه"[٧].

---

(١) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص157؛ سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص 455- 456. منـار الإسكندرية: وتؤنث إلى منارة شرع في بنائها في أواخر عصر بطليموس سوتر أول حكام البطالمة الـذين خلفوا لإسكندر المقدوني (ت 323ق.م) على حكم مصر واكتمل بناءها في عهـد بطليمـوس فلادلفـوس. المقريزي: الخطط، ج1، ط بولاق، 1270هـ، ص 291.
(٢) سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ص 455- 456.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص 132، سالم: تاريخ الإسكندرية، ص 458، الخريطة، ص 320.
(٤) سالم: تاريخ الإسكندرية، ص 465.
(٥) البغدادي: السجون في مصر، ص 102؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 22.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 303.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 312.

وخلال سلطنة الناصر محمد الأولى وبعد أن دبر كتبغا نائب السلطنة أمر قتل الوزير سنجر الشجاعي، قام بإبعاد جماعة من الأمراء من عصبة الشجاعي وسجنهم بالإسكندرية(١). وفي سنة 767هـ/ 1365م زمن الأشرف شعبان اتضحت رغبة الأتابك يلبغا العمري في إبعاد الأمير طيبغا الطويل(٢) منذ أن سعى في تعيينه نائباً على دمشق، فعندما رفض طيبغا هذه الوظيفة وأظهر العصيان اشتبك ومعه الأمراء والمماليك المناصرين له مع قوات يلبغا خارج القلعة، وتمكن يلبغا من هزيمته والقبض عليه مع جماعة من الأمراء وأرسلهم ليسجنوا بالإسكندرية، وأعطيت الإمرة لجماعة غيرهم(٣).

شملت عملية السجن في الإسكندرية الأمراء نواب البلاد الشامية، فقد سجن فيها نائب دمشق ثم حلب الأمير أرغون الكاملي وذلك بأمر من السلطان صلاح الدين صالح بن الناصر محمد(٤)، كما سجن الأمير طاز نائب حلب في السلطنة الثانية للناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون(٥)، أما الأمير شيخو الناصري وبعد أن صدر مرسوم بتعيينه نائباً على طرابلس سنة 751هـ/ 1350م قبض عليه قبل تسلمه النيابة وسجن بالإسكندرية(٦).

عمليات القتل في أبراج الإسكندرية:

كان للسلاطين وكبار الأمراء من ذوي النفوذ في الدولة فرصة قتل خصومهم من المساجين خفية في الإسكندرية لبعدها عن القاهرة كما ذكرت. وكان إلقاء القبض على الأمير تنكز نائب دمشق أوضح مثال على ذلك فبعد أن قبض عليه سنة 740هـ/ 1339م،(٧) أدخل إلى القاهرة سنة 741هـ/ 1340م. وعندما حاول الناصر محمد بدء معاقبته تراجع بسبب شفاعة الأمراء، وحتى يتخلص منه نهائياً أسرع بنقله إلى الإسكندرية لتتم عملية قتله هناك. ومما دلل

---

(١) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ج2، ص ص 274- 277؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 274؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص99؛ ابن الفرات: تاريخ، ص 180؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 799؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص 237، 243؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 383- 384.

(٢) انظر التحليل الكامل لذلك عند: حياة حجي: الأحوال الداخلية، ص ص 177- 179.

(٣) العيني: السيف المهند، ص 218. وانظر: حاشية (3) من نفس الصفحة؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 26- 27؛ حياة حجي: الأحوال الداخلية، ص ص 177- 179؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 221.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ح14، ص 270.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 564.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 184.

(٧) ابن طولون: إعلام الورى، ص 15. - تنكز: يكنى أبو سعيد من مماليك الأشرف لاجين. أخذه لاجين، ثم صار للناصر محمد فأعطاه إمرة عشرة بالكرك، ثم عينه نائباً على دمشق سنة 712هـ/ 1312م. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص 520- 526. وانظر: ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة 200. ب.

على استعجال الناصر لسجنه وقتله أن عملية مصادرة أملاكه تمت بعد وفاته،[١] في حين كانت عادة السلاطين الإبقاء على السجين تحت العقوبة حتى يعترف بما لديه.

وتعتبر عملية قتل الأمير بركة الجوباني[٢] من أوضح الإشارات إلى قدرة الأمراء الكبار على تصفية خصومهم خارج القاهرة، خفية عن أهل المقتول وأتباعه، ففي سنة 782هـ/ 1380م، تمكن الأتابك برقوق من التغلب على خصمه بركه رأس نوبة ونقله إلى سجن الإسكندرية فحقق هدفه الأول وهو عزل بركة عن الأحداث، وأبعاده عن عصبته من الأتراك في القاهرة[٣]. وجاء الهدف الثاني وهو قتل بركه فقد كان لمكان السجن دوراً كبيراً في تحقيقه، فأوعز سراً إلى نائب الإسكندرية خليل بن عرام ليقتله، فنفذ عملية القتل وأشاع أنه وجد ميتاً[٤].

ومثلما كان للمكان دوراً في تنفيذ عملية القتل، كان له أيضاً دوراً في إخفاء الحقيقة، فقد أدى شيوع خبر مقتل بركه في القاهرة إلى ثورة مماليكية على برقوق، وللتنصل من الأمر أوهمهم أن عملية القتل تمت دون علمه، وأرسل دواداره الأمير يونس إلى الإسكندرية للكشف عن الأمر. فأخرج جثة بركة، ووجد أنه مات مقتولاً بثلاث ضربات على رأسه وبعد دفنه قبض على ابن عرام ونقله إلى القاهرة فسجن بخزانة شمائل، ثم سلمه إلى خصومه فبالغوا بعقوبته والتمثيل بجثته[٥].

2- أبراج دمياط

وجد في دمياط خلال العصر المملوكي برجان شهيران ذكرهما ابن شاهين عندما وصف المدينة في القرن التاسع الهجري أي في دولة المماليك الثانية. وقد ذكر أن أحد البرجين يقع بالثغر والآخر يقع بالبر الغربي على النيل، وأضاف أن "المراكب الواردة تدخل من بين البرجين. وهناك سلسلة موضوعة لئلا يدخل مركب إلا بإذن صاحب الثغر"[٦].

---

(١) انظر: السلوك، ج2، ق2، ص506- 509. انظر: ابن طولون: إعلام الورى، ص 13- 15 .

(٢) بركه: الأمير زين الدين بركه الجوباني، من المماليك الأجلاب، كان من جماعة الأمير يلبغا الخاصكي، تولى أمير مجلس سنة 779هـ/ 1377م. ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 42- 43؛ حول صراع بركه وبرقوق مع طشتمر. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص219. وحول مظاهر الصراع بين بركة وبرقوق. انظر: نفس المصدر ج1، ق2، ص 255- 261.

(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 26، 32؛ العيني: السيف المهند، ص 219.

(٤) ابن قاضي: شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 32- 33؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص ص 9- 10.

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 32- 34؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص ص 9- 10.

(٦) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك، ص 32.

كانت الأخبار حول عملية السجن في دمياط مشابهة لما ورد حول الإسكندرية، فوصفت المواقع ببرج دمياط، وبرج السلسلة، وثغر دمياط. ونظراً لعدم إيضاح المصادر عن ماهية السجن – إلا أن يكون أحد البرجين – يمكن الإفتراض أن سجن دمياط هو أحد البرجين أو كلاهما.

اعتبرت دمياط من أماكن السجن الهامة، وارتبط ذكرها بسجون شهيرة في الدولة المملوكية، فعندما تولى المنصور لاجين السلطنة، أمر بالإفراج عن جماعة من المماليك السلطانية "الذين كانوا بدمياط والإسكندرية وبخزانة البنود من القاهرة وخزانة شمائل"(١).

وقد كانت أبراج دمياط بمثابة سجون سياسية يسجن فيها الأمراء المراد إبعادهم عن القاهرة، فهي بذلك تتشابه مع الإسكندرية بسبب تطابق المسافة بين القاهرة وكل من الثغرين، وكثيراً ما كان يجري توزيع المقبوض عليهم أو نقلهم بين المكانين.

وبدأ استخدام أبراج دمياط منذ بدايات الدولة، فبعد خلع المنصور علي من قبل قطز وتوليه السلطنة مكانه، قبض عليه وعلى أمه وأخيه قآن وأرسلهم إلى برج السلسلة في دمياط،(٢) وكان قطز أيضاً في يوم مبايعته بالسلطنة قد قبض على جماعة من أتباع أيبك وقيدهم وأرسلهم إلى السجن بدمياط.(٣)

أما ما تلا ذلك من إشارات فهي أن برج دمياط إختير مع سجن الإسكندرية ليرسل إليه المعتقلون من مماليك الأشراف خليل ممن ثاروا على كتبغا نائب السلطنة للناصر محمد سنة 694هـ/ 1251م(٤).

كما كان يتم نقل المساجين من الإسكندرية إلى دمياط مثل عملية نقل الأميرين كمشبغا العيساوي أمير شكار، وسودون الأشقر أمير مجلس وذلك سنة 816هـ/ 1413م(٥).

---

(١) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 826.
(٢) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 268؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 418؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة 59. ب؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 66.ب، 67.أ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 302؛ الحلاق: تحفة الأحباب، ورقة 46.أ؛ نصر الله: رحيل الصليبيين، ص 81.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص303.
(٤) العيني: عقد الجمان، ج3، ص
(٥) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص 226- 270.

وقد اختيرت دمياط مكاناً للإبعاد أيضاً لفترات طويلة ففي سنة 872هـ/ 1467م أثناء سلطنة الظاهر أبو سعيد تمربغا والتي دامت 58 يوماً،[١] قبض على الأمير جرباش كرت المحمدي الناصري الذي كان أتابكاً في سلطنه الظاهر خشقدم والأمير يشبك بن سلمان الفقيه الذي كان دواداراً في دولة الظاهر يلباي المؤيدي وسجنا فيها، وبقيا فيه حتى أفرج عنهما زمن الأشرف قاتباي سنة 876هـ/ 1471م[٢].

ج- سجون القاعات المفردة

ويقصد بها القاعات الموجودة خارج القلاع أو خارج مؤسسات الدولة. وأشهر هذه القاعات قاعة بين السورين في القاهرة.

وتطلق منطقة بين السورين على المساحة الواقعة بين سور القاهرة الغربي الذي بناه جوهر الصقلي، وسور البستان الكافوري الذي أدخله جوهر الصقلي ضمن القاهرة، حيث كان سور البستان على ساحل النيل مباشرة، ولما بنى جوهر السور الغربي جعله إلى الشرق من سور البستان وما تخلف من البستان بين سوره الغربي على النيل وسور البستان الكافوري هو ما أسماه الناس بين السورين،[٣] سجن في هذه القاعة شخص من بني حرام يعرف بابن زامل. وقد ذكر الصيرفي أنه نقل إليها من سجن أرباب الجرائم[٤]، كما كان الزيني عبد الرحمن بن الكويز أحد من سجنوا فيها وأفرج عنه سنة 875هـ/ 1470م[٥].

د- السجون الطارئة

اتخذ المماليك في بعض الظروف الطارئة أو المؤقتة سجوناً أخرى، في بعض المباني ومنها:

1- البيمارستانات :

خلال العصر الملوكي كان بيمارستان المنصوري أكثر البيمارستانات شهرة استخدم في حبس المجانين من المختلين عقلياً. ففي سنة 819هـ/ 1416م – زمن المؤيد شيخ – ادعى

---

(١) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 358.
(٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص440.
(٣) محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص 81. وانظر: ملحق رقم (6). - البستان الكافوري: عرف زمن المقريزي بالخط الكافوري، أنشأه قبل العصر الفاطمي الأمير أبو بكر محمد بن طغج الملقب بالأخشيد. المقريزي: الخطط، ج2، ص 25.
(٤) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 340.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 279.- حول ابن الكويز وأبناءه وأحفاده. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج11، ص 269.

شخص أنه صعد إلى السماء، وشاهد الله تعالى، وتكلم معه، وأصبح لبعض الناس فيـه اعتقـاد. وعندما عُرِضَ أمره على القضاة ومشايخ العلم اتفق رأيهم على أنه إن كان عاقلا اسـتتاب، وأن رفض، يقتل وعندما استتيب، امتنع. فعلق القاضي المالكي الحكم بقتله علـى شـهادة شـاهدين بصحته عقلياً. فاستعان بالأطباء حيث أثبتوا أنه مختـل العقـل، فقيّـد وسـجن بالبيمارسـتان المنصوري. وعندما زار المؤيد شيخ البيمارستان سنة 821 هـ/ 1418م لتفقد أحوال المرضى دخل إلى قسم المجانين، فسأله الشخص المذكور أن يفرج عنه فرفض وبقي في السجن إلى مـا بعد سنة 824هـ/ 1421م حيث أفرج عنه بعد موت المؤيد(١).

ويلاحظ أن بعض القضايا المتعلقة بإيداع المختلين عقلياً في البيمارستان كانت تـتم بعـد إقرار رسمي من الأطباء يضعونه بعد فحص الشخص المشتبه باختلال عقله. ففي سنة 781هـ/ 1379م ادعى أحد الأشخاص النبوة فحمل إلى البيمارستان "وأحضر الأطباء فكتبـوا خطـوطهم بأنه مجنون"(٢) فسجن، "وأقام مدة طويلة في السجن، ثم رجع عن قوله وأفرج عنه"(٣). وقد ذكر ابن حجر أن هذا السجين شوهد بعد أن أفرج عنه بمدة طويلة " يستعطي الناس ... ويتأذى ممن يذكر له ذلك"(٤) .

إن عمليات فحص مختلي العقل لم تكن دائماً موضع اهتمام الحكام إلا ما كان ماساً بالدين كما ورد سابقاً، ففي سنة 836هـ/ 335م عندما قتل أحد المتسولين تاجراً بسكين "أظهر الفقيـر التجانن وحمل إلى البيمارستان وذهب دم التاجر هدراً"(٥)، مما يعني أن بإمكان الشخص إظهـار الجنون لينجو من العقاب مفضلاً السجن بالبيمارستان على الضرب أو القتل.

ولم يقتصر الأمر على المختلين عقلياً وسجنهم بالبيمارستان، فقد سجن فيه أصحاء أيضاً، ففي حادثة نادرة من أحداث سنة 688هـ/ 1289م أشار ابن كثير إلى قيام الصاحب ابـن حنـا بضرب الشيخ علم الدين بن شكر وسجنه بالبيمارستان بعد أن هجاه في أبيات من الـشعر ولـم يطلق سراحه إلا بعد سنة(٦).

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص ص 222- 223.
(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 10.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 249.
(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 306.
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 284.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 350

ويعزى سبب سجن ابن شكر في البيمارستان إلى سوء سيرته على حد قول ابن كثير، فقد كان ابن شكر مقبلاً على شرب الخمر والحشيش بعد أن كان له وجاهة ورياسة، فوضع في البيمارستان حتى يعطى فرصة للإقلاع عنهما وخاصة أنه كان يجمع بين الاثنين في آن واحد[١].

2- الزردخاناه المتنقلة:

كانت الوظيفة الأساسية للزردخاناه المرافقة للحملات العسكرية هو إمداد الجيش بالأسلحة وإصلاح ما يخرب منها. ولم يقتصر دورها على ذلك بل استخدمت سجوناً مؤقتة في بعض الحالات، ومثالاً على ذلك ما حصل أثناء حصار الظاهر بيبرس لقلعة صفد في الثامن من رمضان 664هـ/ 1265م[٢]. حيث أمر بالقبض على أكثر من أربعين أميراً وقيدهم ونقلهم إلى الزردخاناه وبعد أن وقعت الشفاعة فيهم أطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم إلى أن سلمت القلعة وحررت صفد[٣]. وما حصل عندما فتح المنصور قلاوون طرابلس سنة 688هـ/ 1289م حيث سجن في الزردخاناه ألف ومئتا أسيراً من الفرنج[٤].

ويبدو أن استراحة السلطان كانت تتم بإنزال آلات الزردخاناه في مواضع استراحته ويجري سجن المنقولين فيها. فعندما دخل قلاوون دمشق بعد رحيله من طرابلس قبض على الوزير تقي الدين توبة ثم أخرجه معه إلى حمراء بيسان وفيها أمير بسجنه في الزردخاناه[٥].

ثالثاً: السجون الخاصة ومواقع الترسيم

أ- السلطات المشرفة على السجون وعلاقتها في اتخاذ السجون وإجراء عملية الترسيم:

تبعت السجون في مصر وبلاد الشام إلى سلطات متنوعة، وقد كان سبب التنوع قائماً على أساس تمييز القوانين الشرعية القائمة بين الحبس والسجن، بالإضافة إلى اختلاف السجن تبعاً للجريمة والعقوبة[٦].

---

(١) المرجع نفسه، ج13، ص 350

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 286.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 286 – 289؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 457.

(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 747؛ نصر الله: رحيل الصليبيين، ص 129.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص ص 226- 227.

(٦) عاشور: المجتمع المصري، ص 97؛ علي السيد: القدس، ص 251؛ زيادة: السجون في مصر، ع260، ص 16.

وقد اتخذ الحبس في هذا العصر تسمية عبر عنها بالمصطلح المملوكي الترسيم، ويعني تعويق الشخص المتهم من التصرف بنفسه ما دام رهن التحقيق الابتدائي في التهمة الموجهة إليه، أو الدعوى المقامة عليه[١]، فإذا تعلقت التهمة بمسائل شرعية كالكفر، أو الزندقة أو دعاوى الديون فإنها تتبع القضاء الشرعي ويختص بها القضاة[٢] .

أما إذا تعلقت بالاعتداء والظلم والضرب والشؤون المتعلقة بالدواوين فتتبع القضاء المدني ويختص بها السلطان والأمراء[٣]. وهذا ما يفسر وجود سجون اتخذها القضاة لقضاياهم الخاصة، وأخرى اتخذها الأمراء على اختلاف وظائفهم ومواقعهم من الدولة المملوكية، وذلك لضمان محاكمة المتهمين فيها حتى تثبت إدانتهم لإجراء عقوبة السجن.

وهذا التعريف الذي ذكر سابقاً هو تعريف نظري لأن أغلب عمليات الترسيم التي كانت تتم عند القضاة وموظفي الدولة ما هي إلا عملية سجن فعليه بسبب التجاوزات الحاصلة، فقد جرت العادة أن تكون التراسيم موضعاً يجمع فيه المحابيس من غير اعتبار لأصنافهم أو أعدادهم، ومن غير حساب لضرورات الحياة اليومية، وربما لبث الواحد منهم سنة أو أكثر قبل تقديمه للمحاكمة، حتى لو كان حبسه من أجل دين متأخر أو ضمان[٤]. أي أن المتهم كان في نظر القانون والعرف مجرماً حتى تظهر براءته، وتحل معاملته بأنواع التضييق والعقوبة وإنكار حقه في المحاكمة في موعد محدد[٥].

من هنا يمكن أن نطلق على هذه المواقع اسم السجون الخاصة التي وجد فيها أشخاص ينتظرون المحاكمة، إما لأغراض المصادرة أو لسداد الديون، وستقوم الباحثة بإيراد تسميتها تبعاً لوظيفة صاحب الحق في السجن أو الترسيم الذي أجرى هذه العملية في داره أو في منشآت الدولة.

1- القضاة :

قُسِّمَ القضاء في العصر المملوكي إلى نوعين: قضاء شرعي، وقضاء مدني أو "حكم سياسي". ونظم القضاء الشرعي برئاسة قاضي الشافعية، ونوابه من الشافعية وبقية المذاهب،

---

(١) زيادة: السجون في مصر، ع260، ص 16. ويعني الترسيم أيضاً الحجر أو التوقيف أو وضع الشخص تحت المراقبة وهو ما يقابل في عصرنا هذا الإقامة الجبرية. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 44؛ ضومط: الدولة المملوكية، ص 281.

(٢) طرخان: النظم الاقطاعية، ص 342.

(٣) المرجع نفسه، ص 342.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187؛ زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 16.

(٥) زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 16.

حتى أقر بيبرس استقلال المذاهب الأربعة سنة (663- 664هـــ) / (1264- 1265م) فعـين ثلاث قضاة آخرين مستقلين عن القاضي الشافعي لهم الحق في تعيين نوابهم في البلاد المختلفـة، ويعرف هؤلاء الكبار الأربعة باسم "قضاة القضاة" أو "الحكام". وقد كان لكل قاضٍ كاتب وأمـين ونقيب وحاجب بالإضافة إلى طائفة من الشهود والعدول(١). وكان من حق القضاة حبس المتهمين لضمان محاكمتهم، فاتخذ القضاة ونواب القضاة مواقع عديدة في مصر وبلاد الشام. وقد ذكـرت المصادر هذه المواقع منها ما ورد تبعاً للتسمية الإصطلاحية فأطلقوا عليها اسم "سجن القاضـي" أو "سجن الحكم" أو "الحبوس والتراسيم".

وحظيت هذه المواقع بشهرة واسعة كالمواقع التالية: مجلس القاضي أو أي مكـان قريـب من مجلسه، أو سجون مفردة البناء شهيرة كحبس الديلم والرحبة. وكان من حق القضاة الـسجن فيها. ومن واجبهم الإلتزام بأوامر السلطان وقراراته في الإفراج عن الـسجناء فيهـا أو حتـى إغلاقها.

ومن الأمثلة على ورود التسميات الإصطلاحية ما ذكره العيني في أخبار ابن تيمية أنه في شوال سنة 707هـ/ 1307م حبس في "حبس القاضي" وذكر في موضع من نفس الصفحة اسم "محبس الحكم"(٢)، وفي أخبار تقي الدين بن بنت الأعزّ يشير المقريزي إلى أنه أفرج عنـه فـي رمضان سنة 792هـ/ 1390م " بعدما اشتد به البلاء واعتقل في سجن الحكم وتوعد بالقتل"(٣).
أما الصيرفي فقد استخدم تسمية سجن الشرع تمييزاً له عن سجن أرباب الجرائم(٤)، كمـا استخدم ابن قاضي شبهه نفس التسمية عندما تحدث عن حادثة سجن أحد نواب القضاة على يـد القاضي المالكي(٥).

واستخدمت تسمية سجون القضاة للإشارة إلى سجني الرحبة والديلم. ففي سنة 802هـــ/ 1399م أورد ابن حجر حادثة كسر سجني القضاة من قبل الزعر(٦). وأورد ابن إياس الحادثـة وعرف المقصود بالسجنين بأنهما الرحبة والديلم.(٧)

---

(١) طرخان: النظم الإقطاعية، ص ص242- 243.
(٢) العيني: عقد الجمان، ج4، ص 461.
(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 785.
(٤) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 404.
(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 618- 619.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج4، ص 109.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص 560.

ونظراً لأن هذه السجون قد اختصت بالمسجونين بسبب الديون[١] منع الأتابك برقوق سنة 784هـ/ 1382م القضاة من سجن أحد على دين وذلك بعد أن أمر بإطلاق من في سجن الديلم والرحبة من المديونين وأغلق باب السجنين[٢].

2- موظفو الدولة:

نُظّمَ القضاء المدني في العصر المملوكي برئاسة السلاطين والأمراء، فقد حرص السلاطين على اتخاذ أماكن مخصصة للمظالم وكانت في المدارس الصالحية حتى زمن بيبرس سنة 661هـ/ 1262م. ثم نقلت إلى دار العدل التي بنيت بالقلعة، ومنذ عهد برقوق صار مجلس السلاطين في الإصطبل السلطاني بالقلعة وحتى نهاية العصر المملوكي[٣].

وقد خصص السلاطين يومين في الأسبوع للنظر في المظالم، حيث يجلس السلطان بدار العدل بالقلعة وعن يمينه القضاة الأربعة، وعن يساره كاتب السر، وحوله كبار السن من أمراء المشورة. وذلك للنظر في القضايا. وكان السلطان يراجع القضاة إذا احتاج لذلك، كما كان يتحدث مع الحاجب وناظر الجيش في شؤون العسكر[٤].

وكان للأمراء سلطة قضائية يمارسونها في نياباتهم أو ولاياتهم وفي اقطاعاتهم، وكان مجلس الأمير للحكم في النيابات عبارة عن صورة مصغرة لمجلس السلطان بالقلعة، كما كان لأتابك العسكر سلطة قضائية بحكم منصبه[٥].

ب- السجون الخاصة:

1- سجون نواب السّلطنة:

يطلق على نائب السلطان المقيم في القاهرة كافل الممالك والنائب الكافل، وهو بمثابة السلطان الثاني، فقد كان يستخدم الجند ويعين أرباب الوظائف العليا كالوزارة وكاتب السر[٦].

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 79.
(٢) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 466.
(٣) طرخان: النظم الإقطاعية، ص 344. - دار العدل: كان مكانها بالقلعة، وهي الذي كان يحضر فيه رئيس الإنشاء ومعد كاتب الدست مع السلطان أو من ينوب عنه في جلسات النظر في المظالم لقراءة القصص على السلطان. البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 130.
(٤) طرخان: النظم الإقطاعية، ص 344.
(٥) المرجع نفسه، ص 344.
(٦) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 115؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 94.

وقد اعتمد منصب نائب السلطنة في نيابة الشام كممثل للسلطان ووظيفته من أرفع الوظائف رتبة وهو يعين بمرسوم سلطاني وينوب عن السلطان في المكاتبات، ويستخدم الجند من غير مشاورة السلطان"(١). ومن واجبات النائب: النظر في أحوال نيابته وتفقد أحوال الرعية، ورفع الظلم عنهم، ومراجعة السلطان في بعض الأمور التي هي في مصلحة رعيته، والنظر في القرى والغلات وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، وتعيين فقيه في كل قرية ليعلم أهلها أمور دينهم(٢).

اتخذ نائب السلطنة بالقاهرة سجناً له يسجن فيه ويفرج عن المساجين بإرادته، فقد ذكر المقريزي أن الأمير بيدرا نائب السلطنة للأشرف خليل قرر إجراء عملية الإفراج "وأطلق عدداً من سجونه" وذلك بعد شفائه من مرض ألم به سنة 691هـ/ 1292م.(٣)

وقد اتخذ نواب السلطنة سجوناً في مراكز نياباتهم، فقد أشار السخاوي إلى أن نائب غزة سيف الدين يلخجا، عندما جاء المرسوم بعزله من النيابة بسبب مرضه واستقرار حطط خصمه بها، سارع إلى قتل جماعة كانوا في سجنه من أتباع حطط، ولم يتمكن حطط من الاعتراض "لكون خلعة النيابة لم تأت بعد"(٤).

2- سجون الوزراء:

كانت وظيفة الوزير والملقب بالصاحب(٥)، من الوظائف الهامة في بدايات الدولة ولكن تراجعت أهميتها(٦)، بعد استحداث منصب نيابة السلطنة ثم توزيع مهام الوزير بين ثلاثة موظفين هم: "الناظر في المال، وناظر الخاص، وكاتب السر" ثم لم تلبث هذه الوظيفة أن تلاشت في أيام الظاهر برقوق بما أحدثه من ديوان المفرد(٧).

وجدت في العصر المملوكي سجوناً خاصة تحت إشراف الوزراء، اختصت بسجن المصادرين، وكانت لها ترتيباتها الخاصة فيما يتعلق بالحراسة، ومن الأمثلة على ذلك السجن

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 191؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 345.
(٢) السبكي: معيد النعم، ص ص21- 22.
(٣) المقريزي: السلوك: ج1، ق3، ص 779.
(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص 169. - سيف الدين يلخجا: أصله من مماليك الظاهر برقوق توفي سنة 850هـ/ 1446م. السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص 291. - حطط الناصري فرج: توفي سنة 857هـ/ 1453م. أنظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج 2، ص 161.
(٥) حول سبب إطلاق لقب الصاحب على الوزير انظر. ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ص 79- 80؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 223.
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 28.
(٧) المقريزي: الخطط، ج2، ص 223.

الذي اتخذه علم الدين سنجر الشجاعي[١] واختص بسجن المصادرين، وقد كلف المنصور قلاوون دواداره بهاء الدين بغدي بالكشف على هذا السجن ثم كلف نائبه حسام الدين طرنطاي باستعراض المساجين فنفذ المهمة واستعرضهم ثم أفرج عنهم جميعاً[٢].

3- **سجن الأستادار**:

الأستادار لقب يطلق على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وتَمَثُّل أوامره فيه[٣] وإليه أمور بيوت السلطان من المطابخ والشرابخاناه، وله الحديث المطلق في تجهيز ما يحتاجه من الكساوي والنفقات[٤].

وقد اتخذ الأستادارية في العصر المملوكي سجوناً خاصة يودعون فيها من يقبض عليهم من المصادرين[٥]، وكانوا يتخذونها في مواقع مفردة البناء كما جرى عرضه في قصر الحجازية، أما أغلبها فتكون في موقع من دار الأستادار، وتنتهي علاقته بهذا الموقع عند عزله وتصبح عملية السجن فيه من حق الإستادار الذي يخلفه.

ففي سنة 803هـ/ 1400م وقعت الفتنة بين الأمير تمراز الناصري نائب الغيبة للسلطان فرج بن برقوق وبين يلبغا السالمي الأستادار، فأرسل تمراز مماليكه وهجموا على بيت السالمي "وأخذوا من كان محبوساً ومن في الترسيم"[٦]، ولما عزل السالمي عن الأستادارية وعُين مكانه عمر بن قايماز، سكن ابن قايماز بدار السالمي وسجنه بمكان فيها[٧]، كان السالمي أعده لسجن من يصادره[٨].

وفي فترة تولي بدر الدين بن محب الدين الأستادارية سجن في بيته فتح الله كاتب السر لأغراض مصادرته،[٩] وفي فترة تولي جمال الدين الأستادار سنة 808هـ/1405م سجن عدد

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج21، ص 124؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 741.
(٢) العيني: عقد الجمان، ج2، ق3، ص 740. وانظر: بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 119.
(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص249؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 28.
(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 118؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص21.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 603.
(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 96. حول تمراز الناصري. أنظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص 38.
(٧) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 112؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ص 679. - عمر بن قايماز ركن الدين أبو حفص بن الأمير سيف الدين، ولد بالقاهرة. مات سنة 809هـ/1406م، السخاوي: الضوء اللامع، ج5، ص 240.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص 129.
(٩) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص 248.

كبير من التجار ليؤخذ منهم مالاً على قمح وفول بناحية من صعيد مصر [١].

4- سجن الدوادار:

اسم فارسي مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الدّواة والثاني دار وتعني ممسك[٢]. والدوادار هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ووظيفته تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير، وإبلاغه بعامة الأمور وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى باب السلطنة وتقديم البريد[٣]، وأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب[٤]، وقد استحدثت هذه الوظيفة زمن المنصور قلاوون[٥].

وقد أشار الصيرفي إلى اتخاذ الدوادار في عصره سجناً خاصاً، وأن هذا السجن احتوى على أعداد كبيرة من المساجين، حيث يقول في أحداث سنة 875هـ/ 1470م: "طلب الدوادار الكبير جميع من في حبسه من الفلاحين والمصادرين، وأطلق منهم مائة وسبعين نفراً وبلغني– أنه - يصالح عن المديونين في حبسه بمال من عند نفسه"[٦]، والرواية إذ تؤكد على اتخاذ الدوادار سجناً منفرداً فإنها تبين أن السجن اختص بالمصادرين والمديونين.

ومن الأمثلة الأخرى على السجن عند الدوادار عندما رُسم على عبد الرحمن بن الكويز في بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني حتى يرد للأمير قرقماس الأشرفي قريب الأشرف برسباي ما أخذه من ثمن قرية اشتراها منه وجدها لم تفِ بالمبلغ المعين من الخراج كل سنة، وحين استُرْجِعَ المبلغ الباقي لقمرقماس أُفرج عن الزيني ورُدت القرية إليه[٧].

5- سجن الوالي:

كان يطلق على من يتولى هذا المنصب في العصر الإسلامي صاحب الشرطة[٨]، ومن

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 750.
(٢) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 139.
(٣) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 118؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص19، البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 139.
(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 118، القلقشندي: صبح الأعشى، ، ج4، ص ص 19- 20.
(٥) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 139
(٦) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 263.
(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص ص 362- 363.
(٨) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 106، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص23، المقريزي: الخطط، ج2، ص223، ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 324؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 358، آشتور: التاريخ الاقتصادي، ص 372؛ متز: الحضارة الإسلامية، ص 233.

مهام الوالي الطواف بالليل، وحفظ الأمن، ومطاردة اللصوص والمفسدين، والقبض على أرباب الجرائم، والمحافظة على أرواح الناس وأموالهم(١)، وقد وجد لمنصب الوالي خصوصية في بعض المناطق كالإسكندرية حيث كان يطلق عليه لقب "النائب"(٢).

وقد اتخذ والي القاهرة سجناً خاصاً في مقر عمله وفي بعض الحالات كان يستخدم بيته، وقد ارتبطت وظيفته بتنفيذ العقوبة على المصادرين والتي تقضي أن يبقوا في سجنه مدة معينة تحت العقوبة حتى يعترفوا بما عندهم من أموال كما يقوم الوالي بتنفيذ عقوبة القتل في سجنه. وممن سجنوا عند والي القاهرة لاستكمال إجراءات مصادرتهم محمد بن محمد الأستادار الذي سجن عند علاء الدين بن الطبلاوي وبقي مسجوناً يومين تحت العقوبة حتى استخلص منه مبلغ مائة ألف دينار(٣)، وكذلك الوزير فخر الدين بن غراب الذي نقل من سجن جمال الدين الأستادار وسلم للوالي شهاب الدين أحمد بن الطبلاوي فعاقبه عدة عقوبات(٤).

أما عن تسليم المحكوم عليهم بالإعدام إلى الوالي فمن الأمثلة على ذلك ما تم سنة 793هـ/ 1390م حين سلم جماعة من الأمراء لعلاء الدين الطبلاوي فقتلهم بعد ليلة من تسليمهم(٥). وما تم سنة 794هـ/ 1391م حين سلم طغيتمر القبلاوي نائب سيس إلى ابن الطبلاوي لينفذ أوامر الظاهر برقوق بقتله(٦).

6- سجون أمراء الإقطاعات:

تعرض الفلاحون في الإقطاعات للظلم على يد موظفي دواوين الأمراء المقطعين، وكان الظلم يزداد في مناسبات جمع الضرائب(٧)، ونظراً لتمتعهم بسلطات تتيح لهم سجن الفلاحين أو الأجناد، فقد وجد في الإقطاعات سجوناً من الأمثلة عليها سجن الأقصاب في طرابلس(٨).

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص324.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص324.
(٣) ابن قاضي شهبه: تاريخ، ج3، ص ص 575- 576.
(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص 85.
(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 378.
(٦) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 441.
(٧) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ص 241- 242.- أورد السبكي وصايا لموظفي دواوين الأمراء كان من أهمها الرفق بالفلاحين وتجنب أكل الحرام. انظر: السبكي: معيد النعم، ص ص 29- 30.
(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 33؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 94. والاقصاب: هي الجهات التي اتخذها الأمراء لزراعة قصب السكر في طرابلس. انظر: القلقشندي: ج3، ص ص 33- 35.

ج- مواقع الترسيم (الحجز المؤقت)

اعتمد السلاطين سياسة تحويل المقبوض عليهم لموظفي الدولة مثل ناظر الخاص أو الدوادار، وذلك لتنفيذ عملية المصادرة[١]، وكان لهؤلاء الموظفين صلاحيات واسعة في تحديد موقع الترسيم أو السجن وفي اعتماد نوع العقوبة لاستخلاص الأموال، وهذا ما يكشف عن شيوع ظاهرة الترسيم في أماكن عمل هؤلاء الموظفين أو في دورهم.

1- الترسيم عند ناظر الخاص:

وجدت وظيفة ناظر الخاص أو نظر الخاص منذ العصر الفاطمي، وازدادت أهميتها في العصر المملوكي، بعد أن أبطل الناصر محمد منصب الوزارة[٢]. ومتولي هذه الوظيفة متخصص في النظر في أموال السلطان الخاصة به،[٣] لذلك أوكلت إليه مهمة استخلاص الأموال من المصادرين مع حرية اختيار مكان السجن أو الترسيم، فحين كُلِّفَ تقي الدين بن أبي شاكر ناظر الخاص بمصادرة كاتب السر فتح الله قام تقي الدين بنقل فتح الله من القلعة إلى داره ووكل به من يحرسه وأخذ منه المال المقرر عليه[٤].

2- الترسيم عند الخازندار:

الخازندار أو الخزندار وهو لقب يطلق على الذي يتحدث عن خزانة السلطان المالية أو الأمير أو كليهما[٥]. ولفظة الخزندار مركبة من مقطعين وهما: الخزن أو الخازن وهو كاتب يتولى خزن الغلات وصرفها، ودار وتعنى المكان[٦]، وقد أوكلت إلى الخازندار مهمة الترسيم على المصادرين لاستخلاص الأموال منهم. ففي سنة 758هـ/ 1357م أمر الأشرف إينال "بالقبض على برغلي الخراساني محتسب القاهرة وسجنه عند الأمير فيروز النوروزي الخازندار" على مال طلبه منه"[٧].

---

(١) البغدادي: السجون في مصر، ص 111.
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 227.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 227؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 343؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 15.
(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص 252.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 192؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 68.
(٦) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص113؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 68.
(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 457. وانظر ترجمة فيروز النوروري الخازندار عند: السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص ص 176- 177.

3- الترسيم عند شاد الدواوين:

كانت مهمة شاد الدواوين إدارة الدواوين ومتابعة موظفيهـا وحـساباتها، وكـان رفيقـاً للوزير[١]، وشاد الدواوين في اللغة مركبة من مقطعين: الأول وهو شد يعنى فتش والثاني وهـو الدواوين، وشد الدواوين يعنى فتشها وضبط حساباتها[٢]. وقد اتخذ شاد الدواوين من مقر عملـه أو من بيته مكاناً للترسيم على موظفين قاموا بمخالفات إدارية أو الترسـيم علـى المـصادرين، فحين شكا جماعة من أصحاب الرواتب على الوزير تاج الدين المكي بأنه أخّر رواتبهم سُلم تاج الدين وولده للأمير بهادر شاد الدواوين وباتوا عنده حتى صرفوا الرواتب لأصحابها[٣]. وحـين تأخر ناظر الخاص سعد الدين بن عزاب عن دفع ما التزم به من أموال سجن مع أخيـه فخـر الدين في الزردخاناه ثم نقلا إلى شاد الدواوين حتى يدفعا ما التزما به[٤].

4- الترسيم عند رأس نوبة:

موضوع وظيفة رأس نوبة الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيـديهم، وجـرت العادة أن يتولى هذه الوظيفة أربعة أمراء مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه وهو أعلاهم[٥]، ولكل أميـر من أمـراء المئين أو الطبلخاناه رأس نوبة[٦]. وقد أوكلت إلى متولي وظيفة رأس نوبة بـالقبض مهمة الترسيم على المصادرين، فحين قبض الناصر فرج على الوزير فخر الدين بـن غـراب وعلى أخيه وعلى الشهابي أحمد بن عمر بن قطينة المتحدث في الكارم، وعلى الـشريف عـلاء الدين شاد الدواوين سُلموا إلى الأمير أزبك الرمضاني رأس نوبة ليعـاقبهم، ويـستخلص مـنهم الأموال[٧].

5- الترسيم عند الحاجب:

كانت وظيفة الحجوبية من الوظائف الهامة في الدولة المملوكية، وكانت تلي رتبـة نيابـة السلطنة، ويقال لأكبر الحجبة حاجب الحجاب، وهو يقوم مقام النائب في غيابـه[٨]، وكـان يـتم

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 193، البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 191.
(٢) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 195.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 265- 266.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 168.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص ص 18- 19؛ البقلي: التعريف بمـصطلحات الأعـشى، ص 155، دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص81.
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 61؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 155.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 566- 567. - أزبك الرمضاني: الأشقر الظاهري برقـوق أمير طبلخاناه وراس النوبة، مات سنة 806هـ/ 1403م، السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص 272.
(٨) المقريزي: الخطط، ج2، ص 219.

حجز المتهمين عند الحاجب مثل القاضي كمال الدين الحصيني الحنفي الذي احتجز بسبب شكوى امرأة ذكرت أنها أودعته مالاً فأنكره عليها، وبعد أن عوقب بالضرب قُرر عليه مبلغاً من المال، وعزل عن القضاء[١].

6- الترسيم عند كاتب السر:

يختص صاحب هذه الوظيفة بالكتب الواردة إلى السلطان، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً. والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها[٢]. والعامة تسميه كاتم السر وذلك لأنه يكتم سر السلطان[٣]. وقد أجرى كتاب السر عمليات حجز مؤقت، ففي سنة 783هـ/ 1318م سجن الأمير زين الأستادار عند كاتب السر ابن مزهر ثم نقل إلى قلعة الجبل فسجن في أحد أبراجها[٤].

7- الترسيم عند شاد الشرابخاناه:

شاد الشرابخاناه لقب يطلق على الذي يتولى الإشراف على الأشربة التي يحتاجها السلطان وأصل هذه الكلمة من ثلاث مقاطع: شاد معناه المفتش، والشراب وهو ما يشرب، والخاناه وهي المكان أو الموضع[٥]. ويتولى شاد الشرابخاناه الترسيم على المصادرين ويكون عمله مكملاً لعمل موظفين غيره، ومن الأمثلة على ذلك نقل ابن غراب وابن قطينة من عند الأمير أزبك رأس نوبة إلى بيت الأمير قطلوبغا ليتولى مصادرتهما[٦].

8- الترسيم في المدارس:

أجرى المماليك عمليات ترسيم من عدد من المدارس داخل القاهرة. ومن هذه المدارس:

المدرسة الصاحبيّة[٧]: تقع هذه المدرسة في القاهرة في سويقة الصاحب، وكان موضعها جزءاً من دار الوزير يعقوب بن كلس وجزءاً منً دار الديباج.[٨] وقد رسم فيها على أبي الخير النحاس حيث نقل إليها ماشياً، وازدحمت العامة في الطرقات تسبّه وتلعنه، وعندما أُدخل إليها مع

---

(١) ابن قاضي شهبه: تاريخ، ج3، ص 639.
(٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص120؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 282؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 127.
(٣) البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 282.
(٤) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 60.
(٥) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 95، 97.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 567
(٧) للمزيد عن هذه المدرسة: انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 371.
(٨) المقريزي: الخطط، ج2، ص 371.

"رسل الشرّع" استغل العامة خروج جوهر الساقي للحوطة على أملاك ابن النحـــاس، وهجمـــوا عليه داخل المدرسة إلى أن صاحت رسل الشرع عليهم وهربوه إلى موضع آخر بالمدرسة يقال أنه بيت الخطابة(١).

المدرسة الفخرية(٢): تقع هذه المدرسة في القاهرة بين سويقة الصاحب ودرب العداس(٣). ورُسِّم في هذه المدرسة على الوزير بدر الدين بن محب الـــدين الطرابلـــسي ســـنة 821هـــ/ 1418م، وكان المؤيد شيخ قد كلّف الأمير أبي بكر الأستادار بالقبض عليه ومصادرته(٤).

المدرسة الجوزية: تقع هذه المدرسة في القاهرة بسوق القمح بالقرب من الجامع، أســـسها محيي الدين بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الـــرحمن بـــن الجـــوزي (580- 656هـــ/ 1184- 1258م)(٥). وقد رسم فيها على القاضي شهاب الدين الباعوني، وكان قد نقل إليها مـــن القبة العادلية تبعاً لتغير القاضي، فبعد دعاوى مختلفة ضد الباعوني أشار كاتب الـــسر أن تكـــون محاكمته عند القاضي الحنبلي "فنقل إلى الجوزية"(٦).

المدرسة الظاهرية الجديدة(٧): رُسِّم فيها على تاج الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر نـــاظر الخاص بعد القبض عليه سنة 836هــ/ 1432، وصودر على أربعين ألف دينـــار بـــاع فيهـــا موجوداته، وبقي في الترسيم بشباك المدرسة يستجدي كل من يمر به من الأعيان حتـــى حـــصل مالاً كثيراً، فأفرج عنه وأعيد إلى "مباشرة الذخيرة والأملاك ثم قرر في الوزارة "(٨).

---

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 271.
(٢) للمزيد عن هذه المدرسة: انظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 267.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 267.
(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص ص 468- 471.
(٥) النعيمي: الدارس، ج2، ص ص 23- 50.
(٦) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 514.
(٧) للمزيد عن هذه المدرسة: انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 235.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 235.

الفصـــل الثاني

إدارة السجـــون وأنظمتها الداخليـــة

أولاً: إدارة السجون

أ. التبعية الإدارية

ب. موظفو السجون

ثانياً: مالية السجون

أ. مصادر الإنفاق على السجون

ب. أشكال الإنفاق على المساجين

ج. الضرائب على السجون ومواقع الترسيم

ثالثاً: الأنظمة الداخلية للسجون

أ. سجلات السجون

ب. الكشف عن المساجين داخل السجون

ج. عمليات نقل المساجين

د. عمليات تقييد المساجين

هـــ. عمليات الإفراج عن المساجين

رابعاً: تأثير الأوضاع السياسية والأمنية على السجون

أولاً: إدارة السجون

أ- التبعية الإدارية

خضعت السجون في العصر المملوكي لإشراف مباشر من قبل:

1. الوالي:

سبقت الإشارة في موضوع السجون الخاصة إلى المهام التي يقوم بها الوالي مثل: المحافظة على الأمن في الولاية، وتتبع اللصوص وقطاع الطرق مضافاً إليها الإشراف على السجون، ومراقبتها، وتولي عملية القبض على المساجين وإيصالهم إلى مواقع السجن.

تتمثل عملية الإشراف المباشر للوالي على مبنى السجن بحمايته والحيلولة دون تعرضه للكسر. وفي ذلك يقول الخالدي: "وله الأمر - الوالي - على الحبوس وعلى أبواب القاهرة .... ولا يمكنه النوم خارج المدينة إلا بمرسوم خوفاً من حريق أو كسر حاصل أو فتح سجن"[١].

وكان من مهام الوالي الإشراف على المساجين وتسلمهم لاسيما السلاطين وكبار الأمراء منهم. ففي سنة 742هـ/ 1341م أرسل الأمير قوصون ليسجن في الإسكندرية، فخرج والي الثغر ليتسلمه[٢]، ولما قبض على مماليك الأمير تغري بردي البكلمشي المؤيدي بتهمة التخطيط لقتل أستاذهم، سلموا لوالي القاهرة الذي تولى إيداعهم في سجن المقشرة[٣].

وأمر الظاهر جقمق والي القاهرة الأمير جانبك اليشبكي أن يضرب عبد يدعى (سعدان) ادعى شفاء الأمراض. فقبض عليه اليشبكي، وشهره، ثم سجنه بالمقشرة[٤]، وفي اليوم التالي وجد أعداداً كبيرة من الناس ممن له اعتقاد بهذا العبد، قد تجمعوا على باب السجن، فضرب بعضهم، وسجن البعض الآخر[٥].

كما تولى الوالي الإشراف على عملية البحث عن المطلوبين لتقديمهم للمحاكمة، فحين قرر الناصر محمد تقديم شهاب الدين البعلبكي أحد أصحاب ابن تيمية ليحاكم أمام قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي، أمر والي القاهرة الأمير قدادار بإحضاره، فأخذ الوالي بالبحث عنه

---

(١) الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 128.أ.

(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 595.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 72؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص 42.

(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 251.

(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 252؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص 303.

حتى قبض عليه وسلمه إلى الأخنائي[١].

ومن هنا كان على الوالي أن يكون يقظاً؛ وذلك ليتمكن من إفشال أية محاولة للتحايل من أجل عدم إخراج المساجين وهروبهم. فعندما سجن الأمير يشبك الموسوي في الإسكندرية، كتب السلطان الناصر فرج إلى والي الإسكندرية أن لا يقبل ما يرد عليه من أمراء القاهرة في أمر الأمير يشبك ومن معه من الأمراء، وإن حضر أحد بطلبهم، فليبادر بقتله "وإلقاء رأسه إليهم"[٢].

كما كان على الوالي إبلاغ السلطان بكل ما يجري في السجن. فعندما توفي جماعة من الأمراء المسجونين بسجن الفيوم سنة 761هـ/ 1386م سارع والي المدينة بإرسال محضر إلى السلطان يبين فيه سبب الوفاة[٣].

ومن مهام الوالي في هذا الشأن أيضاً الاشراف على تسلم المصادرين من الأجناد والكتاب وأعيان التجار ومعاقبتهم. وإن أثارت هذه الأمور استغراب المقريزي، فهي تدل على سوء الأوضاع التي كانت سائدة في تلك الفترة. فقد كانت العادة قبلاً أن إلقاء القبض على المصادرين كان من اختصاص شاد الدواوين أو مقدم الدولة ويتم بمرسوم من الوزير، وحسب المقريزي: لا تمتد يد الوالي إلى الحكم فيهم، "ويرجع أمرهم إلى نائب السلطان، فإن لم يكن فحاجب الحجاب، لأن كل أحد له رتبة محفوظة لا يتعداها، فانخرق السياج، وأخذ كل أحد يتعدى طوره، ويجهل قدره"[٤].

2- نائب القلعة [٥]

يعين نائب القلعة بمرسوم سلطاني[٦]. فإذا تولى منصبه حلف يمين الطاعة للسلطان بالدفاع عن القلعة، فلا يسلمها إلا بمرسوم منه[٧]. ومن مهامه: حفظ القلعة، وعمارة ما تهدم

---

(١) المقريزي: المقفى، ج1، ص 657.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 632. وانظر: المقريزي: السلوك ج3، ق3، ص 1068.
(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 323.
(٤) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 330.
(٥) يشمل الترتيب الإداري، وتوزيع المهام الإدارية والعسكرية (قلعة الجبل) في مصر والقلاع في الشام، وحسب المصادر ينفرد نواب القلاع في النيابات بأنه يوضع تحت تصرفهم "حماماً زاجلاً" لإبلاغ السلطان بما يستجد من أمور. أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص ص 191، 192، ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 133؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 345.
(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص191.
(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص191، 224، 225؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص 188- 189؛ البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 354.

منها، وتخزين الأسلحة، والإشراف على الأجناد المقيمين فيها، وتحصينها بالآت الحصار، والإشراف على عملية فتح وغلق أبوابها[١].

ونائب القلعة مسؤول بصفة مباشرة عن الإحتفاظ بالمساجين داخلها، ويتعرض للعقوبة إذا ما تمكنوا من الهرب. فبعد هروب جماعة من العربان من قلعة دمشق قام نائب السلطنة بدمشق بمكاتبة السلطان المنصور محمد بن حاجي الذي أمر بعزل نائب القلعة ونقيبها ومعاقبتهما بالضرب والسجن[٢]. ويشارك النائب في مهمة الإشراف والمحافظة على المساجين نقيب القلعة[٣].

ب- موظفو السجون

1- الموظفون الإداريون (أمير جاندار)

أمير جاندار لقباً مركباً يتكون من ثلاثة مقاطع هي: أمير: لفظ عربي، وجان: لفظ فارسي بمعنى الروح، ودار: لفظ فارسي معناه: الممسك. ويعني اللفظ كاملاً الأمير الممسك للروح أي الحافظ للسلطان[٤]. وأساس عمله: حراسة السلطان في مجلسه، وعدم السماح بالدخول عليه إلا لمن يثق به[٥]، وعليه مسؤولية يشترك فيها مع الدوادار وكاتب السر وهي تقديم البريد للسلطان[٦]، أما العمل الذي ينفرد به فهو تسلم الزردخاناه[٧].

وأشار ابن فضل الله العمري إلى السلطة الكبيرة التي كان يتمتع بها (الأمير جاندار) تبعاً لتوليه أمر الزردخاناه، وفي ذلك يقول: "فإذا أراد السلطان تقريع أحد أو قتله: كان على يد صاحب هذه الوظيفة[٨].

---

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 33؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 128.أ.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص290.
(٣) حول مرسوم تعيين نقيب القلعة: انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 192؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 188
(٤) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 20.
(٥) الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 128. أ؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 20.
(٦) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص 117، 118؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 222: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 48، دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 20.
(٧) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص ص 117، 118؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص222؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص22.
(٨) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 117.

2- السجّانون وعمّال السجون

السّجان لغة: هو صاحب السجن(١)، وقد شاع استخدام اللفظ في المصادر المملوكية للتعريف بالشخص المشرف على عملية حفظ السجون ومراقبة المساجين(٢). وقد أوجد المماليك هذه الوظيفة في السجون مفردة البناء في القاهرة وفي بعض السجون المرفقة بمنشآت الدولة كأبراج الإسكندرية(٣)، كما عينوا عدة أشخاص في الموقع الواحد لمساعدة السجان أطلق على الفرد منهم صبي السّجان(٤) أو صبي السجن(٥).

ونظراً للعلاقة المباشرة بين وجود السجّان ومساعديه وعملية حفظ المساجين، فإن الشروع بعملية الهروب أو اكتمالها حتى النهاية كانت من المخاطر التي يتعرض لها السجان، وكذلك صبيان السجن، ففي سنة 850هـ/ 1416م قتل مساجين المقشرة سجّانهم "وخرجوا عن آخرهم"(٦)، وفي سنة 897هـ/ 1491م قام أحد المجرمين ممن تكرر هروبهم من سجن المقشرة بقتل أحد صبيان السجن، وخرج من بابه هو وجماعة من المساجين(٧).

3- حراس السجون

أدى تعدد الجرائم وتنوعها واختلاف السلطات المشرفة على السجون ومواقع الترسيم إلى ظهور أشكال ونماذج مختلفة للحراسة لاسيما في السجون المفردة البناء، والسجون المرفقة بمنشآت الدولة. فكانت عملية توزيع الحراس على السجون المفردة تتم من قبل والي القاهرة وذلك تبعاً لتعليمات نائب السلطنة، وتتمثل طريقة الحراسة بمضاعفة عدد الحراس على المباني أثناء الليل، وتوزيعهم على السجون يكون في "باطنها وظاهرها وعلوها وحولها"(٨). كما يقوم الحراس بالإشراف على الجاندارية الذين يحرسون المساجين خارج السجن، لاسيما عند إخراج

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج14، مادة سجن. وانظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص 187.
(٢) السبكي: معيد النعيم، ص 142؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 187؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 67؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 415؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق1، ص 255، وإعلام الورى، ص 147.
(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 475. حول وظيفة السجان في برج الخيالة من قلعة دمشق. انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص 153 وفي قلعة الكرك. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 415.
(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 607.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 341.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 607.
(٧) المصدر نفسه، ج3، ص 1264.
(٨) ابن الفرات: تاريخ، ج7، ص 197.

هؤلاء المساجين للتسول في الطرقات(١).

أما في القلاع فإن حراس المساجين هم أمراء أو مماليك أو خدم، وعملية اختيارهم من بين هؤلاء تكون حسب أهمية السجين، فعندما سجن قوصون نائب السلطنة وأتابك العسكر في البرج الأحمر أوكلت مهمة حراسته لجماعة من الأمراء(٢).

وكان اختيار أمراء وليس مماليك أو خدم لحراسة قوصون قد جاء تحسباً لأي تحرك أو محاولة لإخراجه من قبل أتباعه، حيث كان وحتى لحظة القبض عليه يحظى بولاء حوالي سبعمائة مملوك(٣).

كما اختير بعض الخدم لحراسة السلاطين ممن سجنوا في قلعة الجبل وتحديداً في دور الحرم. مثل الناصر حسن بن الناصر محمد(٤)، والصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد(٥) والمنصور محمد بن حاجي(٦).

ويبدو أن هؤلاء الخدم كانوا يكلفون بخدمة المساجين من السلاطين وأبنائهم وحريمهم ويلزمون بمراقبتهم ونقل أخبارهم إلى السلطان، كما تشدد الحراسة بالاستعانة بآخرين من المماليك أو حتى الأمراء على مداخل دور الحرم.

واختير الأوجاقية لحراسة المساجين من المماليك فحين أمر الأشرف برسباي بسجن أربعة من المماليك السلطانية في (الركنخاناة) من القلعة، كان الحرس عليهم من الأوجاقية(٧).

وكانت الحراسة في القلاع، تجري وفق نظام المناوبة في الحراسة، فعندما قام منطاش بسجن عدد كبير من مماليك الظاهر برقوق في خزانة الخاص من قلعة الجبل وكل بهم جماعة "يحرسونهم بالنوبة"(٨).

---

(١) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 203، 290.
(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 590.
(٣) حياة حجي: أحوال العامة، ص 35.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 1، ص 537.
(٥) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص552.
(٦) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص 593.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 136.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص7.

4- الجاندارية (أعوان الوالي)

الجاندارية: هم المماليك الذين يتبعون السلطان أو الأمير[١]، وكانت مهمتهم الأساسية حراسة المساجين من الأسرى أثناء تشغيلهم خارج السجون، بالإضافة إلى حراسة المساجين المكلفين بالتسول[٢].

وتوضح ظاهرة تسول المساجين سبب تسمية الجاندارية بأعوان الوالي، فالوالي هو المشرف على السجون المفردة البناء التي انتشر التسول بين مساجينها، وهو الذي أوكل إليهم مهمة الحراسة، لذلك أطلق عليهم المقريزي اسم "الأعوان"[٣].

5- المترسمون[٤] وأعوان القضاة[٥]

أطلقت عليهم تسميات مختلفة منها: رسل الشرع[٦]، والرسل[٧]، والأعوان[٨]، وكان هؤلاء كثيراً ما يجلسون على باب القاضي[٩] أو على باب شاد الدواوين[١٠].

وتتلخص مهمتهم في أخذ الشخص المقبوض عليه من موقع القبض إلى السجون أو مواقع الترسيم، وحراسته للحيلولة دون هروبه، أو تحرش الناس به[١١]. والاحتياط على أموال المصادرين، وذلك تمهيداً لقيام القضاة بضبط الأموال والحجج والرهون والاستعلام عن الشخص المصادر[١٢].

واستخدمت فئات أخرى لحراسة المُرَسم عليهم مثل المماليك الخاصكية، والبريدية، فحين رسم على زين الدين عبد الباسط بالحوش من القلعة، كان المرسمون عليه ثمانية من المماليك

---

(١) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية: ص 57، البقلي: التعريف مصطلحات الأعشى، ص 82.
(٢) ابن الفرات: تاريخ: مج7، ص 197؛ الصيرفي: إنباء الهصر، ص 290.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2 ص 187.
(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1160.
(٥) المصدر نفسه، ج4، ق1، ص 484.
(٦) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 271.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 445؛ وإنباء الهصر، ص 497.
(٨) المقريزي: السلوك، ج2، ق2 ص 419؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 289.
(٩) البصروي: تاريخ، ص 215.
(١٠) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 419.
(١١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 271.
(١٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 289.

السلطانية من خاصكية السلطان الظاهر جقمق[١]. وعندما نقل قاضي القضاة شمس الدين الهروي من القلعة ليرسم عليه في قبة الصالح التابعة للمدرسة الصالحية، كان المرسمون عليه أثناء نقله اثنين من البريدية أحضروا من بيت الدوادار لهذا لغرض[٢].

ثانياً: مالية السجون

أ- مصادر الإنفاق على السجون: تعددت مصادر الإنفاق على السجون خلال العصر المملوكي. ومن هذه المصادر:

1- الأوقاف:

الوقف لغةً: الحبس، ويقصد به تلك الأراضي والمنشآت التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية، أو للمجاهدين والفقراء، أو لليتامى وفك الرقاب، أو لبناء المساجد والحصون والبيمارستانات والمدارس، وغير ذلك من الأعمال الخيرية[٣].

استُخدِمَتْ عائدات الأوقات للإنفاق على المساجين في حالات خاصة، مثل الإنفاق على السلاطين المساجين أو أبنائهم وعلى الأسرى، فقد استخدمت أموال أوقاف الأشرف برسباي للإنفاق على ابنه العزيز يوسف المسجون ببرج الإسكندرية، وخصص له منها "في كل يوم ألف درهم"[٤].

أما عن الأوقاف التي استخدمت عوائدها في الإنفاق على المساجين من العامة فهي وقف الأمير سيف الدين بكتمر الذي يرجع تاريخه إلى سنة 707هـ/ 1307م، ووقف فاطمة بنت سودون بن عبد الله النوروزي، ويرجع تاريخه إلى سنة 863هـ/ 1459م، وقد اعتمد آدم صبره في كتابه الفقر والإحسان على الوقفيات الأصلية عند بيان وجوه الإنفاق منها على المساجين والمحتاجين[٥] وفيما يلي طريقة الإنفاق حسب دراسة صبرا:

---

(١) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص ص 1159- 1160.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 445.
(٣) الكبيسي: أحكام الوقف، ص 34، 8.
(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1164. وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص 96.
(٥) صبره: الفقر والإحسان، ص 145. وانظر ص 168 حاشية: 92، 93، 94، وتحتوي على مصادر وثائق المؤلف.

1. وقف بكتمر: قُدِمَ من عائداته الطعام والماء ليتم توزيعه على المساجين من الرجال والنساء في سجون القضاة وسجون الولاة[١].
2. وقف فاطمة بنت سودون: كان يقدم مائتي درهم فضة شهرياً لشراء الخبز الذي يوزع على أربعة سجون؛ سجن الرحبة، وسجن الديلم، وسجن المقشرة، وسجن الحجرة (سجن النساء)، وكان يخصص لكل سجين خمسون رغيفاً شهرياً، وبالإضافة إلى ذلك كان مبلغ 160 درهم فضة يصرف شهرياً لتقديم الماء العذب إلى هذه السجون عشية الجمعة من كل أسبوع[٢].

واستخدمت عائدات أوقاف الفقهاء للإنفاق على فئة أخرى هم: الأسرى مثل: الأسرى العثمانيين الذين أدخلوا القاهرة سنة 890هـ/ 1485م، وتم سجنهم في مواقع مختلفة منها: أبراج القلعة، وسجن المقشرة، وسجون القضاة[٣].

وقد استمر استخدام عائدات الأوقاف في الإنفاق على المساجين حتى العصر العثماني، ففي وقفية إبراهيم أغا المؤرخة سنة 1106هـ/ 1689م اشترط أن يصرف ما يزيد من لوازم الوقف على المساجين في سجني الرحبة والديلم[٤].

2- مخصصات إدارية

يمكن الافتراض بوجود مخصصات إدارية ثابتة أو طارئة للإنفاق على المساجين من كبار رجال الدولة، وخاصة مساجين قلعة الجبل اعتماداً على ما أورده العسقلاني وما أورده ابن كثير عن خدمات معيشية كانت تقدم للمساجين بالإضافة إلى ما ذكره المقريزي في الخطط عن راتب أجري على أحد الأمراء وهو في السجن.

تحدث العسقلاني عن تعليمات المنصور قلاوون قبل خروجه من مصر موجهة لابنه الأشرف خليل بين له ضرورة الإشراف على تقديم الطعام، والكسوة، والعلاج للمساجين في قلعة الجبل[٥].

---

(١) صبره: الفقر والإحسان، ص 145. ذكر اسم سجن الحجرة تحت اسم الهجرا ولعله خطأ بسبب الترجمة.
(٢) المرجع نفسه، ص 145.
(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 971-972.
(٤) مبارك: الخطط التوفيقية، ج2، ص 269.
(٥) العسقلاني: الفضل المأثور، ص 129.

ويمكن القول أن مواعيد تقديم الخدمات ومقدار ما ينفق كان محدداً بشكل مسبق، ومصادق عليه من قبل قلاوون، حيث يرد على لسانه تأكيد بعدم تأخير هذه الخدمات للمساجين "بل تفاض عليهم في أوانها على ما قررناه"(١).

أما الإشارة التالية والتي وردت عند ابن كثير فقد كانت على لسان ابن تيمية، في رسالة أرسلها خلال سجنه في الجب لتقرأ أمام الناس، وفيها يقول أنه:" لم يقبل من أحد شيئاً، لا من النفقات السلطانية، ولا من الإدرارات، ولا غيرها، ولا تدنس بشيء من ذلك"(٢).

3- الخزانة السلطانية

وردت إشارة إلى عملية الإنفاق على السجون من أموال الخزانة السلطانية، تمثلت بتخصيص الناصر محمد سنة 711هـ/ 1311م مبلغاً من المال وهو ألف دينار عين مصرية "يستفك – به – من بالسجون من أرباب الديون، ويتفقد به من في سجون الوالي ويتتبع صلاحهم"(٣).

ويقسم المبلغ بين نوعين من السجون. النوع الأول: سجون القضاة التي يحبس فيها المدينون، وتصرف لها الأموال لاستفكاك المساجين والمصالحة على الدين، كما سيعرض لاحقاً أما النوع الثاني: يقدم للسجون المفردة البناء كسجن المقشرة.

ويلاحظ أن العبارة التي أنهيت فيها الرواية وهي " تتبع صلاحهم" يقصد بها سجناء النوع الثاني، وفي هذه العبارة الكثير من الغموض فهي لا توضح شكل الإنفاق أو مقداره، ولعل السبب هو جهل السلاطين أو تجاهلهم، وبالتالي إهمالهم لمتطلبات المساجين في هذا النوع من السجون.

4- الصدقات وهبات المقربين

أنفق على المساجين من قبل بعض المحسنين رغبةً في نيل الأجر والثواب. مثل الشيخ محمد خليل المعروف بالآكال والذي كان كثير التفقد للمساجين وغيرهم من المحتاجين(٤). كما أنفق البعض على المساجين رأفة وشفقة وعرفاناً بالجميل مثل أحد مماليك المعز أيبك الذي تولى

---

(١) العسقلاني: الفضل المأثور، ص 129.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 47. وانظر: المقريزي: المقفى، ج1، ص 463، والرواية فيه:" إنه ما قبل شيئاً من الكسوة السلطانية ولا من الأمراء، ولم يأخذ شيئاً، قل ولا جل".

(٣) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 237.

(٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج2، ص 72؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج2، ص 245.

الإنفاق على (قآن) ابن أستاذه ايبك وذلك عندما سجن (قآن) في الفسطاط[١]، وأنفق البعض الآخر للتوسعة على من يخصهم من المساجين مثل أبو الفضل المكي الذي اهتم بجانم الأشرفي أخو الأشرف برسباي أثناء سجنه وكان يصله "بالأموال الكثيرة"[٢].

5- أرباب الديون

ألزم أرباب الديون بالإنفاق على السجناء المدينين لهم، وجاء هذا الإلزام كي تتخلص الدول عن مسؤوليتها في الإنفاق على المساجين في أوقات الغلاء[٣].

وقد وضع السلاطين المماليك الدائن أمام خيارين: الأول أن يموّن السجين حتى يزول الغلاء، إذا كان الدين كبيراً. والثاني: تقسيط الدين إذا كان يسيراً، وإذا لم يرض الدائن أفرج عن السجين، وضاع حق الدائن[٤].

وتشير المصادر إلى التخبط الإداري الواضح عند اقتراح هذه الحلول الملزمة للدائنين، فعند حدوث الغلاء وما يتبعه من إهمال الدولة للمساجين، وعدم تقديم الطعام لهم، يلجأ السلاطين إلى المصالحة على الديون وإصدار القرارات بالإفراج عن المساجين، أو بوضع الدائنين بين خياري الإنفاق على المسجونين أو تقسيط ديونهم[٥].

ومن أشكال المصالحة على الديون: ما قام بها الظاهر جقمق في ذي الحجة من سنة 854هـ/ 1450م عندما أمر بالنداء على كل من له مسجون أن يحضر بين يديه " مع الأمر بطلب المحابيس للنظر في حالهم بالمصالحة"[٦].

وأشار الصيرفي إلى ذلك مبيناً أن الإلزام بالإنفاق على المساجين كان يتم بشكل رسمي، فعندما سجن القاضي الحنفي أحد الأشخاص على دين، كتب على ورقة اعتقاله: "يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة"[٧].

---

(١) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 77، النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 209.
(٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 102.
(٣) البغدادي: السجون في مصر، ص 115؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 50، 87.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص340.
(٥) المصدر نفسه، ج3، ص 340.
(٦) السخاوي: التبر المسبوك، ص 324.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 340.

ب- أشكال الإنفاق على المساجين: تعددت أشكال الإنفاق على المساجين وتناولت الأمور التالية:

1- استفكاك المساجين:

وهو السعي للإفراج عن المساجين من قبل شخص أو جهة معينة بعد سداد ديونهم، وقد عرف عن بعض السلاطين كثرة إنفاقهم لهذا الغرض، وقلدهم في ذلك كبار الأمراء، ولكن في ظروف خاصة بهم.

ومن السلاطين الذين اعتادوا على استفكاك المساجين الظاهر بيبرس الذي كان يخرج من أمواله في كل سنة "جملة مستكثرة يَسْتَفِك بها من سجن القاضي من حُبسَ من المُقلين"(١) والناصر محمد الذي أنفق من أموال أوقافه الكثير فخصص نصف سهم لفكاك المسجونين من أصل عشرين سهماً شائعاً من ناحية سرياقوس من أعمال القليوبية، وذلك اعتباراً من شهر جمادى الآخرة من سنة 724هـ/ 1323م(٢).

ويشير اعتماد الناصر محمد على عائدات الأوقاف للإنفاق على المساجين، إلى رغبته في اعتماد مورد دائم من أملاكه الخاصة. ولا ينفي ذلك أنه انفق من مورد آخر، ففي سنة 741هـ/1340م - وهي سنة وفاته- أخرج الناصر من الخزانة السلطانية ثلاثين ألف درهم "أفرج بها عن المساجين على دين"(٣).

ومن الأمراء الذين استفكوا المساجين بدفع مبلغ كبير من المال، الأمير صرغتمش رأس نوبه، وذلك بعد أن شفي من مرضه سنة 754هـ/ 1353م(٤)

2- الرواتب

وردت إشارة عند المقريزي في الخطط عن راتب كان يصرف لأحد الأمراء أثناء سجنه وهو سيف الدين بهادر المعزي (ت 739هـ/ 1314م) وقد جمع من هذا الرتب "مبلغ اثني عشر ألف درهم نقره، أخرجها معه من الاعتقال(٥).

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 303.
(٢) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج2، ص 357-360. انظر الوقفية، ملحق رقم (1). وأنظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 78.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 491.
(٤) المصدر نفسه، ج2، ق3، ص 889.
(٥) المقريزي: الخطط،، ج2، ص 76. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص79.

ويعتبر الخبر عن الراتب الذي "صُرِفَ للأمير، رغم أهميته خبراً نادراً، ولا يمكن تعميم وجود رواتب للمساجين الأمراء في الفترة المملوكية أو على فئة معينة من السجناء.

3- تقديم الخدمات المعيشية

أنفق السلاطين المماليك على تجهيز الأطعمة التي تقدم للمساجين في بعض المناسبات الدينية كشهر رمضان، أو في سنوات الغلاء وانتشار الأوبئة، وكانت هذه الأطعمة تقدم للمساجين من العامة، والخاصة على حد سواء مع خدمات أخرى إضافية.

ومن هذا الإنفاق ما كان يقوم به الظاهر برقوق، فقد اعتاد طوال أيام إمارته وسلطنته أن يأمر بذبح خمسة وعشرين بقرة ويأمر بتخصيص آلاف من الأرغفة في كل يوم من أيام شهر رمضان ليتم توزيعها على المساجين، ومعهم أهل الجوامع والمشاهد والخوانق والأربطة[١]. ويفصل ابن إياس في بيان حصة كل سجين في كل يوم فيذكر بأنها رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة[٢].

4- ترميم السجون

اهتم المماليك بترميم السجون وكان يتم ذلك بتخصيص مبالغ مالية لإعادة تجهيزها، ومنها سجن قصر الحجازية من أجل استخدامه لأرباب الجرائم بدلاً من المقشرة، وذلك في رمضان من سنة 820هـ/ 1417م زمن المؤيد شيخ[٣].

أما عن مصدر الإنفاق ومقداره وما آل إليه أمر السجن، فيبين المقريزي ذلك بقوله: "وأنعم على جهة وقف جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوساً عن أجرة سنتين، فشرعوا في عمل سجن وأزالوا كثيراً من معالمه ثم ترك على ما بقي ولم يتخذ سجناً"[٤].

ومما ذكر عن محاولات للترميم- دون الإشارة إلى حجم الإنفاق- قيام الناصر محمد في حدود سنة 729هـ/ 1328م بتكليف شاد العمائر بالنزول إلى الجب ليصلح عمارته ولم يتم ذلك لأن الناصر أمر بردمه[١]، وأجرى عمليات هدم وبناء واسعة في القلعة[٢].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ق3، ص 531.
(٢) المصدر نفسه، ج1، ق2، ص 531.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71.
(٤) المصدر نفسه، ج2، ص 71.

أما أغرب ما ذكر فهو تجهيز معجنة طين لعمارة حائط تهدم في سجن الديلم، وذلك سنة 776هـ/ 1374م[٣] وهذه العملية متواضعة وبدائية تبين أن ما أنفق لا يتجاوز دراهم قليلة.

ج- الضرائب على السجون ومواقع الترسيم:

على الرغم من سوء حالة الكثيرين من السجناء في الفترة المملوكية من الناحية الاقتصادية، إلا أن الدولة كانت تفرض في بعض الأحيان ضرائب على المساجين ومنها:

2- مقرر السجون

وهي ضريبة كانت تفرض على السجين، قدرها المقريزي (ت 845هـ/ 1441م) بستة دراهم "سوى كلف أخرى"[٤]، أي عدا الغرامة التي تفرض على الجرم الذي ارتكبه[٥] أما ابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1469م) فقد قدرها بمائة درهم[٦].

وحول الإختلاف في قيمة الضريبة عند المؤرخين يرى علاء طه أن ذلك نتيجة ارتفاعها. وأن هذا الارتفاع لم يحدث في عهد واحد، فقد بدأ بعد عهد الناصر محمد (ت 741هـ/ 1360م) وبلغ أقصاه في عهد الناصر فرج (ت 815هـ/ 1412م)[٧]، كما أنه يعود إلى اختلاف الأوضاع الاقتصادية خلال فترات حكم المماليك.

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 189، 203. وانظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 310؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 74؛ زيادة: السجون في مصر، ع 262، ص 20 Ayallon, D: The Mamluk Military, p٤٠

(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 189، 217؛ ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة، ج9، ص 74؛ الصديقي البكري: قطف الأزهار، ورقة 134.

(٣) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 235؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 2، ص 143.

(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 151. وانظر: سليم: عصر سلاطين المماليك، ج4، ص 312؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 75؛ عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام، ص 253، نظم الحكم والإدارة، ص 464.

(٥) ضومط: الدولة المملوكية، ص 103.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 38، وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 75، 76.

(٧) ويضيف علاء طه بأن زيادة الضريبة عكست التصاعد الضريبي الذي بلغ أقصاه في عهد الناصر فرج، وأن هذا التصاعد بالإضافة إلى ضعف قيمة العملة المحلية أحدثا نوعاً من التضخم في الأسعار في الفترة الزمنية بين عصري المماليك البحرية والمماليك الجراكسة. انظر: علاء طه: السجون العقوبات، ص 76.

لقد كانت الضريبة تفرض على كل من يسجن "ولو للحظة واحدة "(١)، ولم تؤخذ ممن حكم عليه بالسجن فقط، بل ممن حكم عليه بالإعدام(٢)، كما أنها شملت سائر السجون(٣) بكافة أرجاء الدولة المملوكية بما فيها سجون القضاة، فلو تخاصم اثنان لدى مجلس الحكم واقتضى الأمر حبس المدعى عليه لغاية التحقيق ثم انفضت الخصومة بين الطرفين دون تدخل القاضي، وجب على المدعى عليه دفع المقرر ولو لم يقض في السجن ساعة من نهار(٤).

ومن الأمثلة على مقدار ما كان يُجبَى من ضرائب: متحصل السجون في نيابة طرابلس - باستثناء سجن طرابلس - والذي بلغ في حدود سنة 717هـ/1317م عشرة آلاف درهم(٥).

وقد صور بعض المؤرخين معاناة من حكم عليهم بالسجن نتيجة قسوة السجن من جهة والضريبة التي يدفعونها من جهة أخرى، ومن ذلك ما أورده النويري:" إن السجون إذا سجن بها أحد يجمع عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أفرج عنه ولو في يومه انقلب إلى أهله من الخسارة أسوأ منقلب، فهو لا يجد سروراً بفرجه، ولا يجد عقبى مخرجه"(٦).

وتبعاً للنظام الاقتصادي السائد في الدولة الملوكية، وهو إقطاع جميع موارد الدولة من أراضي زراعية وضرائب وزكاة ومعادن(٧)، كان للسجون مقطعين وضُمان(٨)، حيث يمنح مقرر السجون لبعض الأمراء بنظام المقاطعة(٩)، وقد تهافت المقطعون في ضمان المقرر، وكانوا يزيدون في مبلغ ضمانه، لقلة ما يصرف من المتحصل منه على المساجين(١٠).

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 151. وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 38، سليم: عصر سلاطين المماليك، ج7، ص 312.
(٢) زيادة: السجون في مصر، ع 271، ص 17.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 151.
(٤) زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 17.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 940. وهو ملحق عن النويري: نهاية الأرب. وانظر: ملحق رقم (2).
(٦) النويري: نهاية الأرب ، ج30، ص 105- 113. وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج13، ص ص 34، 35، وبنفس المعنى: انظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 393، وهو ملحق من النويري: نهاية الأرب. وانظر: ملحق رقم (2).
(٧) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 216؛ ضومط: الدولة المملوكية، ص 103؛ العريني: المماليك، ص 179.
(٨) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 151؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص 38؛ العريني: المماليك، ص 179.
(٩) البغدادي: السجون في مصر، ص 121.
(١٠) زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 17. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 51، العريني: المماليك، ص 179.

وقد أبطل مقرر السجون ضمن العديد من الضرائب التي أبطلها الناصر محمد سنة 715هـ/ 1315م[١].

ظاهرة تسول المساجين:

لغايات جمع الأموال، أُجبر المساجين على التسول تحت حراسة مشددة لاسيما من كان في السجون المفردة البناء التي اختصت بأرباب الجرائم، وكانت عائدات التسول تذهب للوالي[٢] وقد بين المقريزي ذلك عند حديثه عن خزانة شمائل بقوله: "وكان السجان بها يوظف عليه والى القاهرة شيئاً يحمله من المال في كل يوم وبلغ ذلك في أيام الناصر فرج مبلغاً كبيراً"[٣].

وكان يتم إخراج المساجين مقيّدين تحت حراسة الجاندارية (أعوان الوالي)[٤]، وفي حدود سنة 875هـ/ 1470م كان الحد الأدنى الذي ينبغي على السجين جمعه هو "ثلاثة أنصاف"[٥]، حددها لابدوس بأنها درهمين أو ثلاثة دراهم فضة[٦].

2- أجور المترسمين

أُجبر المصادرون ممن رسم عليهم في مواقع مختلفة من الدولة على دفع أجور للمترسمين أطلق عليها أحياناً اسم "الجعل"[٧]، أي الضريبة. وأهم ما ميز هذه الضريبة هو اختلاف قيمتها والقدرة على الاستمرار في جبايتها باختلاف الجهة المشرفة على السجن أو موقع الترسيم، فعندما تولى ثمانية من خاصكية الظاهر جقمق الترسيم على زين الدين عبد الباسط في الحوش من القلعة، تمهيداً لمصادرته أُجبر زين الدين على دفع مبلغ ألفين ومائتي دينار للخاصكية كأجور ترسيم[٨].

---

(١) الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة 73. ب؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص ص 150- 151، ضومط: الدولة المملوكية، ص 103؛ حياة حجي: أحوال العامة، ص 235.

(٢) للتذكير: هناك قاعدة عرفية كانت شائعة في العصور الوسطى والحديثة وهي أن ما يزيد من المبلغ المتفق عليه بين الدولة وجامع الضرائب أو الضامن، أو المُقطع كان من حق هؤلاء الذين سعوا لجمع المال بطرق تعسفية.

(٣) المقريزي: الخطط، ج2، ص 188. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 76، 77، 86.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187؛ الصيرفي: إنباء الهصر، ص 202، 203، 290، 292، 481، 482؛ زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 17.

(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 290، 291.

(٦) لابدوس: مدن إسلامية، ص 304.

(٧) العيني: عقد الجمان، ج2، ص 369.

(٨) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص ص 1159-1160.

أما القدرة على الاستمرار بجباية الأموال فتتضح من خلال ما قام به المترسمون على المصادرين في السجن الخاص بالوزير علم الدين سنجر الشجاعي(١)، فبعد أن زَج الشجاعي بأعداد كبيرة من الأشخاص لمصادرتهم، أهملهم ونسي أمرهم لسنوات، فتحكم بهم المترسمون واستمروا في إجبارهم على دفع أجور الترسيم طوال مدة سجنهم(٢) حتى اضطر الكثير منهم إلى بيع موجودهم، أو استعطاء الناس بالأوراق(٣).

وكانت ممارسات المشرفين على السجون تتجاوز الحدود، ويستدعي تدخل السلاطين أو الامراء للحد منها، ومن أمثلة ذلك ما قام به الأمير سنجر الحمصي سنة (737هـ/ 1336م) أيام الناصر محمد وهو طرد الرسل والأعوان من أمام باب شاد الدواوين بعد أن كثرت مضرتهم "واشتد تسلطهم على الناس وحصلوا من ذلك مالاً كثيرا" (٤)

3- أجور المتسفرين

المتسفر هو الأمير المسؤول عن نقل الخليفة أو السلطان أو الأمير إلى مكان السجن إذا خارج القاهرة(٥). وقد تحدثت المصادر عن أهمية وجود المتسفرين دون التفصيل في بيان أجورهم، ولكن يمكن القول أن المساجين أُجبروا على دفع ضريبة للمتسفر كانت ما بين ألف إلى ألفي دينار ودونها وذلك بشكل منتظم وبقيت إلى أن تسلطن الأشرف برسباي سنة 852هـ/ 1422م، حيث أبطل ذلك، وأمر أن ينقش المرسوم على لوح من الرخام(٦).

إلا أن عملية الإلغاء كانت لفترة بسيطة، ففي سنة 843هـ/ 1436م، أُخرج العزيز يوسف بن برسباي ليسجن في الإسكندرية، فصرف لمسفرة الأمير جانبك القرماني مبلغ ألف

---

(١) انظر: العيني: عقد الجمان، ج2، ص 369.
(٢) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 154. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج2، ص 369؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 119.
(٣) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص154. الأوراق: جمع ورقة وهي الصك الذي يكتبه الدائن للمدين. انظر: المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 740، حاشية (3).
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 419.
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 454.
(٦) المصدر نفسه، ج7، ص 454.

دينار من أموال أوقاف العزيز [١] وعندما نُفِيَ تنبك حاجب الحجاب إلى دمياط[٢] أخذ مُسفره الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة "ألف دينار أو أقل" [٣].

ويمكن ملاحظة دور السلاطين في إيجاد ضرائب من هذا النوع. فقرار الإلغاء الذي تم زمن الأشرف برسباي أُبطل بعد تولي الظاهر جقمق السلطنة، حيث أجبر العزيز يوسف بن برسباي- المخلوع من قبل جقمق - على دفع أجر للمتسفر عليه من أمواله الخاصة، كما أن أخذ والي القاهرة (جانبك) أجر من المُسفَر عليه كان زمن جقمق، أي أن جقمق أراد توفير الأموال للأمراء المؤيدين له لينفذوا ما أمروا به وهو الاحتياط على المساجين أثناء عملية نقلهم.

ويرى علاء طه أن أجور المتسفرين كانت من أنواع الإيرادات التي دخلت خزينة الدولة[٤]، ورغم عدم وجود أدلة في المصادر على إتفاق بين المتسفرين والدولة إلا أنه يمكن تأييد رأي طه بالقياس على الاتفاق بين الوالي والسجان حول عائدات تسول المساجين.

ولم يقتصر أمر المتسفر على المُرْسَل إلى السجن بل امتد إلى المفرج عنهم، فعندما يتم إرجاعهم إلى القاهرة يخصص لهم متسفرون، وما يدفع لهم في هذه الحالة يسمى إنعامات تدفع أثناء الاحتفالات بالإفراج. ففي سنة 755هـ/1354 م أُفرج عن الأميرين سيف الدين منجك وعلاء الدين مغلطاي من الإسكندرية فأنعما على متسفرهما الأمير جنتمر بسبعة آلاف دينار[٥].

ثالثاً: الأنظمة الداخلية للسجون: يمكن القول أن السجون المملوكية كانت على درجة من التنظيم رغم بروز بعض المخالفات فيها. وقد بني تنظيم السجون على ما يلي:

ب- سجلات السجون:

كان للسجون المملوكية سجلات خاصة أطلق عليها اسم: (مدارجُ السجون) [٦] يبين فيها أسماء المساجين وجرائمهم. وهي المرجع الأساسي الذي يعتمد عليه السلاطين لتفقد أحوال

---

(١) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1164؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص 96.
(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ص 254؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص 33.
(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص 303.
(٤) علاء طه: السجون والعقوبات، ص79.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 917.
(٦) المدارج: جمع دروج، والدرج: الورق المستطيل المركب من عدة أوصال تبلغ عشرين وصلاً، وكان يكتب به ويلف. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 134، وحول مقادير قطع الورق. انظر: ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص 126- 127.

المساجين خاصة في حالات الإفراج. وقد عرف عن الظاهر بيبرس أنه كان يسترجع مدارج السجون ويطلع على الأسماء المدونة فيها في أول كل سنة، وفي أشهر رجب ورمضان وذي الحجة، ويكشف عن جرائم المساجين، ويطلق فيه كل فترة أعداداً كبيرة من كافة أنحاء الدولة(١).

كما وجدت سجلات للأسرى يدون فيها أسماؤهم ومللهم، وأجناسهم ومن تجدد منهم، ومن أُفرج عنهم، فإذا كان الإفراج بمرسوم يذكر تاريخ المرسوم، واسم من أُحضر على يده، ومن تسلمه، وإذا كان – الإفراج- بسبب الدخول بالإسلام، يذكر اسم "المهتدى" وجنسه، وملته، وتاريخ إسلامه، وتاريخ الإفراج عنه، كما يبين في السجلات أسماء من هرب من الأسرى أو مات، أو افتدي، واسم من فُدِي به(٢).

وهناك وثائق ارتبطت بإجراء عملية السجن، ومدتها، وإصدار قرار الإفراج، وهذه الوثائق هي (المساطير الشرعية) وتعتبر من الوثائق الهامة في قضايا السجن لاسيما سجناء الديون حيث يثبت فيها – اسم الدائن- والمدين، وقيمة الدين، ولا تلغى إلا بعد سداد الدين. ففي سنة 711هـ/ 1311م، أخرج الناصر محمد ألف دينار لاستفكاك المساجين على ديون، عن طريق سداد ديونهم، وأمر بغسل ما عليهم من المساطير(٣).

ب- الكشف عن المساجين

أشارت المصادر إلى عمليات كُلِفَ بها أشخاص من قبل السلاطين لتفقد أحوال فئة معينة من السجناء، لاسيما الأمراء منهم. ففي سنة 735هـ/ 1334م كلف الناصر محمد الأمير بدر الدين مسعود أمير حاجب بكشف أحوال الأمراء المسجونين في الإسكندرية، فوجد الأمراء في أسوأ حال، ونقل ذلك للناصر محمد فأمر الناصر بالإفراج عن ثلاثة عشر أميراً منهم (٤). وفي شعبان من سنة 742هـ/ 1341م، وأثناء وجود الناصر أحمد بن الناصر محمد في الكرك، أرسل قاصداً إلى مصر للكشف عمن في السجون من الأمراء، فدخل القاصد القاهرة ثم توجه نحو الإسكندرية لينفذ ما أمر به الناصر أحمد(٥).

---

(١) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 282.
(٢) النويري: نهاية الأرب، ج8، ص 283.
(٣) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 235.- الغرض من الغسل إزالة الكتابة بفعل تحلل المداد بالماء، وقد يضاف مع الماء مواد أخرى حسب نوع المادة المكتوب عليها.
(٤) ابن أيبك: كنز الدرر، ج4، ص 393.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 598.

وقد جاء هذا الإجراء من قبل الناصر أحمد بعد أن بويع غيابياً في القاهرة على يد الأمير أيدغمش في الثاني من شعبان[١]، قبل دخوله إليها[٢]. ويمكن القول أن هذه العملية خضعت لحسابات سياسية، وهي رغبة الناصر أحمد في معرفة أسماء السجناء وأخبارهم، وبالتالي تصنيفهم بين مناصرين أو معارضين له رغم وجودهم في السجن من جهة، ومن جهة أخرى لكسب التأييد الشعبي ويؤكد ذلك عمليات الإفراج التي كانت تلي خلع السلاطين وتولي سلاطين جدد.

ومما يؤكد أن لمعرفة سيرة بعض السجناء أهمية كبيرة عند السلاطين، أن الناصر محمد بن قلاوون حين كان يعرض عليه أمر الأمير طرنطاي المحمدي كان يرفض الإفراج عنه. ويقول:" هذا من جملة من قتل أخي الأشرف".[٣] فرغم الإفراج عن أعداد كبيرة من الأمراء سنة 734هـ/ 1333م لم يفرج عن طرنطاي حتى سنة 737هـ/ 1336م[٤]، فكان هذا الأمر سبباً في تأخر الإفراج عنه[٥].

وبشكل عام فإن مراجعة أحوال المساجين كانت تجري على المساجين الأمراء فقط، وليس على جميع المساجين إلا في أحوال نادرة وكانت تتم عند تولي أحد المماليك السلطنة أو شفائه من مرض أو رزقه بولد.

ج- عمليات نقل المساجين

نظراً لتوزع السجون وانتشارها في كافة أرجاء الدولة المملوكية واختلاف مكان القبض على السجين وتغيير مكان السجن لنفس السجين، أو الحكم عليه بالنفي بعد الإفراج عنه، من هنا كانت تتم عمليات نقل المساجين تجري وفق قواعد جرى النظام عليها في الدولة المملوكية.

وقد ارتبطت عمليات النقل بالظروف الطبيعية، فاستخدمت الطرق المائية والبرية كما ارتبطت بإجراءات إدارية وأمنية، فاتبعت ترتيبات خاصة تنسجم مع طبيعة السجناء ونوع الطريق المسلوك.

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 42.
(٢) المصدر نفسه، ج10، ص 47.
(٣) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 68.
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 675.
(٥) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 368.

1- طرق النقل:

النقل المائي: ويقسم إلى قسمين: الأول نقل نهري عبر نهر النيل ونقل بحري عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر.

النقل النهري: كان نقل المساجين والمنفيين عبر نهر النيل يجــري مــن القــاهرة إلــى الإسكندرية ودمياط شمالاً وإلى الصعيد جنوباً. وكانت وسيلة النقل هي الحراقة[١] أو الــسلورة[٢] بعد تجهيزها لهذا الغرض، كما يتم إرسالها من القاهرة لإحضار من أفرج عنهم مــن المنــاطق المذكورة وخاصة الإسكندرية[٣].

وتقدر المدة التي تستغرقها الحراقة في قطع المسافة بين القاهرة والإسكندرية بأربعة أيــام وثلاث ليالٍ. ففي سنة 848هــ/ 1444م، بعد أن أفرج عن الأمير شيخو من سجن الإســكندرية ركب الحراقة، وسارت به في يوم الخميس أول رجب، فوصل ساحل بولاق يوم الأحد[٤].

ومن الأمثلة الأخرى على النقل النهري، ما ذكره المقريزي عن عملية نقــل عــدد مــن الأمراء سنة 801هــ/ 1398م، حيث يقول: "قيدوا جميعاً وأنزلوا إلى الحراقة، وكان الأمر بأن يحدر أرسطاي وتمراز وطولو ليسجنوا في الإسكندرية، وتمربغــا المنجكــي وبــلاط الــسعدي وطغنجي الأشرفي إلى دمياط"[٥] .

واحتلت بولاق دور الميناء الرئيسي في نقل المساجين، ومما ساعد على ذلك قربهــا مــن القاهرة وازدهارها منذ عهد الناصر محمد فقد ظهرت بولاق بعد انحسار مياه النيل في المنطقــة الواقعة إلى الغرب والجنوب من سور القاهرة سنة 680هــ/ 1281م، مما كون جزيــرة إلــى الغرب من سور القاهرة عرفت باسم (جزيرة الفيل)، وفي حوالي سنة 713هــ/ 1313م عمّــر الناصر محمد هذه المنطقة بعد أن بنى فيها القصور، وتبعه في ذلك الأمراء والجنــد والكتّــاب،

---

(١) الحراقة: وجمعها حراقات وحراريق صنفها حسن سعيد ضمن السفن النيلية، وذكر بأنها نوع من الــسفن الحربية التي ترمي بالنيران استعملها المسلمون في النيل والمتوسط في فترة الحروب الصليبية. انظر: سعيد: = البحرية، ص 106-177. ويمكن القول أن استخدام الحراقة في العصر المملوكي شمل الأغراض الأمنية كنقل المساجين والأغراض المدنية فكانت وسيلة مواصلات مقابل أجر.

(٢) السلورة: والجمع سلالير وقد صنفها سعيد ضمن سفن البحر المتوسط. انظر: سعيد: البحريــة، ص 227، وهذا ما يفسر قلة استخدامها في النقل عبر النيل وعدم الإشارة إليها في المصادر سوى ما ندر مثل حادثة نقل نهري تمت بواسطتها نقل منفيين الى قوص ذكرها المقريزي في المقفى، ج2، ص 269.

(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 844.

(٤) المصدر نفسه، ج2، ق3، ص 848.

(٥) المصدر نفسه، ج3، ق3، ص 963.

فعرفت هذه الضاحية الجديدة باسم (بولاق) وانتشرت فيها الأسواق والمساجد والحمامات، وبدأت في الظهور كمركز لصناعة السفن النيلية حتى أصبحت أهم ميناء للقاهرة على النيل[١].

وعن بداية إنشاء ميناء بولاق يذكر الشجاعي أن الناصر أراد بناء جسر مرتفع لصد المياه عند فيضان نهر النيل، وعندما اكتمل العمل به أصبح يخدم حركة النقل " يمشي الناس عليه من بر بولاق إلى ثلث البحر"[٢](النيل).

يتضح دور ميناء بولاق في حركة نقل المساجين سواء إلى شمال القاهرة أو إلى جنوبها من خلال الأمثلة التالية:

عندما أُخرج العزيز يوسف بن برسباي ليسجن في الإسكندرية نقل "من القلعة إلى ساحل بولاق فأُنزل في الحراقة الصغرى"[٣]. وعندما أفرج عن ستة عشر أميراً من الأمراء المسجونين في الإسكندرية سنة 791هـ/ 1389م أُحضروا منها إلى بولاق، ثم نفي أربعة منهم إلى دمياط، ونفي الباقون إلى قوص[٤]. وعندما قبض على أربعمائة رجل وامرأة من عربان الصعيد في سنة 783هـ/ 1381م بعد تجريدة قادها يشبك الدوادار. نقل هؤلاء بالمراكب، وأنزلوا على ساحل بولاق ليسجنوا في القاهرة[٥].

لم يكن ميناء بولاق نقطة العبور الوحيدة إلى النيل، فنهر النيل هو حد القاهرة من جهة الغرب وعبوره ميسر من أي نقطة[٦]، كما أنه يمكن اجتيازه أو النزول به من أي موقع خارجها، ففي سنة 730هـ/ 1339م عندما قبض على الأمير علم الدين الجاولي في مدينة غزة، نقل بطريق بري إلى ظاهر القاهرة، ولم يُدخَل إليها، حيث سجن لفترة بسيطة في (بركة الحجاج) ثم سلم، للأمير علاء الدين مغلطاي الذي اتجه به في الحراقة ليسجن بالإسكندرية[٧]، ومن المؤكد أيضاً أن السير به تم بشكل عرضي من الشرق إلى الغرب[٨].

---

(١) مصيلحي: تطور العاصمة المصرية، ص 145- 147؛ سليمان: الموانئ المصرية، ص ص 27- 28. وانظر: ملحق رقم (5).
(٢) الشجاعي: تاريخ الملك الناصر، ورقة 22 (أ، ب).
(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 97.
(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 287؛ الصيرفي: ترجمة النفوس، ج1، ص ص 245-246.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص ص 44، 45.
(٦) انظر: ملحق رقم (5).
(٧) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 304.
(٨) انظر: ملحق قم (5).

النقل البحري: كان يتم عبر طريقين هما: البحر المتوسط، والبحر الأحمر، وكانت وسائط النقل سفن تختلف عن الحراقة التي تسير في النيل ولها أسماء وأنواع متعددة(١).

طريق البحر المتوسط: أطلقت المصادر على البحر المتوسط اسم البحر الملح(٢)، والمالح(٣) تميزاً له عن نهر النيل الذي كان يطلق عليه في بعض الأحيان اسم البحر(٤)، أو بحر النيل(٥).

نقل عبر البحر المتوسط المساجين والمنفيين إلى مناطق خارج الدولة المملوكية كالدولة البيزنطية، وإلى مناطق داخل حدود الدولة كبلاد الشام، كما كان يتم عبره أيضاً، وفي حالات قليلة نقل المساجين داخل مصر.

ومن الأمثلة على النقل إلى خارج مصر عمليات نقل المنفيين إلى القسطنطينية مثل أبناء المعز أيبك، وأبناء الظاهر بيبرس(٦).

أما عن النقل إلى الشام فمثال عليه ما تم سنة 805هـ/ 1402م عندما نقل الأمراء (نوروز) و(جكم) و(قانباي) و(سودون طاز) ليسجنوا في قلاع الشام(٧)، وقد أكد صالح بن يحيى - مؤرج بيروت - أن عملية إنزالهم تمت في مينائها (بيروت) ثم تم توزيعهم ليسجنوا في القلاع(٨).

وفيما يتعلق بالمسير عبر المتوسط للتنقل بين المدن الساحلية المصرية فمثاله ما تم زمن الأشرف شعبان عندما نقل خليل بن العرام نائب الإسكندرية إلى القاهرة، وأوكل برقوق - أمير كبير - مهمة إخراج ابن العرام من الإسكندرية ليونس الدوادار الذي نزل به في مركب وسار به

---

(١) حول أنواع سفن البحر المتوسط والبحر الأحمر وأوصافها انظر: سعيد: البحرية، ص 130- 135.
(٢) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1101؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق3، ص 274. و ج3، ق1، ص 397.
(٣) النويري: نهاية الأرب ، ج31، ص 214؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 163.
(٤) هذه التسمية شائعة إلى الآن.
(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص 425؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 408.
(٦) انظر: النفي إلى القسطنيطية.
(٧) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1101؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق3، ص 698.
(٨) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص ص 235- 236.

في البحر الملح إلى دمياط[١].

ويعني ما سبق أن الدوادار خرج من الإسكندرية، وسار في طريق بحري نحو الـشرق، فتجاوز عن مدينة رشيد - المصب الغربي لنهر النيل- ثم وصل بالسجين إلى دمياط.

وقد ذكر إبن إياس أن اختيار الطريق تم لأسباب أمنية وهي الخوف من اعتراض المركب من قبل بدر بن سلام أحد أصدقاء ابن العرام. كما بين أن استمرار السير بالسجين تم في طريق نهري من دمياط إلى القاهرة[٢].

طريق البحر الأحمر: يعرف البحر الأحمر بأكثر من تسمية فقد سمي ببحر اليمن نسبة إلى اليمن في الركن الجنوبي منه، كما سمي ببحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم التي كانت تقـع فـي أقصى الجهة الشمالية منه، وقد لعب دوراً هاماً في تجارة مصر عبر العصور المختلفة، وعرف منذ القدم بصعوبة الملاحة فيه لكثرة الشعب المرجانية، وشدة رياحه الشمالية، وارتفاع درجـات الحرارة فيه، وقلة موانئه.[٣] ويربط البحر الأحمر مصر بالجزيرة العربية والـسودان وشـرق أفريقيا وبلاد الهند، وجزر المحيط الهندي.[٤]

استخدم البحر الأحمر لنقل المساجين الذين كان يقبض عليهم في الجزيرة العربية، وعلـى وجه الخصوص من أشراف مكة. ففي سنة 846هـ/ 1442م قبض على الشريف علي بن حسن بن عجلان، وأخيه (إبراهيم) في مكة، ونقلا منها إلى جده ثم إلى القاهرة[٥].

كان إخراج الشريف علي وأخيه من جده قد تم صباح يوم 9 شوال، ووصلوا القاهرة فـي 15 ذي الحجة من السنة المذكورة[٦]، وبذلك استغرقت الرحلة مدة شهرين وعدة أيام.

النقل البري:

استخدمت الطرق البرية لنقل المساجين أو المنفيين من القاهرة أو الإسكندرية إلـى مـدن الشام، ولنقل المساجين من الشام إلى القاهرة، وفي عمليات النقل بين المدن الـشامية. ولـضمان

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 274.
(٢) المصدر نفسه، ج1، ق2، ص 274.
(٣) سليمان: الموانئ المصرية، ص23. وسمي أيضاً ببحر الحجاز. انظر: سعيد: البحرية، ص 122.
(٤) سليمان: الموانئ المصرية، ص23.
(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص 47.
(٦) المرجع نفسه، ص 47.

الإسراع في إيصال المساجين فقد شاع استخدام خيول البريد[١] والجمال، كما كان يتم نقل المرضى منهم على المحفة[٢]. ومن الأمثلة على عمليات النقل بين المناطق المذكورة باستخدام خيول البريد: نقل الأمير طراباي الظاهري من سجن الإسكندرية إلى القدس[٣]، ونقل الأمير بكتوت القرماني من سجنه بقلعة دمشق إلى القاهرة[٤]، ونقل الأمير كراي نائب دمشق من دمشق إلى الكرك[٥]، وكذلك نقل الأمير سنقر المساح من موقع القبض عليه في جنين إلى سجن صفد[٦].

أما استخدام الجمال فمن الأمثلة عليه نقل الظاهر برقوق من القاهرة إلى سجن قلعة الكرك، وقد استغرقت عملية نقله سبعة أيام[٧].

أما عن عملية نقل المساجين على المحفة فمنها: نقل أيدمر نائب دمشق من سجنه بقلعتها[٨] إلى مصر "لمرض لحقه في أطرافه منعه من الركوب"[٩] ولما أوصل إلى القاهرة سجن بقلعة الجبل[١٠].

2- ترتيبات عملية النقل

كانت عمليات نقل المساجين من الخاصة تخضع لترتيبات معينة جاءت واضحة في المصادر خاصة في حوادث النقل إلى الإسكندرية.

ومن هذه الترتيبات: وجود المتسفر الذي يتم تسميته بمرسوم سلطاني[١١]، ويكون مسؤولاً

---

(١) وجد للبريد خيول خاصة تم تنظيم استخدامها والإشراف عليها منذ عهد الظاهر بيبرس. للمزيد: انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج14، ص 416.
(٢) المحفة: اداة يوضع عليها المريض. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 136. وكانت المحفة تثبت على ظهور الحيوانات وتتسع استخداماتها خاصة في الاحتفالات وفي نقل نساء السلاطين. انظر: سليم: عصر سلاطين المماليك، ج7، ص 295.
(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 95.
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص ص 271- 272.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص 67.
(٦) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 25.
(٧) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 278.
(٨) ابن كثير: البداية، والنهاية، ج3، ص 342.
(٩) ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص 255.
(١٠) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 13؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 668.
(١١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 232.

عن إيصال السجين إلى السجن سالماً[١].

ويرى (Ayallon) أن هناك تشابهاً كبيراً بين نقل المساجين ونقل المنفيين من حيث ترتيبات الحراسة أثناء النقل بالإضافة إلى وجود المتسفر، وأن ما يتميز به المتسفر هو حمله وثيقة رسمية يسلمها للسلطات المحلية في المنفى، وواجب السلطات إرجاع المتسفر إلى حدود القاهرة سالماً[٢]، وبهذه الطريقة كانت تتم عملية نقل السجناء.

وممن تولى وظيفة المتسفر: الأمير سودون تلي الذي أشرف على الحراقة التي نقلت الأمير جكم إلى الإسكندرية[٣]. والأمير سودون أمير آخور ثالث الذي سَفَرَ الأمير تغري بردي المحمودي رأس نوبة[٤]، والأمير تنبك رأس نوبة صغير الذي تولى تسفير الأمير بيبغا المظفري أتابك العساكر[٥].

وقد يتم اعتماد المتسفر لأكثر من سجين، حيث كُلِفَ الأمير قانم الأشرفي أحد الأمراء العشرات ورأس نوبة بنقل ثمانية من الأمراء المسجونين بالإسكندرية إلى سجون الشام[٦]، كما سَفَرَ الأمير صماي الحسني ثلاثة من الأمراء إلى سجن في الإسكندرية[٧]. وحين أُخرج الخليفة المستعين بالله ومعه ثلاثة من أبناء الناصر فرج بن برقوق وسجنوا في الإسكندرية، كان المتسفر عليهم جميعاً الأمير كزل الأرغون شاوي[٨].

وكانت عملية التسفير تتم بإركاب الأمير على بغل، وتقييده بالسلاسل، ويركب خلفه على بغل آخر أوجاقي[٩]، يحمل خنجراً في يده اليمنى يصوبه ناحية بطنه[١٠].

---

(١) Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٤٥.
(٢) Ayallon, D: The Mamluk Military, pp ٤٤- ٤٥.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 654.
(٤) الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص 117.
(٥) المصدر نفسه، ج3، ص 50.
(٦) ابن تغري بردي: حوادث الزهور، ج2، ص 446.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 343، 344.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 225؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 367.
(٩) Ayallon, D: The Mamulk Military, p. ٤٣ . الأوجاقي: هو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة. أنظر: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 408، حاشية (1).
(١٠) ابن حجر: إنباء الغمر، ج6، ص 61. أثارت ترتيبات النقل وهيئة الأوجاقي اهتمام Ayallon. للمزيد أنظر: Ayallon, D:The Mamulk Military, p.p ٤٣-٤٤.

أما عن الخلفاء والسلاطين فقد كانوا ينقلون مقيدين، ولكن يركب الواحد منهم على فرس وليس بغلاً مع ضرورة وجود الأوجاقي، والحرص على أن يكون النقل أثناء الليل[١]، فعندما أُخرِجَ الخليفة المستعين بالله نقل من القلعة إلى النيل على فرس[٢].

وقد روعيت الإجراءات المذكورة عند نقل معظم السلاطين، فشملت السلطان خاير بك الذي لم يتسلطن سوى ليلة واحدة وسمته العوام "سلطان ليلة ". فقد أُخرج إلي سجن الإسكندرية، ونقل مقيداً على فرس، وكان نقله أثناء الليل "والأوجاقي يردفه وفي يده خنجر على جاري العاده"[٣].

وكان نقص أحد متطلبات النقل - وإن كان شكلياً - مثار استغراب ونقد المؤرخ ابن تغري بردي، حيث انتقد الطريقة التي نقل بها كل من الخليفة القائم بأمر الله والسلطانين المنصور عثمان بن جقمق والمؤيد أحمد بن إينال، لأن النقل تم خلال النهار، وبدون وجود الأوجاقية. فقد ذكر ابن بردي أن الخليفة القائم بأمر الله، اقتيد أمام الناس بلباس جلوسه دون أن يركب معه أحد من الأوجاقية وذلك بين الظهر والعصر، فكثر أسف الناس عليه، وبكوا رأفةً له[٤].

ويعلق ابن تغري بردي على طريقة نقل المنصور عثمان بن جقمق وهو متجه إلى سجن بالإسكندرية دون أوجاقية، وفي وقت القائلة: بأنها "من الغرائب"، وبأن ذلك لم يقع "لغيره في السنين الخالية"[٥].

أما رأيه في نقل المؤيد أحمد بن إينال إلى الإسكندرية في "باكر النهار" وبدون "الأوجاقية" فهو أن المؤيد قد تنزه عن التشبه بالأمراء لأن إخراج الأوجاقي استمر عند نقلهم وانقطع عند إخراج السلطان[٦]. كما قال مستهزئاً أن القائمين على إخراج المؤيد أحمد ظنوا أن العادة أن لا

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص 7؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, p. ٤٤.
(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 225.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص 7.
(٤) ابن تغري بردى: حوادث الدهور، ج2، ص 536، 537. وانظر إيراد الحادثة دون تعليق عند ابن إياس بدائع الزهور، ج2، ص 328.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص 34؛ Ayallon, D: The Mamluk Military, p٤٤. وانظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 306 حيث أورد الحادثة دون تعليق.
(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص 218. Ayallon, D: The Mamluk Military, p٤٤، اكتفى ابن إياس بذكر أن الحادثة تمت وقت الظهر دون إيراد تعليق. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 380.

يركب خلف السلطان أوجاقي مثلما تم حين نقل المنصور عثمان "ففعلوا بالمؤيد ذلك"[١].

3- حراسة المساجين أثناء عملية النقل

لاشك أن حراسة المساجين أو المنفيين - لاسيما السلاطين منهم وكبار الأمراء - كانت تشكل نقطة هامة في تاريخ السجون المملوكية لأن هرب أحدهم أو تخليصه من السجن قد يؤدي إلى عواقب وخيمة. فأثناء النقل: تمت الإشارة إلى الطريقة التي كانت متبعة من حيث مرافقة الأوجاقية وتقييد المسجون والسير به بالليل.

وبطبيعة الحال فإن ذلك لا يكفي، ومن هنا كان مع المسجون أو المنفي عدد من الأوجاقية يسيرون خلفهم،[٢] وهي عادة جرت عليها الدولة المملوكية. وبالإضافة إلى الاوجاقية كان هناك المماليك الخاصكية مسلحين بالسيوف والرماح والدرق حتى يصلوا إلى مكان السجن[٣].

ولم تشر المصادر في غالب الأحيان إلى عدد هؤلاء الحراس إلا ما جاء في حراسة الأمير سنجر الجاولي الذي نقل من غزة[٤] إلى القاهرة تحت حراسة ثمانية من المماليك.[٥]

د - عمليات تقييد المساجين

يعتبر تقييد المساجين أمراً أساسياً في عملية السجن دون النظر إلى اختلاف فئات المساجين ونوعيتهم. والاختلاف بين المقيدين هو في وزن القيود أو الجمع بين أكثر من نوع منها. ويكون ذلك تبعاً للرغبة في التضييق على المساجين. ومن القيود التي استخدمت: الجنزير[٦]، والباشة[٧]، والطوق[٨]، والسيخ[٩] والحبل.

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص 218.
(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص ص 407-408.
(٣) السخاوي: التبر المسبوك، ص 425.- الدرق: الترس المصنوع من جلد البقر، وأفضل الأنواع المصنوعة من جلد اللمط. انظر: مجهول: خزانة السلاح، ص 57.
(٤) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 262.
(٥) ابن أيبك: كنز الدرر، ج6، ص ص 142 - 143.
(٦) الجنزير (الزنجير): وهو لفظ فارسي معناه السلسلة، والمزنجر بالحديد المقيد بسلسلة من الحديد. أنظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 55.
(٧) الباشه: الشيء الخشن انظر السلوك، ج3، ق1، ص 5 حاشية (3). وتصنع الباشه من الحديد وتوضع حول العنق وتزداد قسوتها تبعاً لعددها أو وزنها أو خشونتها.
(٨) الطوق: يصنع من الحديد وتطوق به الرقبة. ورد ذكره في حادثة هروب عمرو بن مخلول من قلعة عجلون سنة 672هـ/ 1273م زمن الظاهر بيبرس. انظر: بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 78؛ وابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 423.
(٩) السيخ: قد يكون من المعدن القابل للثني أو الربط كالحديد المخلوط بالقصدير.

وممن أرسل إلى خزانة شمائل مقيداً جماعة من مماليك شيخ ونوروز سنة 814هـ/ 1411م[١]، وأسد الدين الكيماوي سنة 852هـ/ 1448م عندما جعله الظاهر جقمق في الحديد الثقيل وأودعه في البرج من قلعة الجبل[٢].

ولم يسلم حتى الخلفاء من ذلك فعندما سجن الخليفة المتوكل على الله بأحد أبراج القلعة بأمر من الظاهر برقوق تم تقييده بقيد ثقيل[٣]، وبقي سبع سنين وهو بالقيد "حتى ذاب لهم ساقية"[٤]. ولما سجن بهاء الدين قراقوش الظاهري في الجب، قيد من رجليه بقيد ثقيل، ولما طلبه السلطان الأشرف خليل سار إليه "وهو يتململ من ثقله"[٥]. ولما سُجِنَ تاج الدين أحمد بن الغنام ناظر الخاص في قاعة الصاحب من قلعة الجبل "وضع في رقبته باشه وجنزير"[٦] وحين سجن الأمير جمال الدين محمود الأستادار وولده في الزردخاناه من قلعة الجبل صُفِدَ كل منهما بقيد زنته أربعون رطلاً خارجاً من قوائمه- التي كان وزنها - عشرة أرطال، وجعل في عنق محمود ثلاث باشات.[٧]

واستخدم المماليك طريقة التخشيب للتشديد على المساجين، والتخشيب: هو وضع يدي كل اثنين منهم في خشبه[٨]. فحين قرر الأمير قوصون خلع المنصور أبو بكر قبض على عدد من الأمراء المقربين منه وأمر بهم فقيدوا، ووضعت الجنازير في رقابهم، والخشب في أيديهم[٩]. وقد يخشب السجين لوحده، أي من كلتا يديه، واتبعت هذه الطريقة مع مجد الدين إبن البقري حين سجن في المقشرة[١٠].

كما عرف المماليك طريقة للتشديد على المساجين أثناء نقلهم عن طريق حجزهم في

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج 2، ص 288.
(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص 211.
(٣) ابن قاضي شهبه: تاريخ، ج3، ص 110؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 131.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص745.
(٥) العيني: عقد الجمان، ج2، ص 76-80.
(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 7؛ والمقفى، ج1، ص 585.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 221. وانظر: البغدادي: السجون في مصر، ص 117؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 74.
(٨) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 331؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 224؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج1، ص265؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 919؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص54.
(٩) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 569، 570.
(١٠) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 919.

صندوق أسماه المقريزي: "محاره"[١]، وأسماه ابن إياس "شقدف"[٢]. وقد استخدم الناصر أحمد هذه الطريقة لنقل الأمير طشتمر حمص أخضر معه عندما خرج إلى الكرك سنة 742هـ/ 1341م، وسجنه فيها[٣].

كما استخدمت السحلية[٤] وهي مشابهة للمحارة أو الشقدف ويوضع المساجين بها خلال عملية النقل البحري كما حدث زمن الظاهر جقمق لما نقل الشريف (علي بن حسن بن عجلان) وأخوه (إبراهيم) من جده إلى القاهرة حيث وضعا مقيدين في سحلية كانت معدة لذلك.[٥]

إن ما سبق حول استخدام الصندوق بمسميات مختلفة يشير إلى عدم تردد المماليك في استخدام أية وسيلة تفيد وتضمن حصر السجين. وأمتد الأمر إلى الأغرب من ذلك فاستخدموا الأقفاص المتنقلة. فحين نقل شمس الدين الدميري محتسب القاهرة إلى القلعة ليسجن بها، وضع في "قفص جمال"[٦] ورغم حالته المرضية عندما ألقي القبض عليه[٧]، كان من الممكن أن ينقل على المحفة وليس داخل قفص.

إن حتمية تقييد المساجين تجعل من الضروري تجهيز القيود بشكل مسبق خاصة عندما يكون عدد المساجين كبيراً. فعندما خطط الأمير قلمطاي الدوادار، للقبض على أكثر من خمسمائة من الأجناد البطالين والمتخلفين عن العرض[٨]، كلف والي القاهرة بتجهيز القيود، وقام بالقبض على حوالي ثلاثمائة منهم، فسحبوا بالقيود والأغلال والسلاسل ليسجنوا بخزانة شمائل[٩]. وبعد أن فتح الظاهر بيبرس أرسوف أطلق الأسرى المسلمين المسجونين بقلعتها، واستخدم قيودهم لتقييد من أسرهم من الصليبيين والذين كان عددهم حوالي الألف أسير[١٠].

كان تقييد المساجين يتم فور القبض عيهم، وتتم العملية بواسطة حداد متخصص، قد يطلق

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 608. وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص 54.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 496.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 608؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 496.
(٤) السحلية: كلمة عامية تعني الصندوق الخشبي. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 89، وتستخدم السحلية لنقل الموتى، انظر على سبيل المثال: ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 425، ج4، ص 7.
(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص 47.
(٦) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 291؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 193.
(٧) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 291؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 193.
(٨) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 385؛ Ayallon, D:The Mamluk Military p. ٣٨- ٣٩.
(٩) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 385، 386.
(١٠) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 530.

عليه اسم "الجنزرلي"[١]، فعندما ألقى القبض على كراي نائب دمشق، أحضر الحداد فوراً ليقيده، قبل أن يتمكن من خلع التشريف[٢] الذي وصله بنفس اليوم الذي ألقي القبض عليه فيه[٣]. وقد وصف ابن أيبك المشهد بقوله: "ومن العجيب أن الحداد بيقيده وهو بيفك في أزرار الخلعة من عليه"[٤].

لقد كان فك القيود ملازماً لعملية الإفراج وكان تقييد المساجين داخل السجن هو القاعدة رغم اختلاف مكانة السجناء. وإن استثني سجين من ذلك فإن فك قيده لا يحصل إلا بعد موافقة السلطان أو من ينوب عنه. فعندما سجن المؤيد أحمد بن إينال في الإسكندرية سنة 865هـ/ 1460م بقي مقيداً إلى بداية السنة التالية حيث رسم الظاهر خشقدم "بكسر قيده، فكسر"[٥].

ورغم الاحتياط الكبير في إبقاء القيود إلا أنها وباستثناء الباشات والقيود الثقيلة جداً، لم تشكل عائقاً عن الهروب بل ربما تصبح عاملاً مساعداً، فعندما هرب مساجين خزانة الخاص بقيادة الأمير (بطا الطولوتمري)، جعلوا من قيودهم سلاحاً يقاتلون به الحرس[٦].

وقد أشار الشاعر المملوكي أبو عبد الله الرمتي إلى هذه القيود عندما رأى الأتابكي يلبغا آص مقيداً فقال عنه:[٧]

ولقد قلت حين أقبل يمشي	زاده الله في القيود جمالاً
ولم يكن بين ما تولى وبين	العزل إلا كما يحل عقالاً

وكان يلبغا آص قد تولى الأتابكية نحو ثمانية أيام، ثم أمر الأشرف شعبان بالقبض عليه وتجهيزه وسجنه بالإسكندرية[١].

---

(١) حسب إطلاع الباحثة لم ترد التسمية في حوادث تقييد المقبوض عليهم، والإشارة في المتن اعتماداً على تعريف دهمان للجنزرلي: وهو الذي يقيد الناس بالسلاسل. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 55.
(٢) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 216.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 67. يترتب على غضب السلطان أو الحكم على الشخص بالسجن أو النفي خلع ملابس التشريف أنظر رأي المحقق في المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 105. حاشية (1). وانظر رأي Ayallon المكمل للموضوع من أن من ينفى أو يسجن يرسل سيفه للسلطان . Ayallon, D : The Mamluk Military, P٣٥.
(٤) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 216. أبقي على الرواية باللفظ العامي لأهميتها.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص 220.
(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 697.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 72.

هـ- عمليات الإفراج عن المساجين

ارتبطت عمليات الإفراج عن المساجين بعوامل سياسية واقتصادية ومناسبات دينية، كما ارتبطت بظروف خاصة عاشها بعض السلاطين، وبنفوذ المقربين منهم.

وسيتم في هذا الموضع من الدراسة عرض أسباب الإفراج تبعاً للظرف السياسي أو الاقتصادي أو عند وجود مناسبة دينية. وكذلك تبعاً للنفوذ الشخصي الذي مارسه المقربون من السلاطين حيث جعلوا من عملية الشفاعة بالمساجين سبباً هاماً ومباشراً للإفراج، بالإضافة إلى أسباب أخرى متفرقة.

كما سيتم عرض وقائع عملية الإفراج بالاستعانة بأحد المراسيم السلطانية، وهو مرسوم الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري الذي كان على قدر كبير من الأهمية مما مكن من تصوير وقائع هذه العملية واعتبارها أنموذجاً لوقائع الإفراج عن الأمراء خاصة وليس عن بقية المساجين الآخرين.

1- أسباب الإفراج: تعددت أسباب الإفراج عن المساجين خلال الفترة المملوكية، ومن هذه الأسباب ما يلي:

(1) الأسباب السياسية:

يعتبر تغير السلاطين من العوامل المؤثرة بشكل مباشرة في عملية الإفراج، فعندما تسلطن الأشرف خليل كان أول ما قام به إطلاق من كان في السجون من المصادرين "وأرباب الديون[٢]". وبعد أن تولى لاجين السلطنة أفرج عن ركن الدين بيبرس الجاشنكير وأنعم عليه بالإمرة، وعن الأمير سيف الدين اللقماني، وعن جماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا بدمياط والإسكندرية، وبخزانة البنود، وبخزانة شمائل "فكان لهم يوم مشهود"[٣]. وبعد أن أصبح الناصر محمد سلطاناً للمرة الثانية أفرج عن الأمير جاغان الحسني[٤] وبعد أن تسلم قانصوه الغوري الحكم، وصل إلى دمشق مرسومان أحدهما ينص على تحصين قلعتها والإفراج عن

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 72.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 211.

(٣) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 371؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 229؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 826.

(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 873.

الأمراء المسجونين فيها[١].

وفي حالة أخرى كان يتم الإفراج عن المساجين الأمراء من أجل كسب ودهم، ولمواجهة الخصوم، ومن ذلك عندما هرب السلطان بيبرس الجاشنكير سنة 709هـ/ 1309م، قام سلار نائب السلطنة في اليوم التالي بتحصين قلعة الجبل وأفرج عن الأمراء، المسجونين بأبراجها استعداداً لقدوم الناصر محمد الذي خُطِبَ له على منابر القاهرة بالسلطنة للمرة الثالثة[٢].

وتُعتَبَرُ تصفيةُ السلاطين لخصومهم من المناسبات التي يتم فيها الإفراج، فبعد أن قتل الناصر أحمد بالكرك بأمر من أخيه الصالح إسماعيل دقت البشائر بالقلعة، وزينت القاهرة[٣]، وفرح أهالي دمشق لذلك، فوجد الشيخ أحمد الزرعي أحد فقهاء دمشق الفرصة مناسبة، فقابل الصالح إسماعيل وطلب منه إطلاق أمراء محبوسين بقلعتها، بالإضافة إلى إبطال مظالم وضرائب[٤].

وفي بعض الحالات كانت المآزق السياسية تجبر السلطان على البحث عن مناصرين له، وإذا كان مكان هؤلاء المناصرين هو السجن كان الإفراج يتم عنهم في الحال، ومثال ذلك ما تم في فتنة خلع الملك السعيد بركه، فأثناء حصار القلعة من قبل كبار الأمراء رفاق الظاهر بيبرس والد بركة وبقيادة قلاوون، تزعزع موقف بركه، وتسحب عنه أكثر أمرائه ومماليكه، فأفرج عن الأمير سنجر الحلبي الذي كان مسجوناً بالقلعة، فصار معه[٥]، واستشارة بركه فيما يفعل[٦].

(2) الأسباب الاقتصادية:

كان السلاطين يصدرون قراراً بالإفراج الجماعي عن المساجين في أوقات الأزمات الاقتصادية لعدم قدرة الدولة أو الدائنين على مؤونة السجناء[٧]، ومن الأمثلة على ذلك قرار الإفراج الذي أصدره برقوق- أتابك- سنة 784هـ/ 1382م بسبب الغلاء وشمل المساجين في سجني الرحبة والديلم، ورافق ذلك إغلاق السجنين وإصدار قرار بألا يسجن أحد على دين[٨].

---

(١) ابن طولون: إعلام الورى، ص 134.
(٢) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 72، ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 430.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 503.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص231.
(٥) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 654.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 397؛ العيني: عقد الجمان، ج2، ص 22.
(٧) علاء طه: السجون والعقوبات، ص 78.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 84؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 46؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 124؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 83.

وفي ظروف اقتصادية مشابهة أصدر الأشرف برسباي سنة 839هـ/ 1435م قراراً بالإفراج عن المساجين في جميع السجون بعد أن عانوا من الإهمال والجوع، كما أمر بإغلاق جميع السجون وألا يسجن أحد على دين، وألزم أرباب الديون بتقسيط الديون على المدينين، وعدم سجن أرباب الجرائم بل قتلهم، وقطع أيدي السراق(١).

وتكشف القرارات السابقة وما رافقها من تعليمات عن سوء الإدارة وعدم تخطيط السلاطين - باستثناء بيبرس (٢)- لعمليات الإفراج. فالقرارات طارئة وسريعة، إضافة إلى ذلك غير مجدية بسبب ما يترتب على إغلاق السجون من مفاسد تدفع السلاطين إلى إلغاء قراراتهم مثل ما تم بعد قرار الظاهر برقوق(٣). وقرار الأشرف برسباي الذي لم يطبق سوى مدة قصيرة(٤).

(3) المناسبات الدينية:

كان شهر رمضان من المناسبات الدينية الهامة التي يتم الإفراج فيها عن المساجين باستفكاك المدينين منهم أو العفو عن بعض أرباب الجرائم. ففي سنة 785هـ/ 1383م، أفرج برقوق عن المساجين على ديون بعد أن صالح على ديونهم(٥). ففرحوا بذلك وتضاعفت له الأدعية(٦) وفي أواخر شعبان من سنة 827هـ/ 1423م أفرج الأشرف برسباي عن المساجين بما فيهم أرباب الجرائم(٧).

وقد أوضح ابن حجر أهداف السلاطين من الإفراج في رمضان من خلال ما فعله الأشرف برسباي من أن قيامه بالإفراج جاء ظناً منه أن في ذلك قربى من الله(٨).

(4) ظروف وأسباب شخصية تتعلق بالسلاطين:

أدت بعض الظروف الخاصة التي مر بها السلاطين إلى إصدار قرارات الإفراج عن

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 166، 167. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 83.
(٢) سبقت الإشارة إلى قيام بيبرس وبشكل دوري بالإطلاع على مدارج السجون لتحديد من وجب الإفراج عنهم من المساجين.
(٣) علاء طه: السجون والعقوبات، ص 83.
(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 167.
(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 113.
(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 79.
(٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 44.
(٨) المصدر نفسه، ج8، ص 44.

المساجين عند إصابتهم بالمرض أو إصابة أحد المقربين منهم، وقد يتم إصدار القرار أيضاً بعد شفاء هؤلاء منه.

ومن السلاطين الذين أفرجوا عن المساجين عند مرضهم، المنصور لاجين بعد أن شفي عن كسر في يده سنة 697هـ/ 1297م(١)، والناصر محمد الذي تزامن شفاءه من مرض تعرض له سنة 730هـ/ 1329م مع بدء عيد الأضحى، فأفرج في أول أيام العيد عن أهل السجون(٢). كما أفرج عن المساجين سنة 730هـ/ 1329م بعد أن "أسترد عافيته من وقعه انصدعت فيها يده"(٣).

وعندما مرض الصالح إسماعيل بن الناصر محمد سنة 746هـ/ 1345م ولزم الفراش وانقطع خبره على الأمراء أمر أخوه الكامل شعبان – الذي تسلطن بعده- بالإفراج عن المساجين، ورتب جماعة لقراءة صحيح البخاري ووزع الصدقات تقرباً إلى الله من أجل شفاء أخيه(٤).

أما السلاطين الذين أفرجوا عن المساجين عند مرض أقاربهم فمنهم الكامل شعبان الذي أفرج عن "أهل السجون" وتصدق بفرس وثلاثين ألف درهم عندما مرض الأمير أرغون العلائي زوج أمه(٥).

ومن حوادث الإفراج التي تمت بعد شفاء الأمراء من المرض، حادثه الإفراج عن المساجين التي تمت سنة 691هـ/ 1291م بعد شفاء الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة من مرض شارف خلاله على الموت. فقيل ان الأشرف خليل أفرج عن المساجين وتصدق بأموال كثيرة شكراً لله على شفاء بيدرا ولتغطية إشاعات انتشرت بين الناس بوجود وحشة بينه وبين بيدرا(٦)، وقيل أن بيدرا هو من تصدق عن نفسه بعد شفائه وأخرج من في سجونه(٧).

وشارك الأمراء السلاطين، بالإفراج عن مساجين بعد دفع ديونهم وكذلك قيام نواب

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 399.
(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 148.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 161.
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 677.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 103.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 364. وانظر: ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 143.
(٧) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 779؛ والمقفى، ج2، ص 563.

السلطنة في الإفراج عن المساجين عند شفائهم من مرضهم، ومن الأمثلة على ذلك: استفكاك الأمير صرغتمش رأس نوبه للمساجين، وتوزيع الأموال على الفقراء، بعد شفائه من مرض "خيف عليه منه"(١).

ونهج نواب السلطنة في دمشق نهج السلاطين، مثل نائب دمشق قانصوه المحمدي الذي أفرج عن المساجين ونادى بالأمان بعد شفائه من وجع في رجليه(٢)، ونائب دمشق سيباي الذي أفرج عن المساجين بعد شفائه من وجع في يده(٣).

(5) المصاهرات:

كانت المصاهرات من بين الأسباب التي تؤدي إلى الإفراج عن المساجين. فقد قام المنصور قلاوون بالإفراج عن اثنين من المساجين - من الخاصة - ليزوج ولديه من بنات السجين الأول وليتزوج هو إبنة السجين الثاني. حيث أفرج عن سيف الدين نوكيه من سجن الإسكندرية وأحضره إلى القاهرة وأنعم عليه بالإمره لإتمام زواج إبنه الصالح علي من إبنة نوكيه (خوند منكبك) (٤)، وكذلك زواج إبنه الأشرف خليل من أخت لها(٥). كما أفرج قلاوون عن شمس الدين سنقر التكريتي الظاهري ومنحه الإمرة لإتمام زواجه من إبنه الأمير سنقر(٦).

(6) الشفاعة:

تكمن أهمية الشفاعة بالمساجين في أن وجودها كان حقيقة واقعة خلال العصر المملوكي، وكان لتوظيفها دور كبير في الإفراج عن المساجين بل وإنقاذهم من الإعدام. ومن أهم القائمين على الشفاعة (أي من تقبل شفاعتهم عند السلاطين).

كبار الأمراء: ومن ذلك شفاعة عدد من الأمراء بيلبغا الناصري وقرادمرداش، وبيدمر نائب الشام عند المنصور علي بن الأشرف شعبان(٧). وشفاعة أحد الأمراء بالأمير طاز الدوادار

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 889.
(٢) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق1، ص 263 وإعلام الورى، ص 153.
(٣) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق1، ص 356 وإعلام الورى، ص 197.
(٤) ابن الفرات: تاريخ، مج7، ص 251؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 709، 710. - نوكية: أصله تتري ممن قدموا زمن الظاهر بيبرس: سجن بأمر منه، وبقي حتى زمن قلاوون، توفي سنة 699هـ/ 1299م. انظر: العيني: عقد الجمان، ج4، ص 17.
(٥) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص ص 349- 350؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 223؛ ابن حبيب: تذكره النبيه، ج1، ص 72.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 156؛ ابن الفرات: تاريخ، مج7، ص 69.
(٧) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 399.

الكبير عند الأمير صرغتمش رأس نوبه(١). وشفاعة أحمد بن يلبغا في صهره آقبغا المــارداني، وفي أميرين آخرين عند والده يلبغا الناصري(٢).

ولم تقتصر الشفاعة على رجال الدولة والأمراء بل امتدت إلى أقــارب الــسلطان. مثــل الأمير أنس والد الظاهر برقوق الذي كانت شفاعته في السجين لا تحتاج إلى مراجعة(٣)، وعُرِفَ عنه شفقتهُ على من يراه من المساجين المقيدين خاصة من كانوا يستخدمون في العمائر، فكان لا يمر به أحد منهم إلا وأمر بفك قيده وإطلاقه(٤).

وكذلك قام أمراء العرب لاسيما من آل فضل بالشفاعة بالمساجين، وآل فــضل: مــن آل ربيعة من قبيلة طيء بن كهلان القحطانية(٥). كانت لهم مكانة كبيرة بين القبائل العربية في بــلاد الشام، ولهذه المكانة أخذوا إمرة العرب رغم قلة عددهم(٦). ومن أشهرهم آل عيسى الذين تفرعوا إلى بيوت عدة هي: بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وبيت حــارث بــن عيــسى، وأولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديثه بن عيسى، وآل هبه بن عيسى(٧).

وقد جرت العادة أن يعين الأمير منهم من قبل السلطان المملوكي وفق إجــراءات رســمية فيلبس التشريف بالقاهرة أو يرسل إليه أن كان غائباً(٨).

كان لآل فضل نفوذ قوي في الدولة المملوكية، وكان السلاطين يستجيبون لمعظم مطــالبهم فاستعلموا هذا النفوذ لتحقيق بعض الأعمال التي تزيد من مكانتهم عند الناس، ومنها الــشفاعات في أمور الاستخدام في الوظائف وإقطاع الجند والإطلاق من السجون(٩) فقد سعى الأمير حــسام الدين مهنا بن عيسى في أمر الإفراج عن ابن تيميه "وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجــــه منه"(١٠).

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 554.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 220. وانظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 77.
(٣) العريني: المماليك، ص 76.
(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 70؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج6، ص 67؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 279.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 210.
(٦) الحياري: الإمارة الطائية، ص ص 101- 102.
(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 212.
(٨) المصدر نفسه، ج4، ص 213.
(٩) الحياري: الإمارة الطائية، ص ص 101- 102.
(١٠) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 93. وانظر: المقريزي: المقفى، ج1، ص 465؛ الحياري: الإمــارة الطائية، ص 103، حاشية (1).

ونظراً لمكانة ابن تيمية في الدولة المملوكية- رغم كونه سجيناً – فإن التدخل في عملية سجنه والشفاعة له لم يكن أمراً سهلاً، وما أتاح للأمير مهنا بن عيسى أن يقوم بهذا الدور هو مكانة آل الفضل عند المماليك بالإضافة إلى علاقتهم الطيبة مع ابن تيمه[١]. فبعد ان سعى الأمير مهنا في الإفراج عن ابن تيمية. طلب من نائب السلطنة سلار أن يصطحبه معه الى الشام وكان رأي سلار أن يبقى ابن تيمية مدة بمصر ليرى الناس فضله.[٢]

إضافة إلى الأمير مهنا شفع الأمير فياض بن مهنا عند الناصر حسن في الشريف ثقبة، فأفرج عنه وعن أخيه وابن عمه مغامس[٣].

وممن تولى أمر الشفاعة في المساجين أيضاً الأولياء والمشايخ، بسبب المكانة الدينية التي حظيوا بها عند السلاطين والأمراء وعند العامة، والتي جاءت نتيجة الاعتقاد بقدرتهم على شفاء الأمراض، وإتيان الخوارق التي عرفت بالكرامات[٤]. ومن أشهر هؤلاء: الشيخ خضر المهراني الذي كان له عند الظاهر بيبرس منزلة لم يظفر بها أحد، حيث كان بيبرس يزوره في كل أسبوع مرة ومرتين[٥] "وثلاثاً... ويطلعه على غوامض أسراره، ويستشيره في أموره، ولا يخرج عن رأيه، ويستصحبه في سار أسفاره وغزواته"[٦].

وكانت الشفاعة المقبولة للمهراني عند الظاهر بيبرس من بين الأسباب التي أوغرت صدور رجال الدولة عليه خاصة الوزير بهاء الدين علي بن حنا ونائب السلطنة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار. فقد ذكر المقريزي أن هؤلاء وبعلم الظاهر بيبرس دبروا التهم لمحاققة المهراني "بعد ثقلت عليهم شفاعاته، ونقلت إليهم شناعاته"[٧].

ومن فئة الأولياء والمشايخ أحمد بن أحمد بن عبد الله الزهوري نزيل دمشق ثم القاهرة،

---

(١) الحياري: الإمارة الطائية، ص ص 102، 103.
(٢) العيني: عقد الجمان، ج4، ص 460.
(٣) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 21.
(٤) عاشور: المجتمع المصري، ص ص 234- 236.
(٥) ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص 13؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 59. - قيل عن سبب تقريب الظاهر بيبرس للشيخ خضر أنه تنبأ له بالسلطنة. المقريزي: المقفى، ج3، ص 751. وانظر: ترجمة واسعة للشيخ خضر في نفس الجزء ص ص 750- 756.
(٦) المقريزي: المقفى، ج3، ص 751.
(٧) المقريزي: المقفى، ج3، ص 756.

ذكر ابن حجر أنه كان يشفع عند الظاهر برقوق فلا يرده[١].

وممن قبلت شفاعته كذلك جمال الدين المغربي رئيس الأطباء زمن الناصر محمد. فعند خروج الناصر إلى الكرك سنة 708هـ/ 1308م، رافقه وأقام معه فيها فعينه الناصر طبيباً خاصاً له، وبعد عودته للسلطنة قربه وجعله رئيساً للأطباء، وكلفه بالاستعلام عن أحوال الدولة بشكل سري، فكان يوصل الأخبار للناصر قبل انتشارها وبسبب هذه الثقة التي منحه إياها الناصر أصبح " يُخشى ويُرجى وتقبل شفاعاته وتقضى حوائجه"[٢].

أوقات الشفاعة وترتيباتها:

من الأمور الهامة في عملية الشفاعة القدرة على توظيفها في الوقت المناسب خاصة إذا تعلق الأمر بسجين أو سجناء حكم عليهم بالقتل، ويتضح ذلك من خلال ما ذُكِرَ عن حادثة نجاة الأمير لاجين من القتل[٣]. بعد أن أمر الأشرف خليل بن قلاوون سنة 692هـ/ 1292م، بقتله خنقاً مع عدد من الأمراء المسجونين بقلعة الجبل، منهم ركن الدين طقصوا، وسنقر الأشقر[٤].

وعن هذه الشفاعة يقول النويري: "فكان الذي تولى خنق لاجين الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، فتلطف به، وانتظر أن تقع به شفاعة، فشفع به الأمير بدر الدين بيدرا، فأمر السلطان بالإفراج عنه، وهو يظن أنه قد مات"[٥].

وأشار المقريزي إلى ذلك وقال:" فلما وضع الوتر في عنقه انقطع، وكان قراسنقر له به عناية، فتلطف به ولم يُعَجِل عيله، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه، وانتظر أن تقع به شفاعة، فشفع الأمير بدر الدين بيدرا في لاجين، وساعده من حضر من الأمراء- فَعُفِيَ- عنه ظناً أنه لا يعيش"[٦].

ويذكر ابن تغري بردي أن عملية الخنق لم تنجح بسبب انقطاع الوتر وأنها قد تمت أمام

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج4، ص 37.
(٢) المقريزي: المقفى، ج1، ص 34.
(٣) في هذا الموضع تستثنى رواية ابن تغري بردي حول خنق لاجين لعدم تركيزه على موضوع الشفاعة. انظر: ابن تغري بردي: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 369.
(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص 12، حول قتل طقسوا وسنقر. انظر: بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 95.
(٥) النويري: نهاية الأرب ، ج31، ص 245.
(٦) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 782.

الأشرف خليل فأخذ لاجين يترقق للأشرف[١]. ويصف دور كبار الأمراء زملاء لاجين بقولـه: "فترقق له – لأجله- خشداشيته، وقبلوا الأرض وسألوا السلطان فيه، وضـمنوه فأطلقـه وخلـع عليه، وأعطاه إمرة مائة فارس بالديار المصرية وجعله سلاح دار"[٢].

أما بيبرس الدوادار فقد أشار إلى أن عملية الخنق قد تمت في الجب، وأنه لما خنق أزيـد فظن أنه مات، فخلي عنه. ولما بقي على قيد الحياة أحضره الأشرف "بين يديه فـي مـلأٍ مـن الأمراء الأكابر والأصاغر"[٣]. وأعطاه إمرة مائة فارس ولكن وهبه لبيدرا، وحرص الأشـرف على أن يكون كلامه موجهاً للاجين فقال له: إن بيدرا شفع فيك، وقد وهبتك له حقاً، وصرت له رقاً"[٤] أي مملوكاً. وفي رواية أخرى: "خذ هذا يكون لك مملوكاً، وافتصل به"[٥] وعلق بيبـرس الدوادار على ذلك بقوله: "والمذكور كان أكبر من بيدرا منزلة، فأثر هذا القول في نفسه"[٦].

وتأتي إحدى حوادث الشفاعة لتبين أن لها إجراءات خاصة كانـت تنـسجم مـع النظـام العسكري المملوكي وهي مخاطبة الأستاذ في أمر مملوكه، حتى لو كان المملوك- المشفوع فيه- قد ترقى في الخدمة وحتى لو عرض الأمر على السلطان، ويبقى الأمر النهائي بالإفراج بيـده. فعندما قام جوبان أحد مماليك تنكز نائب الشام بمكاتبة الأمير قوصون يتشفع في الإفـراج عنـه بعدما سجن في الكرك، كلم قوصون السلطان الناصر محمد، فكتب الناصر إلى تنكز يشفع فـي جوبان فلم يجبه، ثم كتب مرة ثانية وثالثة فلم يجب، فاشتد غضب الناصر وكتـب إلـى نائـب الشوبك بالإفراج عنه فأفرج[٧].

(7) البَذْلُ:

كان الإفراج يتم عن بعض المساجين بعد أن يبذلوا المال للسلطان أو لأحد المقربين منـه، الذين يزينوا للسلطـان أمر الإفراج حتى يشفع لمـن بذل[٨]. ومـن الأمثلة على البـذل حادثة

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص ص 71- 72.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص 72. - الخوشداشية أو الخشداشية: معرب اللفـظ الفارسـي (خواجا تاتش) أي الزميل في الخدمة، وفي الاصطلاح: هم الأمراء الذين نشأوا مماليكاً عند سـيد واحـد، فنشأت بينهم رابطة الزمالة. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 120.

(٣) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 95.

(٤) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 134.

(٥) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار ، ص 95.

(٦) المصدر نفسه، ص 95.

(٧) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 509.

(٨) علاء طه: السجون والعقوبات، ص 81.

الأخنائي قاضي الشافعية بدمشق الذي سجن فبرطل ثلاثمائة ثوب بعلبكي "فأفرج عنه"(١).

أما عن البذل لأحد المقربين من السلطان ليتولى عملية الشفاعة ما ذكره (الشجاعي) عن الملك الأفضل بن المؤيد صاحب حماه، الذي أرسل الناصر محمد يطلبه إلى القاهرة في سنة 739هـ/ 1338 بعد أن شكى منه أهل حماه، فتوقع الأفضل أن يُقبَض عليه ويسجن إذا وصل القاهرة. فتهيأ للأمر وقرر أن يذهب إلى تنكز نائب الشام ليشفع فيه عند الناصر محمد وحرص أن يحمل الهدايا الثمينة والتحف فاستقبله تنكز استقبالاً حسناً وكتب به كتاب شفاعة عند الناصر(٢).

وذكر الشجاعي أن الأفضل عندما اتجه إلى القاهرة حمل إلى الناصر هدايا تقدر قيمتها بخمسمائة ألف درهم، فقابله الناصر ولم يسجنه واكتفى بأن نبهه كي يحسن السيرة في أهل حماه وتطرق أثناء حديثه معه إلى كتاب الشفاعة الذي وصله من تنكز فقال للأفضل: قد " كتب نائب الشام بسببك، وضمن عنك أن لا تعود لمثلها، وقبلت سؤاله وضمانه"(٣).

ومن الأمثلة أيضاً على البَدْلْ عند توظيف الشفاعة ما ذكر عن يوسف بن محمد البحيري الأزهري الذي كانت تقبل شفاعته واشتهر عنه أنه كان يأخذ أموالاً على الشفاعة وأنه حصل من وراء ذلك أموالاً كثيرة(٤).

3- إجراءات الإفراج(٥):

يشمل الحديث عن إجراءات الإفراج دراسة مرسوم الإفراج من حيث الإنشاء والتعليمات الواردة فيه، بالإضافة إلى عملية فك القيود، ومقابلة المفرج عنهم للسلطان وما يترتب على ذلك من إنعام عليهم.

مرسوم الإفراج:

في حالة الإفراج عن الأمراء كانت تجري مراسيم خاصة بذلك ويعتبر إصدار المرسوم

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج6، ص 106.
(٢) الشجاعي: تاريخ الملك الناصر، ورقة 28، أ.ب.
(٣) المصدر نفسه، ورقة 29 أ.
(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص 169
(٥) تعتبر حادثة الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري بما في ذلك مرسوم الإفراج إنموذجاً لشرح إجراءات الإفراج، مع الاستعانة بأمثلة أخرى.

أساس عملية الإفراج، ويطلق عليه "إفراج شريف سلطاني". وقد اهتم كل من النويري وابن الفرات بإيراد نص مرسوم الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري الذي صدر عن الأشرف خليل في 18 شعبان سنة 690هـ/ آب 1291[١].

بدأ القسم الأول من المرسوم بالحمد والشكر لله تعالى، ثم بدأ القسم الثاني بالشكر والثناء والتبجيل للأمير بيسرى مع الحرص على إيراد ألقابه كاملة، ثم حُدد في المرسوم وقت إخراج الأمير من السجن، حيث جاء فيه: " يفرج عنه في هذه الساعة من غير تأخير ويمثل بين يدي المقام الأعظم السلطاني بلا استئذان نائب ولا وزير"[٢]، ووضِعَ المرسوم في كيس أطلس أصفر حرير وختم عليه بخاتم السلطان. [٣]

وتتم قراءة المرسوم أمام السجين وفك القيود عنه وتهيئته لمقابلة السلطان. ومما جاء حول ذلك؛ أن المرسوم حمل إلى الأمير بيسري المسجون في الجب من قلعة الجبل، بواسطة الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة، والأمير زين الدين كتبغا، وجماعة من أكابر الأمراء، وقام هؤلاء بإخراج بيسري، وقرأوا عليه مرسوم الإفراج، وأحضروا له التشريف السلطاني، وهموا بكسر قيده، فقال: لا يفك القيد من رجلي ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أمتثل بين يدي السلطان، وصمم على ذلك، فأُعلم الأشرف خليل بذلك فرسم بفك قيده، وإحضاره بملبوسه الذي كان عليه في الجب، فمشى حتى أدخل إلى السلطان، فقام له وتلقاه، وأكرمه وألبسه التشريف وأجلسه إلى جانبه، وأنعم عليه بالأموال والأقمشة وأمره بمائة فارس وأقطعه إقطاعاً وافراً[٤].

ومنذ هذه الحادثة أصبح لبس التشريف عادة أمام السلطان إذا ورد ذلك صراحة في أحد مراسيم الإفراج. هذا مع عدم تحرج السجين من لباس السجن إذا وُعِدَ أو حظي بمقابلة السلطان وتوقع أن يستبدل ما عليه بتشريف فاخر. ومن الأمراء المفرج عنهم والذين قابلوا السلاطين بعد الإفراج عنهم بلباس السجن أو بإضافات أخرى. وخلع عليهم وألبسوا التشاريف: الأمير شيخو

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 215؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 122. وانظر: حادثة الإفراج دون المرسوم: المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 769؛ والمقفى، ج2، ص 576، 577. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 82، 171. وانظر ملحق رقم (3).

(٢) ملحق رقم (3).

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 216؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 122، 123؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 769 والمقفى، ج2، ص 577. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 82.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 123؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 217؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 769، 770، والمقفى، ج2، ق 577. وانظر: علاء طه: السجون والعقوبات، ص 82.

الذي أفرج عنه سنة 752هـ/ 1351م من سجن الإسكندرية وما أن وصل إلى القاهرة في الرابع من رجب حتى توجه فوراً نحو القلعة حيث السلطان الناصر حسن " فأقبل عليه- الناصر- وخلع عنه ثياب السجن، وألبسه تشريفاً جليلاً وخرج شيخو إلى منزله والتهاني تتلقاه"(١).

ومنهم: الأمير جانم قريب الأشرف برسباي الذي أفرج عنه من سجن قلعة صفد سنة 857هـ/ 1453م زمن الأشرف إينال، وقد وصل جانم ظاهر القاهرة عصر يوم الأربعاء أول ربيع الآخر. فبات خارج أسوارها في تربة الأشرف برسباي، وفي صباح اليوم التالي يوم الخميس توجه إلى القلعة ودخل على السلطان الأشرف "وقبل الأرض بين يديه، فرحب به السلطان، وخلع عليه ... ووعده بكل خير"(٢).

ومنهم أيضاً الأميرين: (جرباش كرد المحمدي) و (يشبك من سلمان)، اللذين أفرج عنهما من سجن دمياط سنة 876هـ/ 1471م، زمن الأشرف قايتباي وقابلا الأشرف في اليوم التالي لوصولهما " وقد لبسا طُرحا، وفي أعناقهما مناديل صفا، فقبلا الأرض، وباسا يد السلطان فخلع عليهما... ورسم لهما بالإقامة في القاهرة"(٣).

إن مقابلة السلطان لم تكن شرطاً أساسياً في الإفراج عن الأمراء، بل قد يمنع المفرج عنهم من دخول القاهرة خاصة من يتم نفيهم بعد الإفراج عنهم، مثل الأمير طراباي الذي أصدر الأشرف برسباي أمراً بالإفراج عنه من سجن الإسكندرية، ثم قراراً بنفيه إلى القدس "واشترط عليه عدم دخول القاهرة "(٤).

3- الاحتفالات بالإفراج:

يعتبر تكريم السلاطين للأمراء المفرج عنهم تكريماً رسمياً وهناك احتفالات خاصة قام بها أقارب الأمراء وأصحابهم، فعندما أُفرج عن الأمير ملكتمر الحجازي مع عدد كبير من الأمراء من سجن الإسكندرية تلقته زوجته خوند الحجازية "بجواريها وخدّامها ومغانيها تضرب بالدفوف

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص ص 848- 846.
(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 434.
(٣) الصيرفي: إنباء الهصر، ص ص 440 - 441.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 315؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 113- 115.

والشبابات فرحاً به"[١]. وعندما أفرج عن الأمير بيبغا روس من سجن قلعة الكرك احتفل الأمراء بقدومه ولم يبق أحد منهم إلا وقدم له "تقدمه تليق به"[٢].

وعندما أُفْرِجَ عن سبعة من الأمراء من سجن الإسكندرية، وهم: منجك الوزير، وفاضل أخو بيبغاروس وأحمد الساقي نائب صفد، وعمر شاه الحاجب، وأمير حسين التتري، وولده، ومحمد بن بكتمر الحاجب، عمت الأفراح مدينة القاهرة وقام الأمير شيخو والأمير طاز، والأمير صرغتمش بإرسال التقادم السنية للأمراء المفرج عنهم فاختاروا من أصطبلاتهم الخيول والتعابي والأقمشة والبسط[٣]. ومن الأمثلة على التقدمه الواحدة لكل أمير ما بعثه شيخو لمنجك وهو "خمسة أفراس ومبلغ ألفي دينار"[٤].

وكان لاستقبال المفرج عنهم من سجن الإسكندرية طابعٌ خاصٌ، فعندما أفرج عن الأمير شيخو وخرج من المدينة بالحراقة في أول رجب سنة 754هـ/ 1351م، توقع الناس وصوله في يوم السبت الثالث من رجب أو يوم الأحد الرابع منه، فخرجوا من يوم السبت "وأقاموا ببولاق وإمبابة، ووصلت المشاة إلى منية السيرج تنتظر قدومه، فلما رأوا الحراقة – التي تحمله - صاحوا ودعوا له وتلقته مراكب أصحابه، وخرج الناس للفرجة، فبلغ كراء- أجرة- المركب مائة درهم، وما – أن- وصلت الحراقة إلا وحولها فوق الألف مركب، وركب الأمراء إلى لقائه ... وأشعلت الشموع، وخرج مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه ، فسار شيخو في موكب عظيم، لم يُرَ مثله لأمير، إلى أن صعد القلعة"[٥].

رابعاً: تأثير الأوضاع السياسية والأمنية على السجون

شهد العصر المملوكي أحداثاً سياسية وأمنية كان لها تأثير كبير على السجون، وتمثل ذلك بهروب المساجين أو الهجوم على السجون وإخراج المساجين، ليشاركوا بأنفسهم في الصراعات

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 595. وانظر: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج10، ص 43.
- صادف خروج ملكتمر والأمراء من الإسكندرية، وصول الأمير قوصون، مقبوضاً عليه ليسجن فيها، وعند وصول ملكتمر إلى القاهرة وبينما زوجته تحتفل بقدومه كانت أختها زوجة قوصون في عويل وبكاء وصياح مع جواريها. انظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 850.
(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 850.
(٣) المصدر نفسه، ج2، ق3، ص ص 849- 850.
(٤) المصدر نفسه، ج2، ق3، ص 850.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 848. حول الطريق من منيه السيرج إلى القلعة وكذلك من إمبابة وبولاق إلى القلعة. انظر ملحق رقم (5).

السياسية والعسكرية.

ففي فتنة المماليك الأشرفية، ثار المماليك الأشرفية – خليل بن قلاوون - على كتبغا نائب السلطنة للناصر محمد وهاجم المماليك خزانة البنود، وأخرجوا خوشداشيتهم[١] الذين سجنوا على يد كتبغا[٢]، وتلا عملية الهجوم على السجن اتجاه الأشرفية نحو القلعة في نفس الليلة في محاولة فاشلة لحصارها[٣]، وقد انتهى أمرهم في الصباح حيث قبض على أعداد كبيرة منهم وعوقبوا بالسجن والقتل[٤].

وفي فتنة خلع الظاهر برقوق تأثرت السجون بشكل كبير، بالأحداث التي رافقت خروجه من السجن واعتلائه عرش السلطنة للمرة الثانية. ففي جمادى الآخرة سنة 791هـ/ 1389م ثار يلبغا الناصري على الظاهر برقوق، وتحالف في ذلك مع منطاش فاضطر الظاهر برقوق إلى الاختفاء وذلك في أواخر أيام سلطنته الأولى[٥]، وباختفائه خلت القاهرة من مدبر لأمورها فانتشرت أعمال السلب والنهب، وأهملت أمور الناس، واستغل مساجين خزانة شمائل عدم وجود رقيب فكسروا قيودهم، وخرجوا وسمع بهم مساجين الديلم والرحبة فخرجوا " على حمية جملة واحدة"[٦].

هذا ما كان قبل سجن الظاهر برقوق، أما بعد أن خلع من السلطنة وسجن في قلعة الكرك وتمكن من الخروج من سجنه في العاشر من رمضان من السنة المذكورة وغادر الكرك متجها نحو دمشق في شوال، ثم تمركز بظاهر المدينة في ذي القعدة[٧]، بعد هذه التحركات جميعها من جانب برقوق بدأت الأوضاع في مواقع السجون تضطرب ويخرج المساجين بطريقة أو بأخرى يتزعمهم في ذلك المخلصين من أتباعه، فقد قام مماليكه بإخراج المساجين من قلاع

---

(١) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 99؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8 ص 191؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 806؛ زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 18؛ موير: تاريخ دولة المماليك، ص 191، 192.

(٢) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 693.

(٣) ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 191.

(٤) ابن الفرات: تاريخ، مج 8، ص 192؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 806؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص 260- 265.

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 276؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 207- 208. وانظر: ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 81.

(٦) ابن قاضي شهبه: تاريخ، ج3، ص 276؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 207- 208.

(٧) ابن قاضي شهبه: تاريخ، ج3، ص 286، 292، 297؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 251، 260. وأنظر ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 82.

الشام،[١] ففي صفد ثاروا بزعامة بلبغا السالمي دوادار نائب صفد، وحاولوا قتل النائب لولا هروبه إلى القاهرة، وقام يلبغا بإخراج إينال اليوسفي وقجماس ابن عم الظاهر برقوق وحوالي مائتي مملوك من أتباع الظاهر المسجونين بقلعة صفد "ونادوا بشعار الظاهر"[٢]. وفي المرقب نُقِبَ سجن القلعة، وهرب المساجين منه وهم الأمراء: أياز، وإينال أمير أخور، وابن المهمينـاز، والتجأوا إلى حلب حيث كان نائبها حليفاً للظاهر برقوق[٣].

أما في مصر فقد خرج والي أسوان أبو درق عن الطاعة ومعه قرط التركماني ومبارك شاه وأخرجوا المعتقلين بقوص وقصدوا التوجه إلى برقوق[٤].

وعندما دخلت سنة 792هـ/ 1390م كانت مصر وبلاد الشام "من الفرات إلى أسوان في غاية الاضطراب وترقب الشر"[٥] ففي شهر محرم شهدت بلاد الشام اشتباك بين قوات برقوق وقوات السلطان المنصور حاجي ومنطاش ومعهما الخليفة قرب دمشق، وتمكن برقوق من القبض على المنصور وعلى الخليفة في حين هرب منطاش إلى دمشق وتحصن بها، كما شهدت خلع المنصور من السلطنة، ومبايعة برقوق الذي قرر في أواخر شهر محرم العودة إلى القاهرة وتأجيل حصار دمشق[٦].

وعلى الرغم من التضييق على أتباع الظاهر برقوق في القاهرة وتتبع المساجين منهم تمكن أتباعه المسجونين بخزانة الخاص من قلعة الجبل من الهروب في 2 صفر سنة 792هـ/ 1390م فتسامع بهم مماليكه – برقوق- ممن خارج السجون، فاتجهوا نحو خزانة شمائل، وكسروها وأخرجوا من فيها من زملائهم، وكسروا أيضاً سجني الرحبة والديلم وأخرجوا المساجين[٧].

---

(١) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 82.
(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 297- 298.
(٣) المصدر نفسه، ج3، ص 293.
(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 292، 293؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 257؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 416؛ ضومط: الدولة المملوكية، ص 319.
(٥) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 690.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص 1- 5؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص ص 692، 693؛ ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص. 83 ويذكر في هذه الصفحة أن برقوق خرج الى القاهرة في منتصف شهر محرم.
(٧) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 698؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 289؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 425.

الفصــل الثالــث

فئــات السجناء في العصــر المملوكي

أولاً: سجناء القضايا السياسية

أ- الخلفاء العباسيين

ب-السلاطين المماليك

ج- الملوك والأمراء الأيوبيين

د- سجناء الثورات وحركات العصيان

هـ- عربان مصر والشام

و- أشراف الحجاز وحكام اليمن

ز- الأمراء والمماليك (الأجناد)

ثانياً: سجناء القضايا الإدارية

ب-التزوير

ت- تجاوزات خاصة بالقضاة

ج- التعدي على أموال الدولة وظاهرة المصادرات

ثالثاً: سجناء القضايا الاجتماعية

أ- القتل

ب- السرقة

ج- البغاء

د- الاحتيال

رابعاً: سجناء القضايا الفكرية

أولا: سجناء القضايا السياسية

كان الطابع العام للفترة المملوكية عدم الاستقرار السياسي، ومن هنا كثرت المؤامرات والفتن مما كان يستدعي سجن المهزومين منهم في غالب الأحيان، وأبرز السجناء السياسيين هم:

أ- الخلفاء

تمهيد:

يعود الفضل في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة للسلطان الظاهر بيبرس، سنة 659هـ/ 1261م. الذي أراد أن يُكسب حكمه صفة الشرعية ويدعمه ضد أطماع منافسيه من أمراء المماليك، وضد أمراء الشام الأيوبيين(١)، بالإضافة إلى كسب الدعم الديني من الخليفة للتوسع السياسي في مناطق مجاورة خاصة الحجاز(٢).

كان الخليفة المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر هو أول الخلفاء العباسيين في مصر وبويع فيها في رجب من سنة 659هـ/ 1261م في مجلس حضره القضاة والعلماء، وحصل بيبرس من خلاله بعد مبايعة الخليفة على تفويض شرعي بحكم البلاد(٣).

وقد اهتمت الدراسات الحديثة بطريقة تعامل الظاهر بيبرس مع أول الخلفاء العباسيين في القاهرة وسلطت الضوء من خلال نهاية الخليفة على حقيقة نظرة السلاطين المماليك بشكل عام وبيبرس بشكل خاص لوجود خليفة عباسي صاحب سلطة دينية.

فيرى حطيط أن بيبرس شعر أنه ليس من مصلحته أن تقوم إلى جانبه، في القاهرة سلطة يعتبرها المسلمون كافة السلطة الشرعية العليا، وشرع يعد العدة لإبعاد الخليفة عن القاهرة، فزين له أنه سيعمد إلى تلبية أمنيته بإعادته إلى بغداد.(٤)

وبرأي العديد أن إخراج الخليفة مع قوة صغيرة إلى بغداد، هو الوسيلة التي اتبعها بيبرس للتخلص منه فلم يصمد الخليفة في وجه التتار الذين تمكنوا من قتله في محرم سنة 660هـ/ 1261م.(٥)

---

(١) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص 138.
(٢) طقوش: تاريخ المماليك، ص 94.
(٣) عبده: الأيوبيين والمماليك، ص 151؛ حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص 139.
(٤) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص 139.
(٥) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص ص 139- 140؛ العبادي: قيام دولة المماليك، ص 187.

كانت خطوة بيبرس الأولى في إحياء الخلافة العباسية قد ألزمته بالاستمرار في ذلك ومبايعة خليفة جديد،[١] ومما شجعه على ذلك أن الدولة المملوكية ستستفيد من وجود الخلافة في القاهرة وتتجنب خطر إقامتها في بغداد[٢]، فبايع خليفة عباسياً جديداً لقب بالحاكم بأمر الله سنة 661هـ/ 1262م بعد أن ظل كرسي الخلافة خالياً عاماً كاملاً[٣].

ويمكن فهم ظاهرة سجن الخلفاء ونفيهم خلال العصر المملوكي من خلال فهم العلاقة بين الخلفاء والسلاطين، فالخلفاء الذين كانوا يملكون أمر تفويض السلاطين لم تكن لهم سلطة تعيين أنفسهم ولكي يعين الخليفة منهم كان عليه أن يحظى بمبايعة السلطان و قضاة المذاهب الأربعة. من هنا كان باستطاعة السلطان أن يعزل الخليفة بعد استشارة شكلية للقضاة وفي هذه الحالة قد يسجن الخليفة أو ينفى.[٤]

إن الضعف الذي ميَّز الخلفاء خلال العصر المملوكي وسط قوة السلاطين تأكد وزاد في محطات منها قدرة الأمراء الكبار على عزل الخليفة، مثل قيام أتابك العسكر أينبك البدري بعزل الخليفة المتوكل على الله سنة 779هـ/ 1377م ونفيه[٥]، ومنها إقامة خلفاء ضعاف أو مشكوك في سيرتهم بالإضافة إلى تجريد الخلفاء من حق ذكر أسمائهم في الخطبة.[٦]

أما المحطة التي استعادت فيها الخلافة بعض نفوذها وهيبتها[٧] فهي تولي الخليفة المستعين بالله مقاليد السلطنة مع احتفاظه بالخلافة[٨]، وذلك سنة 815هـ/ 1412م لمدة عدة أشهر قام خلالها بإجراء التعيينات، وعزل بعض القضاة، وأرسل الكتب باسمه[٩] ودعي له على منابر الحجاز فكان أول خليفة عباسي في القاهرة يدعى له على منابرها.[١٠]

---

(١) الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 28.
(٢) العبادي: قيام دولة المماليك، ص 140.
(٣) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص 140.
(٤) المرجع نفسه، ص141.
(٥) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص142؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص58.
(٦) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص ص 142- 143.
(٧) المرجع نفسه، ص 143.
(٨) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص 143؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 65.
(٩) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ص 63- 64.
(١٠) حطيط: قضايا من تاريخ المماليك، ص 143.

يظهر مما سبق تحديد السلاطين المماليك لشكل علاقتهم مع الخلفاء، ويجعل من استعراض حوادث سجنهم أمثلة على تحكم السلاطين وكبار الأمراء بالخلفاء، كما يعطي فائدة في التعرف على أماكن سجنهم ومناطق نفيهم.

1- الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد (660- 701 هـ/ 1261- 1301م):

قدم الخليفة الحاكم إلى مصر في 27 ربيع الأول سنة 660هـ/ 1261م، فأنزله الظاهر بيبرس في البرج الكبير من قلعة الجبل ثم بايعه يوم الخميس الثامن من محرم سنة 661هـ/ 1262م.[١]

في محرم من سنة 663هـ/ 1264م ضيق الظاهر بيبرس على الخليفة ومنعه من الاجتماع بالناس، وقد بيّن المقريزي ذلك مع المدة التي قضاها الخليفة بهذا الشكل بقوله: "فاحتجب وصار كالمسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقية أيام الظاهر بيبرس وأيام ولاية محمد بركه، وسلامش، وأيام قلاوون، فلما صارت السلطنة إلى الأشرف خليل بن قلاوون أخرجه من سجنه مكرماً يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة تسعين وستمائة".[٢]

2- الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم (701- 737هـ/ 1301- 1336م):

بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة 701هـ/ 1301م[٣] زمن الناصر محمد (السلطنة الثانية). وبعد عزل الناصر محمد اعترف الخليفة بسلطنة بيبرس الجاشنكير وألبسه خلعة السلطنة، ولمّا عاد الناصر إلى القاهرة وتولى السلطنة للمرة الثالثة، أخفى غضبه عما فعله، ثم قام سنة 736هـ/ 1335م بسجنه مع عياله في البرج الكبير من القلعة لمدة ستة أشهر ومنع الناس من مقابلته[٤] ثم نفاه إلى قوص و بقي فيها إلى أن توفي سنة 740هـ/ 1339م.[٥]

3- الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد[٦]:

---

(١) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص208؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص118.
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص242.
(٣) المصدر نفسه، ج2، ص242.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 472؛ اليوسفي: نزهة الناظر، ص 362؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 416.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص204؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 126؛ الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص190؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص242.
(٦) خ 1: (763- 784هـ/ 1361- 1382م) ، خ 2: (784- 785هـ/ 1382- 1383م)، خ 3: (791- 808هـ/ 1389- 1406م).

بويع بالخلافة بعهد من أبيه المعتضد بالله أبو بكر وذلك في السابع من جمادى الآخرة من سنة 763هـ/ 1361م وتولاها مدة خمسة وأربعين سنة خلع فيها مرتان: الأولى في 23 صفر سنة 779هـ/ 1377م وخلعه الأمير أينبك بعد هروب الأشرف شعبان وسلطنة المنصور علي، وأعيد إلى الخلافة في العشرين من ربيع الأول من نفس السنة(١)، وخلع للمرة الثانية سنة 785هـ/ 1383م، وسجن على يد الظاهر برقوق في نفس السنة(٢) بعد أن اتهمه بالتدبير مع إبراهيم بن قطلوقتمر لخلعه(٣).

وتشير بعض المصادر إلى أن مكان سجن الخليفة كان أحد أبراج القلعة(٤) ويرجح أنه البرج الكبير منها، وفي الفترة الأخيرة من سجنه كان في بيت يعرف ببيت الخليلي نقل إليه وسمح "لعياله" بمقابلته والاجتماع به بعد أن منع من ذلك لمدة طويلة.(٥)

4- الخليفة المعتصم بالله زكريا:(٦)

وَلِيَ الخلافة في 23 صفر من سنة 779هـ/ 1377م بعد خلع المتوكل على يد أينبك أثناء سلطنة المنصور علي، ثم خلع في نفس السنة وأعيد المتوكل للخلافة. بويع بالخلافة للمرة الثانية على يد برقوق سنة 788هـ/ 1386م أثناء سجن المتوكل ثم خلع في سنة 791هـ/ 1388م وأعيد المتوكل إلى الخلافة. توفي مخلوعاً سنة 801هـ/ 1398م. (٧)

سُجِنَ المعتصمُ في ذي الحجة من سنة 791هـ/ 1388م أثناء السلطنة الثانية لحاجي بن

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص246 وج1، ق2، ص ص 397- 398؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص ص 337- 338؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص84؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص116؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 188.
(٢) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص 24.
(٣) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 264.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص745؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص116.
(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 265؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 134؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص ص 340- 341؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 82.
(٦) خ 1: (779هـ/ 1377م)، خ 2: (788- 791هـ/ 1386- 1389م).
(٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج4، ص 59؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص745؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 269.

الأشرف شعبان، وذلك في قاعة الفضة من القلعة، بعد تحكم يلبغا ومنطاش بأمور الدولة[١] وبقي في السجن حتى صفر من سنة 792هـ/ 1389م حيث أفرج عنه أمراء ومماليك برقوق بعد هروبهم من خزانة الخاص.[٢]

5- الخليفة المستعين بالله العباس بن المتوكل (808- 816هـ/ 1406- 1412م):

تولى الخلافة بعهد من أبيه في رجب سنة 808هـ/ 1406م وعندما ثار شيخ ونوروز بالشام على الناصر فرج، خرج الناصر لمحاربتهم سنة 815هـ/ 1412م واصطحب الخليفة معه، وبعد تغلب شيخ ونوروز ألزموا الخليفة بخلع الناصر فرج فخلعه، وبعد أن قتلوه عرضوا على الخليفة تولي السلطنة فجمع بين المنصبين ودامت سلطنته ثمانية شهور من محرم إلى شعبان، وكان خلعه على يد شيخ الذي خطط لتنصيب نفسه سلطاناً[٣].

وقد خطط شيخ لإبعاد الخليفة بعد عزله حيث سجنه مدة في دار من دور القلعة ومعه أهله ومنع عنه الزيارة[٤]، ثم أخرجه في العاشر من ذي الحجة سنة 819هـ/ 1416م ليسجن في الإسكندرية.[٥]

بقي الخليفة مسجوناً حتى أفرج عنه الظاهر ططر بعد توليه السلطنة وعرض عليه الرجوع إلى القاهرة فامتنع لاستطابته الإسكندرية واشتغاله بالتجارة فيها[٦]، توفي بالإسكندرية بعد إصابته بالطاعون سنة 833هـ/ 1429م.[٧]

وهكذا نلاحظ أن عدداً من الخلفاء العباسيين ذاقوا مرارة السجن أو النفي خلال الفترة المملوكية، وإن كانوا خارج السجن أشبه بالمحكوم عليهم بالإقامة الجبرية أكثر منه أحراراً.

ب- السلاطين

تعرض كثيراً من السلاطين للسجن والنفي نتيجة لظروف وأسباب مختلفة، ومن هؤلاء السلاطين:

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 269، 271.
(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 301، 302، 324؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 291.
(٣) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 63.
(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 73.
(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 367.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 511؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص 203.
(٧) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص 203.

1- شجر الدر (648هـ / 1250م):

تُعَدُّ شجرُ الدر أولَ من سجن من السلاطين المماليك، وكان سجنها في البرج الأحمر بقلعة الجبل، وقد سُجنِت نتيجة قيامها بقتل زوجها المعز أيبك، وانتهى سجنها بقتلها على يد زوجة المعز أيبك أم المنصور علي(١).

2- المنصور علي بن أيبك (655- 656هـ/ 1257-1258م):

بعد مقتل المعز أيبك تولى الحكم المنصور علي بن أيبك، وكان سيف الدين قطز هو المدبر لشؤون الدولة.(٢)، وفي سنة 657هـ/ 1259م قام قطز بخلع المنصور والقبض عليه مع أمه وأخيه قآن وسجنهما بقلعة الجبل، ثم في برج السلسلة بدمياط، ثم نفاهم إلى القسطنطينية.(٣)

وكانت حادثة سجن المنصور علي قد تمت في الفترة التي وصل فيها التتار إلى بلاد الشام، فاستغل خروج جماعة من أمراء المنصور إلي الصيد، وقام بالقبض عليه وسجنه، وبرر قطز فعله هذا للأمراء بعد عودتهم بأن المنصور لا يحسن التدبير في هذا الوقت الصعب.(٤)

3- الملك السعيد بركه بن الظاهر بيبرس (676-678هـ/ 1277- 1279م):

بعد أن تم خلع الملك السعيد بركه(٥)، طلب من الأمراء القائمين على خلعه وهم سيف الدين قلاوون، وبدر الدين بيسري أن يعطوه الكرك، فأجابوه، بعد أن حَلّفوه أن لا يكاتب أحداً من النواب ولا يستميل الجند، وحلفوا له أن لا يؤذوه ولا يغيروا عليه (٦).

4- العادل سيف الدين سلامش بن الظاهر بيبرس (ربيع أول- رجب 678هـ/ 1279م):

تولى العادل سيف الدين سلامش الحكم وكان عمره آنذاك سبع سنين، وحكم لمدة مائة يوم، ثم أُرسل بعدها إلى الكرك وسجن مع أخيه بركه فيها(١)، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الملك السعيد لم يكن سجيناً، وما ورد في السطور السابقة دليلاً على ذلك.

---

(١) انظر السجن في البرج الأحمر من قلعة الجبل.

(٢) المقريزي: الخطط، ص 238؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص296؛ زقلمة: المماليك في مصر، ص 133.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 468؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 418؛ الحلاق: تحفة الأحباب، ورقة 46. أ .

(٤) ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج2، ص 214؛ وانظر: المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 418؛ نصر الله: رحيل الصليبين، ص ص 80- 81.

(٥) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص344؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص238.

(٦) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص344؛ النويري: نهاية الأرب، ج30، ص 398؛ العيني: عقد الجمان، ج2، ص 321.

وقد أورد المؤرخون أخباراً عن صفة وجود سلامش والمسعود خضر بعد وفاة بركـه، فكان هؤلاء من شملتهم عملية السجن فقد سجنا سنة 685هـ/ 1286م في الكرك عندما جهز المنصور قلاوون قوات لإخراجها منها، وبعد نقلهما إلى القاهرة سجنا مدة في قلعة الجبل وبقيا في السجن حتى توفي قلاوون[٢]. فقام الأشرف خليل بنفيهما إلى (القسطنطينية) سنة 696هـ/ 1296م ومعهم أمهم وحريمهم[٣].

5- الناصر محمد بن قلاوون[٤]:

تولى الناصر محمد السلطنة في محرم من سنة 693هـ/ 1293م وكان عمره تسع سنوات[٥]، وتم اختيار الأمير كتبغا نائباً للسلطنة، والأمير علم الدين سنجر الشجاعي وزيراً، والأمير بيبرس الجاشنكير استاداراً، ونتيجة لأطماع هؤلاء بالسلطنة حدثت بينهم الصراعات. فقام كتبغا بخلع الناصر محمد في محرم من سنة 694هـ/ 1295م[٦] وحجر عليه وأخرجه منفياً إلى الكرك[٧]. ثم عاد الناصر ليتولى السلطنة في ربيع الآخر سنة 698هـ/ 1299م[٨]. ثم عاد إلى الكرك وخلع نفسه من السلطنة بعد استياءه من تحكم بيبرس الجاشنكير وسلار في أمور الدولة[٩].

6- العادل سيف الدين كتبغا (694- 696 هـ/ 1294- 1296م):

سجن كتبغا على يد أتباع نائبه حسام الدين لاجين، فعلى أثر سيطرة لاجين على الحكم ومبايعة الأمراء له بالسلطنة في منطقة العوجا قرب دمشق اتجه نحو القاهرة للجلوس على كرسي السلطنة، وقام أتباعه في دمشق بالقبض على كتبغا وسجنه بقلعتها وبقي مسجوناً قرابة الشهر إلى أن أمر لاجين بالإفراج عنه وتعيينه نائباً على صرخد[١٠].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص238؛ الصديقي البكري: النزهة الزكية، ورقة 16.أ.

(٢) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 356؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص29؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص85.

(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 775.

(٤) س 1: (693- 694هـ/ 1293- 1294م)، س 2: (698- 708هـ/ 1298- 1308م)، س 3:(709- 741هـ/ 1309- 1340م).

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص135.

(٦) المقريزي: الخطط، ج2، ص 239؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص 47.

(٧) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص135.

(٨) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص ص 93- 94. في مدة نفي الناصر محمد تولى كتبغا السلطنة ثم المنصور لاجين الذي حكم في الفترة من محرم سنة 696هـ/ 1296م حتى مقتله في ربيع الآخر سنة 698هـ/ 1299م.

(٩) العيني: السيف المهند، ص 210.

(١٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص ص 53- 54. وانظر: عبده: الأيوبيين والمماليك، ص188.

7- بيبرس الجاشنكير (708- 709هـ/ 1308- 1309م):

كان من مماليك المنصور قلاوون وترقى عنده إلى أن عين جاشنكير(١)، وأصبح في أثناء سلطنة الناصر محمد من أكابر الأمراء وتولى الأستادارية، فسجن في هذه الفترة على يد الوزير علم الدين سنجر الشجاعي.(٢)

وبعد أن تولى الناصر محمد الحكم للمرة الثانية ضيّق عليه بيبرس مما أدى إلى خروج الناصر محمد إلى الكرك، فأعلن نفسه سلطاناً في شوال من سنة 708هـ/ 1308م.(٣) واستمر حتى رمضان سنة 709هـ/ 1309م حيث هرب بعد أن علم بقدوم الناصر محمد(٤).

وقد سجن بيبرس بالبرج الكبير من قلعة الجبل بعد أن اعترضه شمس الدين قراسنقر نائب دمشق وسلمه إلى الأمير اسندمر كرجي حيث أدخله إلى قلعة الجبل(٥)، وأمر الناصر محمد بسجنه في البرج الكبير من القلعة ثم أمر بخنقه على يد المشاعلي على حد قول ابن إياس والسيوطي(٦).

وقد وصف ابن تغري بردي عملية خنقه: بأن الناصر محمد خنقه بنفسه مرةً ثم سيّبه – تركه- حتى أفاق ثم زاد في شتمه، وخنقه ثانيةً حتى مات"(٧)

8- المنصور أبو بكر بن الناصر محمد (741- 742هـ/ 1340- 1341م):

خُلِعَ بعد سنة من توليه السلطنة(٨) وأخرج منفياً مع إخوته إلى قوص(٩). وقتل فيها(١).

---

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص 502. الجاشنكير: هو الذي يتحدث في السماط (الوليمة) مع الأستادار ويتذوق الشراب قبل السلطان في الأسمطة خوفاً من أن يدس فيه سم. انظر: دهمان: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص 81.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 274؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ص 1، ص 503.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص 144.

(٤) العبادي: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 224.

(٥) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 400؛ بيبرس الدوادار، التحفة الملوكية، ص 212.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 434. وانظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 114.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص 219.

(٨) المصدر نفسه، ج10، ص ص 13- 14.

(٩) للمزيد: أنظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 14؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 57؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 321؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 209؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 68، 116.

9- الأشرف كجك بن الناصر محمد (صفر - شوال سنة 742هـ/ 1341م):

تولى الأشرف كجك السلطنة بعد خلع المنصور أبي بكر وكان عمره ثماني سنوات[٢] ونتيجة لصغر سنه اتسع نفوذ الأمير قوصون الذي أصبح هو صاحب السلطة الفعلية، خاصة بعد أن عين نائب السلطنة وأتابك العساكر[٣]. ونتيجة لهذا بدأ الصراع بين الأمير أحمد بن الناصر محمد وبين قوصون، وكذلك كان لتصرفات قوصون أثراً كبيراً في جعل كثير من الأمراء يخططون للقضاء عليه حيث حاصروه في القلعة وسجنوه في احد أبراجها، ثم نقل إلى الإسكندرية وسجن فيها ثم قتل[٤].

وبعد مقتل قوصون تمت عملية مبايعة الأمير أحمد بن الناصر محمد في شعبان – من السنة المذكورة – على يد أيدغمش الذي قام بخلع الأشرف كجك وسجنه بالقلعة في الدور السلطانية منها وبقي مسجوناً حتى قتل سنة 746هـ/ 1345م.[٥]

10- الناصر أحمد بن الناصر محمد[٦] (شوال 742- محرم 743هـ/ 1342م):

تعرض الناصر احمد للسجن مدةً قصيرةً وذلك لأغراض قتله، فبعد توليه السلطنة في القاهرة آثر أن ينتقل إلى الكرك ليتخذ منها مقراً وحاضرةً لدولته حيث حمل معه كثيراً من الأموال واخذ معه شعائر السلطنة والخليفة وناظر الجيش وكاتب السر[٧]، فراسله الأمراء يطلبون عودته إلى القاهرة لكنه كان يؤجل[٨] فقاموا بخلعه ومبايعة أخيه الصالح إسماعيل [١].

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 136؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 116؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 15؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 489.

(٢) الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص 192؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص 239. وقيل كان عمر الأشرف كجك خمس سنوات. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 19؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص 265؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 116.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 491؛ حياة حجي: الأمير قوصون، ع 30، ص 27.

(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 586- 615؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص 36، 42؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 494؛ حياة حجي: أحوال العامة، ص ص 42- 43. والأمير قوصون، ع 32، ص 27.

(٥) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص 265؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 150؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص40.

(٦) بويع الناصر أحمد غيابياً على يد الأمير أيدغمش في القاهرة في 20 شعبان سنة 742هـ/ 1341م ودخل القاهرة ليلة 28 رمضان ثم لبس شعار السلطنة في 10 شوال. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 42، 47، 49؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 495.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص ص 57- 58؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 496؛ غوانمة: شرقي الأردن، ص233.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص56.

قام الصالح إسماعيل بإرسال عدة تجاريد عسكرية إلى الكرك للقضاء على أخيه الناصر أحمد، وتمكنت قواته من الاستيلاء على قلعة الكرك سنة 745هـ/ 1344م والقبض على الناصر أحمد وسجنه في إحدى قاعاتها ثم قتله بأمر من الصالح(٢).

11- الكامل شعبان بن الناصر محمد (746- 747 هـ/ 1345- 1346م):

تولى الحكم بعد وفاة الصالح إسماعيل، وبقي في الحكم سنة إلا شهراً(٣)، أقبل خلالها على اللهو، وأكثر من المصادرات، وسجن الكثير من الأمراء، كما قام بسجن أخويه الأمير حاجي والأمير حسين(٤) مما أدى إلى قيام كبار الأمراء عليه كما ثار عليه نائب دمشق يلبغا إلي اليحياوي فأرسل إليه كتاباً جاء فيه: "أنك لا تصلح للملك ... والمصلحة أن تعزل نفسك من الملك ليتولى غيرك"(٥). معتمداً في ذلك على وصية الناصر محمد للأمراء الأوصياء على أولاده بأن يخلعوا من لا يسلك الطريق المرضي ويملكوا غيره(٦).

فقام الأمراء بالقبض على الكامل وسجنه في قاعة الدهيشة مكان أخويه ومن ثم خنقه بأمر من أخيه المظفر حاجي(٧).

12- المظفر حاجي بن الناصر محمد (747- 748هـ/ 1346- 1347م):

تولى السلطنة لمدة سنة وأربعة شهور ساءت فيها سيرته(٨). فخطط كبار الأمراء لقتله، وتمكنوا من ذلك بعد أن تخلى عنه مماليكه(٩).

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 24؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص 380؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص57.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص76؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 503؛ غوانمة: شرقي الأردن، ص 251.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 191.

(٤) صالح بن يحيي: تاريخ بيروت، ص140؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 151.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 109.

(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص21.

(٧) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص 140؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 712؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 122؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 512؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 151.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص 101، 126، 127؛ ابن حجر: الدرر الكامنه، ج2، ص ص 4- 5.

(٩) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص 104؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص240، ابن شاهين الملطي: نزهة الأساطين، ص 100.

13- الناصر حسن بن الناصر محمد(١):

تمــت مبايعته بعد وفاة أخيه المظفر حاجي، وبقي في السلطنة مــدة أربعة سنين تنقص خمسة عشر يوما(٢)، إلى أن تم خلعه على يد الأمراء فقاموا بسجنه في رواق فوق إيوان القلعــة، وفي رواية أخرى أنه تم سجنه في "بيت من قلعة الجبل"(٣).

14- الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد (752- 755هـ/ 1351- 1354م):

تولى بعد خلع الناصر حسن، وتم خلعه وسجنه في إحدى دور القلعة إلى أن توفي فيهــا سنة 761هـ/ 1360م(٤).

15- المنصور محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد (762- 764هـ/ 1360- 1362م):

أورد ابن تغري بردي أنه كان يعمل مكاري (أجيراً) للجــواري ويجــري وراء الحمــار بالحوش السلطاني، وأنه كان يأخذ زنبيلاً من كعك ويدخل دور الحريم ويبيع الكعك على ســبيل المماجنة"(٥). مما جعل الأمراء ينفرون منه ويعملون على خلعه وسجنه في الدور السلطانية(٦).

16- الأشرف شعبان بن حسين(٧) **بن الناصر محمد** (764- 774هـ/ 1362- 1376م):

تولى السلطنة بعد خلع المنصور محمد، وقد شهد عهدهُ عدة فتن منهــا مــا حــصل بعــد الخلاف بينه وبين الأتابك يلبغا العمري سنة 768هـ/ 1366م ومحاولة خلعه من قبل يلبغــا،(٨) وأخرى كانت سنة 778هـ/ 1376م وخلال هذه الفتنة تم القبض عليه وسجنه في القلعة يومــاً واحداً إلى أن قام أحد مماليك ألجاي اليوسفي بخنقه انتقاماً لأستاذه، ولم يدفن بُعيد ذلك بل وضــع في قفه وأثني ظهره نصفين حتى كسر، وخيطت عليه القفه ورمي في بئر وبقي عدة أيام إلى أن

---

(١) س 1: (748- 752هـ/ 1347- 1351م)، س 2: (755- 762هـ/ 1354- 1360م).
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 240.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 182، 225.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 269؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص224.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص 6.
(٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج4، ص 83؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص7؛ ابن إياس: بــدائع الزهور، ج1، ق1، ص593.
(٧) حسين بن الناصر محمد آخر أولاد الناصر محمد، يقال أنه سقي السم سنة 724هـ/ 1323م وكان قد رشح للسلطنة مرة، فلم يتم ذلك. انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص70. وانظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 181.
(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص 33.

أخرجه أحد طواشيته ودفنه(١).

17- الصالح / المنصور أمير حاج (حاجي) بن الأشرف شعبان(٢):

تولى السلطنة بعد وفاة أخيه المنصور علي(٣)، وتم خلعه على يد برقوق وسجن في الدور السلطانية من القلعة(٤).

18- الظاهر برقوق:(٥)

تم سجن برقوق قبل توليه السلطنة في فتنة مقتل أستاذه يلبغا العمــري سـنة 764هـ/ 1366م(٦). حيث أخرج ليسجن في قلعة الكرك مع عدد من مماليك يلبغا(٧).

وبعد تسلمه السلطنة سجن في أكثر من مكان بعد ثار أن عليه حليفه القديم يلبغا الناصــري في الشام حين كان نائباً على حلب(٨)، وتحالف معه منطاش نائب ملطيه ودخل في طاعته أغلب نواب الشام(٩). فحاول برقوق إخماد هذه الثورة بإرسال حملة عسكرية بقيادة أيتمش البجاســي ، ولكن قائدها فشل بعد انسحاب أغلب جنودها وانضمامهم إلى يلبغا حيث تمكن بعدها من دخــول القاهرة(١٠). مما دفع برقوق إلى أن يختفي لفترة إلى أن تم القبض عليه في منزل خياط بالقاهرة، وتم سجنه في قاعة من قاعات قلعة الجبل(١١) ثم أخرج إلى الكرك وتم سجنه في قلعتها(١) وسجن

---

(١) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 283؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص11؛ الــسخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 223؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، 181.
(٢) س 1: لقب فيها بالصالح (783- 784هـ/ 1381- 1382م)، س 2. لقــب فيهــا بالمنــصور (791- 792هـ/ 1388- 1389م).
(٣) تولى المنصور علي السلطنة بعد أخيه الأشرف شعبان وبقي على كرسي السلطنة حتى مرض بالطــاعون وتوفي في 23 صفر سنة 783هـ/ 1381م. انظر: المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 412 والخطط: ج2، ص240؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص4.
(٤) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص ص83-84.
(٥) س 1: (784- 791هـ/ 1382- 1388م)، س 2: (792- 801هـ/ 1389- 1398م).
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص 71؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص141.- يقول ابن تغري بردي: "فلم أدر هل كان برقوق ممن هو مع أستاذه يلبغا أم كان عليه" انظر: ابن تغري بردي: النجــوم الزاهــرة، ج11، ص 183. وذلك لأن مماليك يلبغا هم من قاموا بقتله، ومن ثار لمقتله هم من مماليكه أيضاً.
(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص ص 183- 184؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص 11.
(٨) ضومط: الدولة المملوكية، ص15.
(٩) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص ص 226- 233؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص16.
(١٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج112، ص ص 226-233.
(١١) انظر السجن في قاعتي النحاس والفضة من قلعة الجبل.

وسجن في قاعة النحاس .وقد علق الصيرفي على ذلك بقوله: "والعجيب أنه انتقل من قاعة الفضة إلى قاعة النحاس"(٢) ويقصد قاعة الفضة بقلعة الجبل التي سجن فيها قبل ذلك.

ووصف ابن إياس حالة برقوق في سجن قلعة الكرك بقوله: "وكان برقوق في مكان وله شباك إلى جهة الخليل عليه السلام – بلدة الخليل- وكان برقوق يقف في كل يوم من ذلك الشباك ويقول: يا خليل الله، أنا حسبك نجيني من منطاش"(٣).

وكان برقوق كثيراً ما يستغيث بأهل الكرك وهو داخل سجنه(٤) وقد استجابوا له وقاموا بقتل الشهاب البريدي وأخرجوا برقوق من سجنه القلعة(٥).

19- الناصر فرج بن برقوق:(٦)

تولى الحكم بعد وفاة أبيه وكان عمره عشر سنوات، وقد شكّل برقوق قبل وفاته مجلساً للوصاية على أبنائه مكوناً من أيتمش البجاسي أتابك العساكر رئيساً، ويخلفه في الرئاسة الخليفة المتوكل على الله. أما أعضاءه فكانوا خمسة أعضاء منهم الأمير بيبرس الدوادار، ويشبك الشعباني الدوادار الكبير، ويلبغا السالمي الأستادار،(٧) والأمير تغري بردي أمير سلاح(٨). ولكن سرعان ما فشي الصراع بينهم، مما دعى الناصر فرج للتخلى عن العرش والاختفاء سنة 818 هـ/ 1405م وعندها تمت مبايعة أخاه عبد العزيز بالسلطنة ولقب بالمنصور(٩)، وبعد شهرين خلع المنصور وأعيد الناصر فرج إلى الحكم بمساعدة الأمير يشبك الشعباني.(١٠)

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 446؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج4، ص52؛ العيني: السيف المهند، ص63؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 223؛ الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص 109؛ ابن صصري: الدرة المضيئة، ص20.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 225.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص414. يقصد بذلك بلدة الخليل بفلسطين. فالخليل جزء من المرتفعات الغربية والكرك جزء من المرتفعات الشرقية على جانبي حفرة الإنهدام التي يعتبر الغور الأردني جزء منها وانخفاضه يكشف المنطقتين لبعضهما البعض.

(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص285.

(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص251. الشهاب البريدي: أرسله منطاش لتنفيذ مهمة قتل برقوق.

(٦) س 1: (801- 808هـ/ 1398- 1405م)، س 2: (808- 815هـ/ 1405- 1412م).

(٧) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 25- 27؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص 409؛ الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 102.

(٨) تغري بردي: المقر الاتابكي الكمشبغاوي أو اليشبغاوي والد المؤرخ أبو المحاسن صاحب كتاب النجوم الزاهرة. أنظر. الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 39؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 539.

(٩) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص 92؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 27.

(١٠) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 27؛ ضومط: الدولة المملوكية، ص 350.

وتعد فترة حكم الناصر فرج فترة اضطراب سياسي وعسكري، فكان من أهم مظاهرها سوء العلاقة بينه وبين مماليك أبيه، وإتباعه سياسة العنف معهم(١)، مما أدى إلى نشوء كثير من الثورات وحركات العصيان وكان أخطرها ثورة شيخ نائب الشام ونوروز نائب طرابلس. الذين تمكنا من هزيمة الناصر فرج في موقعه اللجون بظاهر دمشق(٢). وبعـدها تـم خلـع الناصـر والقبض عليه وسجنه في قلعة دمشق بأمر من شيخ، وقتل فيهـا فـي صـفر سـنة 815هـ/ 1412م(٣) وألقيت جثته على مزبلة خارج دمشق ثم تم دفنها(٤).

20- المنصور عبد العزيز بن برقوق (ربيع الأول – جمادى الآخرة 808هـ/ 1405م):

قام الناصر فرج بعد عودته إلى الحكم بسجنه في دور الحرم من القلعة(٥) ثم أرسله إلـى الإسكندرية ليسجن فيها مع أخيه إبراهيم وتوفيا هناك(٦).

21- المظفر أحمد بن شيخ (محرم – شعبان 824هـ/ 1421م):

تسلم الحكم بعد وفاة أبيه المؤيد شيخ، وكان عمره سنة واحدة وثمانيـة أشـهر، وكـان المتحكم بأمور الدولة الأمير ططر، فقام بخلعه والحجر عليه ثم أخرجه مع أخيه إبراهيم ليـسجنا في الإسكندرية. ومات هناك بالطاعون ثم تبعه أخوه بفترة قصيرة ومات بالمرض نفسه. وكـان ططر بعد خلعه لأحمد بن شيخ قد تولى السلطنة وتلقب بالظاهر(٧).

22- الصالح محمد بن ططر (824- 825هـ/ 1421- 1422م):

تولى السلطنة بعد وفاة والده الظاهر ططر، وكان عمره إحدى عشرة سـنة(٨) وتـولى الوصاية عليه الأمير جانبك الصوفي وقام برسباي أمير آخور بانتزاع الوصاية (الأتابكيه) مـن الصوفي وسجنه(٩)، كما قام بخلع محمد بن ططر وتولى مكانه(١).

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 812؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 288.
(٢) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص ص 96- 100؛ طرخان: دولة المماليك الجراكـسة، ص 28- 30؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص ص 415- 416.
(٣) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص 100.
(٤) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 30.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 742.
(٦) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص ص 93؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 28.
(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص (13- 14)، (33، 34).- يذكر ابن إياس أن إخراج أحمد بن شيخ منفياً إلى الإسكندرية تم في شعبان من سنة 825هـ/ 1412م بأمر من الأشرف برسباي. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 82.
(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 76.
(٩) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 34.

أما محمد بن ططر، فمن المرجح أنه كان مسجوناً في إحدى قاعات دور الحرم. فيــذكر ابن إياس أنه لما تم خلع محمد بن ططر "عطف عليه – برسباي- ولم يسجنه بثغر الإسكندرية، كعادة أولاد الملوك بل أدخله دور الحريم، وأسكنه في قاعة البربرية هو وأمه "(٢).

وعلى الرغم مما ذكر لا يمكن أن ننفي صفة السجن عن محمــد بــن ططــر لأن دور الحرم كانت مكاناً لسجن السلاطين خاصة صغار السن منهم.

23- العزيز يوسف بن برسباي (841- 842هـ/ 1837- 1438م):

تولى السلطنة بعهد من أبيه الأشرف، وكان عمره أربعة عشر عاماً،(٣) وتولى الوصــاية عليه الأمير جقمق، وقام بخلع العزيز يوسف، وتولى السلطنة مكانه وتلقب بالملك الظاهر(٤) .

وبعد خلع العزيز يوسف قام الظاهر جقمق بسجنه في إحدى قاعات القلعة وهي القاعــة البرونزية(٥)، أو البربرية(٦).

ويقول ابن إياس أن الظاهر جقمق بعيد خلعه للعزيز يوسف رق له ولم يــسجنه بثغــر الإسكندرية، عادة أولاد السلاطين، فأخلى له القاعة البربرية وأدخله بها.(٧) ولكن صاحب تاريخ الملك الأشرف يشير صراحة إلى أنه كان مسجوناً شانه شأن من سبقه من السلاطين حيث يقول أن العزيز يوسف حين سجن في إحدى قاعات القلعة شددت الحراسة عليه " ووكل به خمــسون نفساً "(٨). وربما أن الظاهر جقمق قد خفف من أمر الحراسة عليه وأبدى تعاطفاً تجاهه بعد ذلك.

والدليل الآخر على وجوده بالسجن هو محاولة العزيز يوسف الهرب من السجن بعد أن أُخبر من قبل بعض المماليك أن جقمق ينوي قتله فاستعان بأحد الطباخين ممن عملوا في القصر

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 79.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 79. - القاعة البربرية: ترجح الباحثة أن المقصود بها القاعة البرونزية وذلك بعد المقارنة مع حادثة سجن العزيز يوسف بن برسباي.
(٣) طقوش: تاريخ المماليك، ص 459.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص ص 197- 198.
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 40، 63؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 562.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 197؛ مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص 160.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص ص 197- 198.
(٨) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص 160.

زمن أبيه الأشرف فساعده على الهروب فنُفِذت عملية الهروب ليلة عيد الفطر من سنة 842هـ/ 1438م حيث نقب الطباخ حائط خلف قاعة البربرية وأخرج الأشرف منه وقام بتغيير زي العزيز وألبسه لباساً خاصاً[١] .

ويبين ابن إياس نجاح العزيز في الخروج من القلعة ومعه طواشي صغير حيث سلك باب المدرج والتقى خارجها مع أحد الزردكاشيه من مماليك أبيه، وقد تزامن مع حادثة الهروب عصيان إينال الجكمي في الشام الذي قطع الخطبة للظاهر جقمق وخطب للعزيز يوسف. ثم كان رأى طوغان الزردكاش أن يختفي العزيز عدة أيام ثم يتوجه إلى الشام حيث إينال الجكمي. وفي أثناء اختفاءه تعرض لكثير من الصعوبات. فقد اضطر إلى المبيت في أماكن قاسية عدا عن الإشاعات التي انتشرت حوله منها أن الأمير إينال الأشرفي – برسباي – والذي اختفى ليلة هروب العزيز يخطط لنقل العزيز إلى الشام حيث إينال الجكمي فترتب على ذلك تشديد إجراءات البحث عن العزيز وإينال الأشرفي.[٢]

إلا أن محاولة العزيز يوسف قد فشلت، وتم القبض عليه، وسجن في البحرة من حوش القلعة ثم نقل إلى قاعة السواميد وسلم إلى أحد الخوندات، ووضع في مرقد السلطان " إلى أن يكون من أمره ما يكون "[٣].

ويضيف ابن إياس أن الظاهر جقمق عامل العزيز يوسف معاملة حسنة عندما ارسل إلى الإسكندرية فقال: "فنزل من القلعة ليلاً وهو راكب على فرس من غير قيد، وقد رفق به السلطان ولم يجازيه بما فعل، وكان قصده له الخير، وأن لا يسجنه ويجعله ساكناً بالقلعة في قاعة البربرية، ويزوجه كما فعل الأشرف برسباي بابن ططر"[٤]

24- المنصور عثمان بن جقمق (محرم- ربيع الاول 858هـ/ 1453م):

تولى السلطنة بعد تنازل والده الظاهر جقمق عنها في أثناء مرضه،[٥] ولكن حكمه لم يستمر سوى ثلاثة وأربعين يوماً بسبب ثورة الجيش ضده،[١] فتم خلعه ومن ثم قاموا بسجنه في

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 209.
(٢) المصدر نفسه، ج2، ص 210.
(٣) المصدر نفسه، ج2، ص 214.
(٤) المصدر نفسه، ج2، ص 220.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 299. انظر: مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص 173؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص ص 460- 461.

قاعة البحرة من الحوش لعدة أيام ثم اخرج من القاهرة ليسجن في برج الإسكندرية، وبقي مسجوناً حتى تسلم الظاهر خشقدم الحكم سنة 865هـ/ 1460م وأفرج عنه وجعله بحكم المنفي فيها. وبعد تولى الأشرف قايتباي السلطنة 872هـ/1467م سمح له بالدخول القاهرة [٢].

25- المؤيد أحمد بن إينال (محرم- رمضان 865هـ/ 1460م):

بُويعَ بالسلطنة بعد أن تنازل والده عن الحكم بسبب مرضه،[٣] وفي أثناء حكمه ثار عليه الأمراء وخلعوه،[٤] وأُخرج ليسجن في الإسكندرية،[٥] وبقي مسجوناً إلى أيام حكم الظاهر تمربغا حيث أفرج عنه وجعله بحكم المنفي حيث "أذن له بالركوب إلى صلاة الجمعة والعيدين وأن يسكن أي دار شاء من دور الإسكندرية"[٦].

26- الظاهر بلباي (يلباي) المؤيدي[٧] (ربيع الأول – جمادى الأولى 872هـ/ 1467م):

تم اختياره لتولي الحكم بعد وفاة الظاهر خشقدم،[٨]، وحكم مدة شهرين تقريباً[٩] اتصف خلال هذه الفترة بضعف الشخصية والتبعية لدواداره الكبير خاير بك[١٠]. ونتيجة لهذا قام الأمراء بخلعه وسجنه في سجن المخبأة، [١١] ثم نقل إلى برج الإسكندرية[١٢]، وبقي مسجوناً حتى وفاته سنة 873هـ/ 1468م بعد إصابته بالطاعون[١٣].

27- الظاهر تَمُربغا: (جمادى الاولى- رجب 872هـ/ 1467م):

---

(١) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 34.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص ص 304- 306، 384.
(٣) المصدر نفسه، ج2، ص 369.
(٤) مجهول: تاريخ الملك الأشرف، ص 178.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 380.
(٦) المصدر نفسه، ج2، ص 469.
(٧) لقب بالمجنون.
(٨) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 106؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 458.
(٩) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 791؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 466.
(١٠) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 107. وانظر: السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 791؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 466.
(١١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 465.
(١٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 107.
(١٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 473.

تولى السلطنة بعد الظاهر بلباي، وحكم قرابة الشهرين إلا أنه تم عزله بتدبير من المماليك الخشقدمية[١] وسجن في المخبأه "تحت الخرجاه"[٢]، ثم نقل إلى قاعة البحرة من القلعة[٣]. ونفي بعدها إلى دمياط بأمر من قايتباي، فهرب منها نحو الشام، وحين قبض عليه في غزة أمر قايتباي بنفيه إلى الإسكندرية "وسمح له أن يخرج إلى صلاة الجمعة وصلاة العيدين".[٤]

28- الظاهر خاير بك "سلطان ليلة " (ليلة الإثنين السادس من رجب 872هـ/ 1467م):

تولى السلطنة بعد خلع تمربغا، وتلقب بلقب أستاذه الظاهر خشقدم، ولم يحكم سوى ليلة وخلع في اليوم التالي وسجن في الركبخاناه من القلعة، ثم نقل إلى الإسكندرية وسجن بها[٥].

29- الأشرف جان بلاط (905- 906هـ/ 1499- 1500م):

بُويعَ جان بلاط بالسلطنة في ذي الحجة من سنة 905هـ/ 1499م، بدعم ظاهري من طومان باي الذي ما لبث أن خلعه وتولى الحكم مكانه في جمادى الأولى من سنة 906هـ/ 1500م[٦]، وقام بسجنه في قاعة البحرة من القلعة ثم نقله إلى الحوش وسجنه في مكان بجوار المقعد يسمى: " المبيت ". وبقي مسجوناً في الحوش لمدة ثمانية عشر يوماً وهي المدة التي تطلبتها عملية مصادرته، حيث أجبر على دفع مبلغ من المال لطومان باي، ثم أُخرج إلى الإسكندرية وسجن في البرج حتى تم خنقه فيه في حدود شهر شعبان من سنة 906هـ/ 1500.[٧]

---

(١) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 37؛ الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 123.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 474. - الخرجاه: أكثر الألفاظ قرباً من الخرجاه هو الخركاة وهي كالبيت تصنع من خشب وتكسى بالقماش الثقيل كالجوخ وتحمل مع الجيوش لتقي العساكر من البرد. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ص 117. ولاقترانها مع لفظ المخبأة ترجح الباحثة أنها كانت توضع بما يشبه المستودع (المخبأة) وتستخدم كسجن طارئ أو سري.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 475 .

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص ص 475- 476 و ج3، ص 6، 16. وانظر: طرخان دولة المماليك الجراكسة، ص 38، حاشية 16.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص ص 474- 475 و ج3، ص7؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ص 37- 38.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص 453. وانظر: طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 47؛ الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 129. طومان باي (الأول): العادل طومان باي بن قانصوه حكم من 6 جمادى الآخرة إلى شوال (906هـ/ 1501م). انظر: طرخان: النظم الإقطاعية، جدول ص 359.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص ص 462- 463.

ج- السجناء من الأيوبيين

تمهيد:

اعتبر الأمراء الأيوبيين في الشام أن تولي شجر الدر مملوكة الملك الصالح نجم الدين أيوب خروجاً للسلطنة في مصر على البيت الأيوبي. فلم يعترفوا بما جرى في مصر من تغيير في نظام الحكم، وخلال هذه الفترة تشكلت في الشام جبهات المعارضة للمماليك تكونت من:[١]

1- جبهة دمشق وحلب وتزعمها الملك الناصر يوسف صاحب حلب، الذي قدم إلى دمشق بعد أن استدعاه المماليك القيمرية بعد رفضهم الاعتراف بحكم شجر الدر.
2- الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان صاحب قلعة الصبية الذي خرج من مصر احتجاجاً فهاجم غزة وأخذها واستقر في القلعة المذكورة.
3- جبهة الكرك والشوبك التي تزعمها الملك المغيث عمر، وقد سلمت المدينتين للمغيث عمر، على يد نائب الملك الصالح نجم الدين أيوب على الكرك الطواشي بدر الدين الصوابي الصالحي، وذلك بعد أن أُخرج المغيث من السجن.

خلال حكم شجر الدر جرت استعدادات من قبل المماليك للخروج من القاهرة لمقاتلة الأيوبيين وانتزاع دمشق من الناصر يوسف، ولكن المماليك تراجعوا عندما بلغهم انضمام كافة أمراء نيابات الشام إلى الصف الأيوبي واستعداد الناصر يوسف للزحف نحو مصر.[٢]

وقبل حدوث صدام مسلح بين الأيوبيين والمماليك جرت تطورات سياسية هامة تمثلت بتنازل شجر الدر عن السلطنة للمعز أيبك وزواجها منه،[٣] وتولية أمير أيوبي كان في السادسة وقيل في العاشرة من عمره هو الاشرف موسى ليكون شريكاً لأيبك في السلطنة، وصار يخطب لهما على منابر مصر، وأعمالها، وضربت لهما السكة على الدنانير والدراهم، كما حصل أيبك مع الأشرف على اعتراف الخليفة العباسي المستعصم ، حين أعلن أيبك نفسه نائباً للمستعصم على مصر.[٤]

---

(١) طقوش: تاريخ المماليك، ص ص 41- 42. المماليك القيمرية: نسبه الى قيمر، وهي قلعة بين الموصل وخلاط، وكان سكانها من الأكراد. طقوش: تاريخ المماليك، ص 41، حاشية (3).
(٢) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 290.
(٣) طقوش: تاريخ المماليك، ص 42.
(٤) العبادي: قيام دولة المماليك، ص 125؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص 53. الأشرف موسى: موسى بن يوسف صاحب اليمن المعروف باقسيس ابن الملك الكامل محمد، ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. أبو الفداء: المختصر: ص 290.

وجاء استعداد الناصر يوسف لمحاربة المماليك، ثم خروجه إلى مصر على رأس جـيش ليكشف عن عدم اكتراث الأيوبيين لإجراءات أيبك وإدراكهم أنها حيلة لهدم المقاومة الأيوبيـة[١] واشتبك الطرفان عند بلدة العباسة قرب بلبيس في العاشر من ذي القعدة سنة 648هـ/ 1250م أسفرت عن انتصار المماليك[٢].

قرر أيبك بعدها أن يواصل زحفه نحو بلاد الشام فأرسل بعد شهر فارس الدين اقطـاي للاستيلاء على غزة. وذلك قبل تدخل الخليفة العباسي المستعصم الذي سعى إلى عقد صلح بـين الأيوبيين والمماليك أثرَ تهديد المغول لمصر وبلاد الشام في سرعة عقده فتم فـي أوائـل سـنة 651هـ/ 1253م[٣]

إن وجود الشام كجبهة معارضة للدولة المملوكية جعل من الملوك والأمـراء الأيـوبيين هدفاً للسلاطين المماليك فتتبعوهم بالقبض عليهم وسجنهم وقد تم ذلك خلال فترات متعددة. فمنهم من قبض عليه قبل أو أثناء معركة العباسة، ومنهم من قبض عليه بعد ذلك خاصة زمن الظـاهر بيبرس.

1- السجناء الأيوبيين قبل معركة العباسة:

بعد قيام الدولة المملوكية وبسبب حتمية نـشوء الـصراع الـسياسي والعـسكري مـع الأيوبيين. أبقى المماليك على اثنين من الأمراء الأيوبيين سجنوا من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب هما: المنصور إبراهيم، والسعيد عبد الملك ابنا الصالح إسماعيل.[٤]

كما أبقى المماليك ومنذ أيام الصالح نجم الدين أيوب على ناصـر الـدين بـن يغمـور أستادار الصالح إسماعيل، وأبو الحسن السامري وزيره،[٥] والأمير سيف الدين القيمري في أحد جباب القلعة،[٦] بالإضافة إلى الخوارزمي صهر الناصر يوسف[٧].

---

(١) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 28. وانظر: العبادي: قيام دولة المماليك، ص 127.
(٢) النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص 420؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص ص 373- 374. العيني: عقد الجمان، ج1، ص ص 40- 41؛ عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص 1038؛ العبادي: قيـام دولـة المماليك، ص 126.
(٣) العبادي: قيام دولة المماليك، ص ص 127- 128؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص 57.
(٤) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 40. انظر: أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 290.
(٥) العيني: عقد الجمان: ج1، ص 42؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 292.
(٦) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 376. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج1، ص 43.
(٧) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 44.

وعندما تجهز أيبك لقتال الأيوبيين حاول استغلال الأمراء الموجودين عنده للإيقاع بين الناصر يوسف الذي قاد جيوش الأيوبيين وبين الصالح إسماعيل الذي خرج معه، فأفرج عن ابني الصالح وخلع عليهما " ليتوهم الملك الناصر ... من أبيهما"(١)

أما استادار الصالح إسماعيل ووزيره فقد ذكرت المصادر أنهما وبعد ورود أنباء أولية عن انتصار الأيوبيين خرجا من السجن "وأظهرا السرور"(٢)، وخطبا للملك الناصر يوسف على منبر جامع القلعة(٣) وأرادا أخذها(٤).

وعندما انتهت المعركة بانتصار المماليك أعيدا إلى السجن(٥) ثم أمر أيبك بشنقهما مع الخوارزمي على باب قلعة الجبل.(٦)

2- أسرى معركة العباسة:

أسرت قوات المماليك خلال المعركة عدداً من أمراء البيت الأيوبي، ومن غيرهم من الأمراء بالإضافة إلى عدد من أعيان حلب.(٧)

أما أمراء البيت الأيوبي فهم: الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، والأشرف صاحب حمص، والمعظم تورانشاه بن الناصر صلاح الدين وأخوه نصرة الدين،(٨) وقد سجن الصالح إسماعيل في إحدى دور القلعة، بينما سجن الاشرف وتورانشاه ونصرة الدين في سجن القلعة(٩).

(١) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 40. وانظر: أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 291. - خرج الصالح إسماعيل مع الناصر يوسف لقتال المماليك وأراد أيبك أن يوهم الناصر يوسف بأن أبناء الصالح تحالفوا معه لذلك أخرجهم من السجن ثم أخرجهم معه إلى المعركة ليراهم الناصر يوسف.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 42. - بدأت المعركة بانكسار الجناح الأيسر للجيش المملوكي، وكان جيش الناصر يوسف يضم قوة كبيرة من المماليك العزيزية – مماليك أبيه الملك العزيز – وكانوا من الأتراك، فدفعتهم رابطة الدم إلى الانضمام إلى المماليك البحرية وكان لهم دور كبير في انتصار المماليك. انظر: عاشور: الحركة الصليبية، ج2، ص 1038.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 422.

(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 377.

(٥) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 42.

(٦) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 378؛ النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 422؛ العيني: عقد الجمان، ج1، ص ص 43- 44.

(٧) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص ص 373- 374.

(٨) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 375؛ النويري: نهاية الأرب ، ج 29، ص 421؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 291.

(٩) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 42.

ركز العيني في عقد الجمان على أخبار الصالح إسماعيل بعد القبض عليه حيث يذكر أن المماليك أثناء اقتيادهم له وعندما وصلوا إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أيوب "أحدقوا بالصالح إسماعيل، وصاحوا: يا خوند، أين عينك ترى عدوك"(١).

ولقد سمح المعز أيبك للصالح إسماعيل برؤية أولاده وكانوا في السجن أيضاً ثم أخرج الصالح بعد ذلك إلى خارج القلعة من جهة القرافة، فقتل ودفن هناك سنة 648هـ/ 1250م(٢).

3- السجناء الأيوبيين زمن الظاهر بيبرس:

كان المغيث عمر أشهر السجناء الأيوبيين خلال العصر المملوكي بشكل عام وخلال حكم الظاهر بيبرس بشكل خاص. حيث كان التخلص منه بالسجن ثم القتل يعني وقوع الكرك تحت حكم المماليك والقضاء على المعارضة الأيوبية(٣).

وبعد خدعة دبرها الظاهر بيبرس(٤) استطاع القبض على المغيث عمر وسجنه في قلعة الجبل في أواخر جمادى الأولى من سنة 661هـ/ 1262م(٥).

وعلى الرغم من اهتمام المؤرخين بأخبار المغيث عمر، إلا أن النويري انفرد في بيان المكان المحدد من القلعة حيث ذكر أنه أُدخل إلى أحد أبراج القلعة ثم نقل إلى قاعة من قاعات الدور السلطانية ، فقتل خنقاً في نفس اليوم. ويضيف النويري أن الظاهر بيبرس أمر بإغلاق القاعة التي كان بها المغيث ولم تفتح إلا بعد ثلاثة شهور.(٦)

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 43. ويقصدون بخوند نجم الدين أيوب. والخوند: السيد العظيم أو الأمير، استعملت في العربية لقباً بمعنى السيد أو السيدة. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 70. - من خلال ترجمة الصالح إسماعيل كان الصراع على دمشق هو سبب العداء بين نجم الدين أيوب والصالح إسماعيل. انظر: العيني: عقد الجمان، ج2، ص 47.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 43؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 292؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 181. وانظر: المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 378 وقد ذكر أن القتل تم في القلعة. وانظر: النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص 421. والذي ذكر أن قتل الصالح تم سنة 649هـ/ 1251م.

(٣) حول نهاية المغيث عمر. انظر: غوانمة: إمارة الكرك، ص ص 317- 320.

(٤) للمزيد: انظر: غوانمة: إمارة الكرك، ص ص 318- 319.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص ص 401- 422، ج30، ص ص 80- 81؛ العيني: عقد الجمان، ج1، ص ص 355، 372؛ ابن أبي الفضائل: تاريخ السلاطين المماليك، ص 108؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 209؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج 20، ص 288، 309؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 51؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 532، مج 2، ص 193؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 267؛ غوانمة: إمارة الكرك، ص 320.

(٦) النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص 402.

ويبدو أن مكان السجن كان مجهولاً بالنسبة للمحيطين بالظاهر بيبرس وبالتالي للمؤرخين بسبب التكتم الذي عرف عن بيبرس. فيذكر اليونيني أن بيبرس كان حريصاً على كتمان أمر المغيث ورغم أنه أمر بخنقه إلا أنه كان يظهر لأمرائه أنه لازال على قيد الحياة، ويضيف: أن منفذ عملية الخنق سكر وأخبر ندمائه بأمر المغيث.(١)

قبل سجن المغيث عمر سجن ابنه العزيز عثمان سنة 658هـ/ 1260م حيث كان قطز قد قبض عليه بعد معركة عين جالوت، وعندما أدخل إلى القاهرة سجن في قلعة الجبل. وبقي مسجوناً حتى سنة 660هـ/ 1261م حيث أطلقه بيبرس كوسيلة لخداع والده المغيث(٢).

وفي سنة 661هـ/ 1262م عندما خرج المغيث عمر من الكرك استخلف العزيز عثمان عليها، وبعد أن قتل المغيث وملك بيبرس الكرك أعطى العزيز إمرة مائة فارس، وانعم عليه وعلى أولاده بأموال حصن الكرك(٣). إلا أن الظاهر بيبرس عاد وقبض عليه سنة 669هـ/ 1270م وسجنه بقلعة الجبل، وبقي إلى سنة 678هـ/ 1279م، أثناء فتنة خلع الملك السعيد بن الظاهر بيبرس، حيث حاصر الأمراء القلعة وعرضوا عليه – العزيز العثمان- أن ينصرف إلى حاله، فخشي على نفسه، وقرر أن يرجع إلى معتقله ويقيم فيه مع أولاده الذين رزق بهم أثناء الاعتقال(٤).

بقي العزيز مسجوناً حتى سنة 690هـ/ 1291م، فكانت مدة سجنه عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وبعد أن أُفرجَ عنه انقطع عن الناس واشتغل بالعلم(٥).

---

(١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 300. وانظر: غوانمة: إمارة الكرك، ص 320، حاشية 179.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص 400، 403 وج30، ص 53؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 122؛ غوانمة: إمارة الكرك، ص 314.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج30، ص 82، 83، 173. وانظر: ابن أبي الفضائل: تاريخ سلاطين المماليك، ص 109؛ العيني: عقد الجمان، ج1، ص 358؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص 289؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 533 و مج 2، ص 194.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج30، ص 175.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 187؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج20، ص 399؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج2، ص ص 443- 444؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 106؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص ص 36- 37.

د - سجناء الثورات وحركات العصيان

1- ثورة سنجر الحلبي نائب دمشق[١]:

قام الأمير سنجر الحلبي بالثورة على الظاهر بيبرس سنة 658هـ/ 1260م، وحاول استمالة بعض الأمراء الأيوبيين إلا أن الظاهر بيبرس تمكن من القضاء على هذه الثورة، والقبض على سنجر بعد هروبه إلى بعلبك[٢] وتم سجنه بقلعة الجبل.[٣]

2- ثورة بيبغا روس نائب حلب:

كانت ثورته سنة 753هـ/ 1352م حيث تسلطن بحلب[٤]، واستمال عدداً من نواب المدن الشامية،[٥] وزحف نحو دمشق ولكنه فشل في دخولها، وانتهت ثورته بهروب إلى ملطية أو كما أشيع إلى البيرة[٦]، وأما الأمراء الذين كانوا معهم فتم توسيطهم جميعاً، وسجن واحداً منهم وهو ملكتمر السعدي في قلعة دمشق[٧].

3- ثورة يلبغا ومنطاش:

كان يلبغا نائباً على حلب أثناء سلطنة الظاهر برقوق، فقام برقوق سنة 787هـ/ 1385م باستقدامه إلى القاهرة بعد أن علم أنه على علاقة مع سولي بن ذلغادر أحد أمراء التركمان[٨]، فقام بعزله ومصادرة أمواله وسجنه بالإسكندرية، ثم نفاه إلى دمياط سنة 788هـ/ 1386م. إلا أنه أفرج عنه في السنة التالية وأعاده إلى نيابة حلب،[٩] وتزامن مع إرجاعه إلى حلب قيام منطاش (تمربغا الأشرفي) بثورةٍ بعد أن جمع حوله عدداً من الأمراء الأتراك المنفيين

---

(١) كان سنجر الحلبي أول نائب مملوكي على دمشق. ابن طولون: إعلام الورى، ص 4. وانظر: جبران: الأيوبيون والمماليك، ص 282.

(٢) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 440. وانظر: بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 46؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج14، ص 115؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج 2، ص 118.

(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 445؛ النويري: نهاية الأرب، ج30، ص 39؛ اليافعي: مرآة الجنان، ، ج14، ص 115.

(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق، ص 868.

(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص60؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 540. انظر: خرابشة: نيابة طرابلس، ص 56؛ الطراونة: مملكة صفد، ص 196.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 1، ص ص 542- 543.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 1، ص 543. وانظر: السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 62.

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 361. وانظر: طقوش: تاريخ المماليك، ص 358.

(٩) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 261؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق 2، ص 543؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 369، 388؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 130؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 418.

في الشام.[١]

وكان لهذه الثورة عدة مسارات صبت جميعها في مصلحة الثورة وهي :

رفض يلبغا الدعوة التي وجهها له الظاهر برقوق في أوائل سنة 791هـ/ 1388م للسفر إلى القاهرة والاعتذار له بحجة خوفه على حلب من هجوم منطاش أو هجوم التركمان[٢]. ثم قيامه بالاستيلاء على قلعة حلب وقتل نائب حلب السابق سودون المظفري[٣]، وأخيراً مكاتبة منطاش للانضمام إليه[٤].

تمكن يلبغا من ضم منطاش وغيره من الأمراء إلى جانبه وتوجه نحو دمشق فانتصر على قوات برقوق عند قرية برزة إحدى قرى غوطة دمشق[٥] ثم دخل إلى دمشق وسيطر على قلعتها، واتجه مع منطاش نحو القاهرة ودخلاها في الثالث من جمادى الآخرة سنة 791هـ/ 1389م.[٦] ثم بعد ذلك ألقي القبض على برقوق، وأجبر على التنازل عن السلطة وسجن بقلعة الجبل ثم بقلعة الكرك[٧]. وكان الاختلاف على مصير برقوق سبباً للخلاف بين يلبغا ومنطاش، وزاد هذا الخلاف بعد أن استأثر يلبغا في الحكم، فدبر منطاش للقبض عليه وتم ذلك في شوال سنة 791هـ/ 1389م، وقام بسجنه في إحدى قاعات قلعة الجبل،[٨] ثم أرسل ليسجن بالإسكندرية.[٩]

وبعد سجن يلبغا قام منطاش بسجن كثير من الأمراء والمماليك، كما قام بتتبع من هرب منهم، فقد بلغ الأمر أن أصدر نداءً سنة 792هـ/ 1389م قال فيه: "من أحضر مملوكاً من المماليك الظاهرية – برقوق - فله ألف درهم"[١٠]. ونداءً آخر صيغته "يأخذ عشرين ديناراً"[١١].

---

(١) طقوش: تاريخ المماليك، ص 359.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 184.
(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 418.
(٤) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 332؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 388.
(٥) طقوش: تاريخ المماليك، ص 362.
(٦) المصدر نفسه، ص 363.
(٧) انظر حوادث سجن السلاطين.
(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 413. وانظر: الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 240.
(٩) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 484؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 413؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 21.
(١٠) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 283.
(١١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 425.

وبعد عودة برقوق إلى الحكم أُفرِجَ عن يلبغا الناصري، وكلفه بمهمة القضاء على منطاش[١]، إلا أن يلبغا ماطل كثيراً[٢]، وساعد منطاش على الهروب، فقام برقوق بالقبض على يلبغا 793هـ/1391م وسجنه بقلعة حلب ثم أمر بقتله فقتل[٣] وطرحت جثته في بئر بقلعة حلب.[٤]

وبعد هذه الأحداث تم القبض على منطاش وسجن بقلعة حلب سنة 795هـ/ 1393م، وبعد أن مات تحت العقوبة قطع رأسه وحُمِلَ إلى القاهرة حيث عُلِقَ على باب قلعة الجبل ثم عُلِقَ على باب زويلة[٥].

4- انتفاضة علي باي:

كان علي باي من الأمراء الجراكسة الذين حظيوا بعناية الظاهر برقوق، وقد تولى مناصب هامة في الدولة حتى وصل إلى رتبة مقدم ألف رأس نوبة. فقام في شهر ذي القعدة من سنة 800هـ/ 1397م بالتخطيط مع مماليكه لقتل الظاهر برقوق الذي كشف أمره، وأمر بمعاقبته للإقرار بمن معه حتى مات تحت العقوبة[٦].

5- عصيان تنم الظاهري نائب دمشق:

كان تنم أحد أعضاء مجلس الوصاية على أبناء الظاهر برقوق. وكان السبب الرئيسي لقيام تنم بالعصيان هو الصراع بين الأتابك ايتمش رئيس المجلس وسودون أمير آخور، حيث اعتبر أيتمش سكن سودون في الإصطبل السلطاني تعدياً على حقه[٧]، فانتهز فرصة عدم حضور سودون لمجلس السلطان، فاتهمه بمحاولة إثارة الفتن، فتم القبض عليه وأرسل إلى سجن الإسكندرية.[٨]

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 484.
(٢) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 24.
(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 417؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 338؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص 104.
(٤) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص 101.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 460؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 361؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 486.
(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 467- 470؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص ص 329- 330.
(٧) يقول الصيرفي: " لأن عادة من يتحدث في المملكة نيابة عن السلطان – يقصد الاتابك- أن يسكن في الإصطبل .. فما أجاب سودون إلى ذلك". الصيرفي: نزهر النفوس، ج2، ص 10.
(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 539. وانظر: طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 26؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص 409؛ الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 102.

وبعد هذه الحادثة تمكن يشبك عضو مجلس الوصاية من السيطرة على أمور الدولة والتغلب على أيتمش رئيس المجلس بمساعدة المماليك الخاصكية [١]. فكان عصيان تنم احتجاجاً على سيطرة يشبك على الأمور في القاهرة.[٢] فقام في سنة 802هـ/ 1400م بإطلاق المسجونين بقلعة دمشق[٣]. ولكن هذا العصيان الذي قام به سرعان ما تم القضاء عليه وتم القبض على تنم وأيتمش وسجنوا في قلعة دمشق وقتلوا هناك[٤]. وكان ممن سجن معهم أيضاً الأمير تغري بردي الكمشبغاوي ونجا من القتل بشفاعة أخته خوند شيرين أم الناصر فرج[٥].

6- ثورة جكم وثورة شيخ ونوروز:

في سنة 809هـ/ 1406م ثار جكم العوضي الظاهري نائب حلب على السلطان فرج، وأعلن نفسه سلطاناً وتلقب بالملك العادل، فأرسل دعاته إلى نيابات الشام، وخطب له على منابرها. لكن هذه الثورة تم القضاء عليها على يد قرايلك عثمان التركماني وقتل جكم.[٦]

وعلى إثر ثورة جكم تحالف شيخ مع نوروز نائب دمشق وسيطرا على المدن الشامية سنة 811هـ/ 1408م.[٧] وبايعا الخليفة المستعين بالسلطنة وتم تعيين نوروز نائباً على الشام، وانتقل شيخ مع المستعين إلى القاهرة وأصبح أميراً كبيراً، وفُوضَ إليه الحكم في الديار المصرية[٨].

ونتيجة لتولي شيخ هذا المنصب حصل الخلاف بينه وبين نوروز وازداد بعد أن تولى شيخ السلطنة ومن مظاهره رفض نوروز مبايعة شيخ وإبقاء الخطبة باسم الخليفة المستعين،[٩] مما أدى إلى خروج شيخ إلى دمشق على رأس حملة عسكرية وتمكن من القبض على

---

(١) طقوش: تاريخ المماليك، ص 410.
(٢) طقوش: تاريخ المماليك، ص 410. وانظر: طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 26؛ خرابشة: نيابة طرابلس، ص 58.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 555- 556؛ وانظر: طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 26.
(٤) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص ص 1010- 1015؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 54- 57.
(٥) للمزيد أنظر: الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص80، 81، 134؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 590.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج6، ص 11؛ العيني: السيف المهند، ص 249؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 28.
(٧) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 29.
(٨) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص 228، 229، 239. وانظر: العيني: السيف المهند، ص 259.
(٩) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 31؛ طقوش: تاريخ المماليك، ص 442.

نوروز[١]. ثم قتله وأرسل رأسه إلى القاهرة مع أحد الأمراء فعُلِقَ على باب القلعة ثم على بـــاب زويلة ثم نُقِلَ ليعلق في الإسكندرية[٢].

7- عصيان تغري بردي برمش وإينال الجكمي:

عندما قام تغري بردي برمش وإينال الجكمي بعصيانهم ســنة 842هـــ/ 1438م جهــز الظاهر جقمق تجريدة وأرسلها إلى دمشق ثم منها إلى حلب. فتمكن جيش جقمق مـــن هزيمـــة إينال الجكمي و القبض عليه وسجنه في قلعة دمشق، ثم جاء الأمر بقتله وعـــدداً مـــن أعوانـــه، وأرسل رأسه إلى القاهرة وطيفَ به ثم عُلق على باب زويلة[٣].

أما تغري بردي برمش فقد تمكن أهل حلب من إخراجه منها وتوجه إلى طـــرابلس[٤] إلا أن قوات جقمق انتصرت عليه[٥] وتم إلقاء القبض عليه وسجنه بقلعة حلب. ثم جاء مرسوم مـــن جقمق بقتله، فقتل وأرسل رأسه إلى القاهرة، فطيف به فيها عدة أيام ثم علق عدة أيام على بـــاب زويلة[٦].

8- فتنة المماليك الأشرفية:

حدثت سنة 694هـــ/ 1295م في الأيام الأخيرة لسلطنة الناصر محمد الأولى، وكـــان السبب الرئيسي لقيامها مقتل الأشرف خليل على يد بيدرا وحسام الدين لاجين، وشـــمس الـــدين قراسنقر، وسلطنة بيدرا، فقام مماليك الأشرف خليل بالقبض على الامراء الذين قتلـــوا أســـتاذهم الأشرف وسجنوهم في خزانة البنود ثم عاقبوهم بعقوبات مختلفة حيث قطعت أيـــديهم وأرجلهـــم وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة في أعناقهم وطيف بهم في القاهرة والفسطاط [٧].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 13.
(٢) العيني: السيف المهند، ص 326. وانظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 14.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 194، 208، 214، 215؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 55، 66، 67، 72.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص ص 208- 209.
(٥) المقريزي: السلوك، ج4، ص3، 1153.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 316.
(٧) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص ص 138- 139؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص ص 366- 367؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 270؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص ص 331- 332؛ ابـــن الفـــرات: تاريخ، مج8، ص 173.

هـ- عربان مصر والشام

1- عربان مصر:

كان علاقة المماليك مع عربان مصر علاقة مضطربة[١]، وخلال حكم المماليك قامت الكثير من الثورات وحركات العصيان فأرسل المماليك تجاريد منظمة تتبعت بالقتل والسجن زعماء قبائل العربان وأفرادها، ومن الأمثلة على ذلك:

ثورة حصن الدين ثعلب[٢]: ثار حصن الدين سنة 651هـ/ 1253م، أثناء حكم المعز أيبك. وكان الهدف من ثورته تعويق قيام دولة المماليك[٣]، فقام اشتباك عسكري بينه وبين المماليك سنة 652هـ/ 1254م[٤] تم بعده القبض على حصن الدين وسجنه بالإسكندرية[٥].

محمد بن واصل الملقب بالأحدب شيخ عشيرة عرك: قام بالخروج على طاعة المماليك، واخذ غلال الفلاحين، وعجز الولاة عن مقاومته، ولكن تم القضاء على حركته خلال تجريده قادها الأمير شيخو إلى الصعيد، حيث تم القبض على عدد كبير من جماعته، ولكن الأحدب تمكن من الهروب[٦].

بدر بن سلام زعيم عربان البحيرة: قام بثورته ضد المماليك سنة 782هـ/ 1380م زمن المنصور علي، فأرسل برقوق – أمير كبير – تجريدة قامت بقتل أعداد كبيرة من أتباع ابن سلام، وتم أسر بناته وأبناءه، وتم وضع من أسر من الرجال والنساء في السجون، أما بدر بن سلام فقد تمكن من الهروب.[٧]

---

(١) حول الأسباب السياسية والاقتصادية التي شكلت العلاقة بين الطرفين. انظر: العبادي: قيام دولة المماليك، ص 130؛ طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 267؛ آشتور: التاريخ الاقتصادي، ص 375.

(٢) الشريف حصن الدين ثعلب: ينتهي نسبه إلى جعفر بن ابي طالب كان من الأشراف الأغنياء بالصعيد. انظر: المقريزي: السلوك، ج 1، ق2، ص 387؛ النويري: نهاية الأرب، ج29؛ حاشية (428).

(٣) طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص 267؛ العبادي: قيام دولة المماليك، ص 131. وانظر: شعار "نحن أصحاب البلاد" الذي رفعه حصن الدين. عند المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 387.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 428؛ العبادي: قيام دولة المماليك، ص 132.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج 29، ص 439، ج30، ص 126؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 387؛ العيني: عقد الجمان، ج1، ص 108؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 243.

(٦) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص ص 911- 912؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 69.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 266- 269. وانظر: المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص ص 409 - 410.

وغير هذه الثورات المذكورة، توالت الثورات من عربان مصر ضد المماليك، وتوالت التجاريد العسكرية من المماليك للقضاء على هذه الثورات وأضعاف حركة العربان.

2- البدو والعشير[(١)] في الشام:

كانت العلاقة بين البدو والعشير والمماليك علاقة عداء، لكنها لم تصل إلى حد علاقة عربان مصر بالمماليك[(٢)]. فقد كان بدو الشام تحت زعامة أخذت الصفة الرسمية منذ العصر الأيوبي واستمرت خلال العصر المملوكي، وهذه الزعامة كانت لبني ربيعة من آل الجراح من قبيلة طيئ.[(٣)]

كما وجدت علاقات ودية ولكنها لم تأخذ الشكل الرسمي بل كانت تبعاً لقدرات نواب الشام على استمالة مقدمي العشير أو زعماء القبائل[(٤)].

أما مظاهر العداء بين البدو والعشير وبين المماليك فتمثل بقيام المماليك ممثلين بنواب المدن الشامية بحملات لتأديب البدو منها:

- ما قام به نائب غزة الأمير قبلاي بغرض تأديب قبيلة جرم[(٥)]. وهو القبض على زعيمها (أدى) وأربعة من أقاربه وإرسالهم ليسجنوا في القاهرة ثم قتلهم. ثم مهاجمة غزة مرة أخرى وقتل أخو (أدى) بعد أن ثار احتجاجاً على ما قام به المماليك[(٦)].

وعدا عن سجن زعيم قبيلة جرم، فقد تم سجن عدداً كبيراً من زعماء القبائل مثل زعماء آل بشارة في صفد[(٧)]، وزعماء بني عقبة في الكرك[(٨)].

---

(١) العشير أو العشران: هم أحفاد البدو الذين امتهنوا الزراعة وكانوا في بعض مناطق سوريا وفلسطين جزءاً هاماً من الفلاحين، وقد حافظوا على تنظيمهم العشائري وعينت لهم الدولة المملوكية زعماء (مقدمين). انظر: آشتور: التاريخ الاقتصادي، ص 374.

(٢) آشتور: التاريخ الاقتصادي، ص 375.

(٣) الحياري: الإمارة الطائية، مقدمة الكتاب.

(٤) مثال على ذلك العلاقة بين ابن الحنش مقدم البقاع وسيباي نائب الشام. انظر: العلبي: دمشق، ص ص 353- 354.

(٥) جرم: أقوى قبائل فلسطين، عاشت في منطقة غزة ومرتفعات الخليل. آشتور: التاريخ الإقتصادي، ص 374.

(٦) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص ص 806- 807.

(٧) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص ص 496- 497؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 454؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص 268؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص222؛ الطراونة: مملكة صفد، ص ص 220- 222.

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2، ص 461؛ البخيت: مملكة الكرك، ص 41. قبيلة عقبة: كانت تقطن في الكرك والشوبك كما تنقلت من جنوب الأردن إلى حدود الحجاز. آشتور: التاريخ الاقتصادي، ص 374.

كما سجن عدد من الأمراء العرب (آل ربيعة) بسبب الخروج عن طاعة المماليك والاتصال بالتتار أو بسبب النزاع مع النواب والأمراء المماليك في الشام. وفيما يلي أشهر من سجن من الأمراء العرب:

الأمير زامل بن علي بن حذيفة من (آل علي)(١) : بعد تولي الظاهر بيبرس السلطنة عين عيسى بن مهنا أميراً على العرب.(٢) بعد وفاة ابن عمه علي بن حذيفة(٣)، إلا أن ابنه زامل اعتبر نفسه أحق بالإمارة من عيسى فقام بالثورة على بيبرس، إلا أن عساكر المماليك قاموا بالقبض عليه ونقله إلى قلعة عجلون ثم إلى قلعة الجبل حيث سجن فيها.(٤) ولم يلبث طويلاً في السجن حيث تم الإفراج عنه وعقد مصالحة بينه وبين عيسى بن مهنا. (٥)

ولكن النزاع ظهر مجدداً بعد قيام زامل بتجاوزات سياسية وأمنية حيث هاجم بيوت بني عيسى، واتجه نحو التتار في العراق.(٦) فأمر بيبرس بالقبض عليه وسجنه بقلعة الجبل إلى أن توفي سنة 670هـ/ 1271م.(٧)

الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى: قام الأمير مهنا بن عيسى بالإعتراض والتذمر أمام الأشرف خليل إثر مزاح تم بينهما سنة 683هـ/ 1284م أثناء زيارة الأشرف للشام، فتغير عليه الأشرف وتغيظ منه، وتم القبض على مهنا بعد زيارة أخرى قام بها الأشرف للشام،(٨) كما قبض على ابنه موسى وإخوته محمد وفضل(٩) ووهبه(١٠)، ونقلوا إلى دمشق(١١) ثم إلى القاهرة وسجنوا

---

(١) انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 39، 64؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص12. حيث ورد الاسم كما هو في المتن وعند الحياري: الإمارة الطائية، ص 104. ورد: "زامل بن علي بن حديثة".
(٢) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 291؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص19.
(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 39؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 121. ابن الفرات، تاريخ، مج8، ص ص 12- 13.
(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 535.
(٥) المصدر نفسه، ص 535.
(٦) المصدر نفسه،: ج1، ق2، ص 536.
(٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص 40. وانظر: المقريزي: السلوك: ج1، ق2، ص 536.
(٨) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 158، 159، ص 162- 164.
(٩) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 785. وانظر: أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 364؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج1، ص 160؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 230.
(١٠) وهبة: أصغر إخوة مهنا. أفرج عنه الأشرف في حمص بشفاعة الأمراء لأن بيوت آل مهنا ليس فيها أحد يتولى شؤونها. انظر: العيني: عقد الجمان، ج3، ص 164، وحاشية رقم (1).
(١١) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص ص 784- 785؛ ابن الفرات: تاريخ، مج 8، ص 156.

في قلعة الجبل[١]. حتى أفرج عنهم كتبغا سنة 694هـ/ 1294م،[٢] وفي رواية أخرى أفرج عن مهنا سنة 693هـ/ 1293م بأمر من الناصر محمد[٣].

الأمير فياض بن مهنا: كان على علاقة مع التتار[٤] ، كما كان يقوم باعتراض القوافل ونهبها.[٥]، لذلك قام المماليك بالقبض عليه وسجنه في قلعة الجبل سنة 743هـ/ 1342م [٦]، وسجن في المرة الثانية في الإسكندرية[٧]، لأنه أغلظ في القول أمام السلطان الناصر حسن[٨].

الأمير زامل بن موسى بن مهنا: تولى إمرة العرب مناصفة مع نعير بن حيار بن مهنا في سنة 781هـ/ 1379م[٩]، وكانت له علاقة طيبة مع الظاهر برقوق، إلا أنه تم القبض علي زامل وسجنه بقلعة الجبل إثر صراع حصل بين آل الفضل ونائب دمشق أثناء وجوده بالقاهرة[١٠].

و- أشراف الحجاز وحكام اليمن

بعد تولي الظاهر بيبرس السلطنة أخذ على عاتقه ضم الحجاز مدفوعاً بأسباب سياسية ودينية، واقتصادية تتمثل بالتحكم بتجارة البحر الأحمر ومن ثم التجارة العالمية[١١].

وبسبب الصراع الذي كان يتم بين الأشراف في الحجاز وتأثير هذا الصراع على أمور الحج وعلى النشاط التجاري في المنطقة قام المماليك بسجن بعض هؤلاء الأشراف منهم:

أبناء الشريف أبي نمي (شريف مكة)[١٢]: قام الناصر محمد بالقبض على رميثة وحميضة ابنا

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 158؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 364؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 230؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 213.
(٢) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 233؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج1، ص 178؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 213.
(٣) ابن الفرات: تاريخ، مج 8، ص 185.
(٤) أنظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 666.
(٥) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 341. وانظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 563.
(٦) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 628.
(٧) المصدر نفسه، ج2، ق3، ص 770.
(٨) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ق2، ص 341.
(٩) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج8، ص8. حول مطابقة الاسم أنظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 249.
(١٠) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص8. وانظر: المقريزي: السلوك، ص 396.
(١١) طقوش: تاريخ المماليك، ص ص 107- 108.
(١٢) أبو نمي: محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة بن مطاعن. يتصل نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما. توفي سنة 701هـ/ 1301م. انظر: ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 242.

أبي نمي إثر النزاع بينهما[١] سنة 701هـ/ 1301م وسجنهما في الإسكندرية[٢] حتى سنة 703هـ/ 1303م ؛ حيث أفرج عنهما وأعيدا إلى إمرة مكة وعزل أخويهما عطيفة وأبي الغيث وسجنا بسبب عجزهما عن تسيير شؤون الحجاج[٣].

ولكن النزاع عاد بين رميثة وحميضة[٤] فتم القبض على رميثة ونقله إلى القاهرة وسجنه فيها سنة 719هـ/ 1319م.[٥] ويرجح أنه أفرج عنه لكنه بقي فيها تحت الإقامة الجبرية [٦] إلى أن هرب منها في نفس السنة. ثم قبض عليه وسجن في الجب وبقي مسجوناً حتى سنة 720هـ/ 1320م، حيث أفرج عنه.[٧]

عنان بن مغامس[٨] **شريف مكة**: تم القبض على عنان وثلاثة من أحفاد أبي نمي سنة 795هـ/ 1392م وسجنوا في أحد أبراج قلعة الجبل[٩]، ثم نقلوا إلى الإسكندرية [١٠]. وبَقُوا فيها حتى أواخر سنة 804هـ/ 1401م، حيث أُفرج عنهم ونقل عنان إلى القاهرة ومرض ومات فيها سنة 805هـ/ 1402م[١١].

علي بن حسن بن عجلان (شريف مكة): تم القبض عليه مع أخيه إبراهيم في سنة 846هـ/ 1442م على يد تمراز البكتمري مباشر جدة وآقبردي الظاهري مقدم الأجناد المقيمين بمكة، وتم نقلهما إلى مصر وسجنا في قلعة الجبل مدة ثم نقلا إلى الإسكندرية وبعدها إلى دمياط[١٢] وبقيا

---

(١) قامت سياسة المماليك في الحجاز على إسناد الإمرة إلى إثنين من الأشراف في فترة واحدة خشية من الانقلاب على الدولة. طقوش: تاريخ المماليك، ص 265. وغالباً ما كان يتم عزل الأميرين وسجنهما معاً.

(٢) العيني: عقد الجمان، ج4، ص 300. وانظر: ابن أيبك: كنز الدرر، ص 124؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 242.

(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص ص 948- 949. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج4، ص 300.

(٤) للمزيد أنظر: طقوش: تاريخ المماليك، ص 264.

(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 185.

(٦) أنظر: أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 431. حيث يقول بعد الإفراج عن رميثة " وأكرم غاية الإكرام".

(٧) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 202.

(٨) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي. انظر ترجمة واسعة له عند ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص ص 110- 114.

(٩) ابن حجر: إنباء الغمر: ج3، ص ص 331- 332 و ج5، ص 112، 114. وانظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 465.

(١٠) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 379.

(١١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص114. وانظر: المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص1097؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 664.

(١٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص47، 355.

هناك إلى أن توفيا فكانت وفاة علي سنة 853هـ/ 1449م " مسجوناً مطعوناً"[١] وكانت وفاة إبراهيم سنة 855هـ/ 1451م " غريباً كأخيه"[٢].

أشراف المدينة من ذرية الشريف جماز[٣]: سجن عدد من أشراف المدينة على أثر نزاعات كانت تتم بينهم ومن الأشراف الذين سجنوا:

هيازع بن هبة الحسيني الذي سجن في قلعة الجبل قبل سنة 788هـ/ 1386م وبقي مسجوناً نحو سنة ونصف، ثم أُفرِجَ عنه مدة ثم سجن في الإسكندرية[٤] وتوفي فيها[٥]. كما سجن ثابت بن نعير وجماز بن هبة: أما الأول فسجن في الإسكندرية سنة 788هـ/ 1386م بأمر من الظاهر برقوق[٦] .

أما عن سجن جماز بن هبة فقد سجن في قلعة الجبل في سنة 795هـ/ 1396م مع عنان بن مغامس وأقاربه كما نقل معهم إلى الإسكندرية وبقي في السجن إلى أن أفرج عنه معهم سنة 804هـ/ 1401م [٧].

مقبل بن نخبار أمير ينبع: تم القبض عليه بأمر من الأشرف برسباي سنة 828هـ/ 1424م وسجن بقلعة الجبل ثم أرسل إلى الإسكندرية وبقي مسجوناً هناك إلى أن تُوفِيَ في السجن سنة 830هـ/ 1426م.[٨]

الملك المجاهد صاحب اليمن: تم القبض عليه بعد محاولة الاستقلال بملك بمكة[١]، وكان ذلك

---

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص 282؛ ووجيز الكلام، ج 2، ص 641.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ص 355. وانظر: ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج2، ص 352. - يرجح أن وجودهما في دمياط كان نفياً ولم يسجنوا فيها حيث يقول ابن تغري بردي أن الظاهر جقمق سجنهما بالإسكندرية مدة " ثم افرج عنهما ووجهما إلى ثغر دمياط". انظر: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 75.

(٣) جماز بن شيحة بن هيثم الحسيني المدني يتصل نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. انظر: الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 173. - ومن ذرية جماز بن شيحة: هيازع وجماز أبناء هبة الله بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة. وثابت بن نعير بن منصور بن جماز، وعلي بن عطية بن منصور. انظر مطابقة النسب من خلال ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 224؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 173.

(٤) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 542؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 128؛ ابن إياس: بدائع الزهور: ج1، ق2، ص 369.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج 2، ص 247 وحاشية (1).

(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 545؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 371.

(٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص 332 و ج5، ص 114.

(٨) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 76، 126.

سنة 751هـ/ 1350م، حيث تم سجنه بقلعة الكرك وتم الإفراج عنه سنة 752هـ/ 1351م.(٢)

ز - الأمراء والمماليك (الأجناد)

شكل الأمراء والمماليك الغالبية العظمى من السجناء بشكل عام، ومن سجناء القضايا السياسية بشكل خاص، واختلفت أسباب سجنهم فكان من بينها أسباب تتعلق بشخص السلطان الحاكم والنهج المتبع تجاه الأمراء والمماليك، وأسباب أخرى سياسية تتعلق بأحداث طارئة أو جرائم وثورات قام بها هؤلاء الأمراء.

وقد تنوع نهج السلاطين المستخدم تجاه الأمراء بين مراقبة، وتحايل عليهم، وانتهاز الفرص المواتية للقبض عليهم وسجنهم، أو نفيهم، أو القضاء عليهم بالتعذيب أو القتل.

ومن خلال تتبع سير هؤلاء السلاطين لا نجد سلطاناً واحداً لم يقم بسجن أو بقتل بعض أمرائه. ومن هؤلاء المظفر قطز الذي قبض على عدد منهم، وقد وصف العيني ذلك بقوله: "وأمسك من الأمراء من خاف غائلته، وحذر مخالفته، وكانوا قد تفرقوا في الصيد، فصادهم بمصائد الكيد، ولم ينجهم من يده أحد"(٣) .

وعدا عن قطز فقد قام الظاهر بيبرس بالقبض على عدد من الأمراء. وقد وَصَفَ ابن كثير ذلك بقوله: "ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الامراء حتى مهد الملك"(٤).

كما تميز الظاهر برقوق بالحذر الشديد تجاه الأمراء(٥)، وكان من عادته الصبر على أعدائه من الأمراء فلا ينتقم منهم مباشرة "حتى يتهيأ له فيهم ما يوجب العقوبة فيأخذهم بذلك الذنب، ولا يظهر أنه انتقم لنفسه".(٦) وقد اتبع هذا النهج مع آقبغا المارداني نائب الوجه القبلي حين سجنه في خزانة شمائل " في صورة أنه كثر ظلمه وعسفه".(٧)

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 52.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 258.
(٣) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 221.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 252.
(٥) ضومط: الدولة المملوكية، ص 377.
(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 734.
(٧) المصدر نفسه، ج3، ق2، ص 734.

واتبع برقوق سياسية إبعاد الأمراء خاصة رفاقه ونظرائه، خوفاً من منافسته على الحكم، ومن الأمثلة على ذلك قيامه بسجن كمشبغا الحموي في الإسكندرية ثم ابتهاجه بموت كمبشغا لأنه "آخر من بقي من الأمراء اليلبغاوية"(١)

أما الناصر فرج بن برقوق فقد انتهج طريقة القتل الجماعي لمن خالفه من الأمراء والمماليك. فقد أورد ابن إياس حول ذلك أن الناصر فرج كان يسكر إلى منتصف الليل وينزل إلى الحوش ويستعرض مماليك أبيه المسجونين وهم مقيدين فيذبح في كل ليلة حسب اختياره. ومن ذلك انه قام بذبح مائة وعشرين مملوكاً في ليلة واحدة. (٢)

ويأتي تعليل هذه التصرفات على لسان المؤيد شيخ حيث يقول: "ما صبر أحد من الملوك صبراً، كصبر الملك الناصر على مماليك أبيه، فإنه ما كان يقتل الواحد فيهم، حتى يكون قد سامحه مراراً عديدة، وهم يغدرونه"(٣) .

ثانياً: سجناء القضايا الإدارية

تعددت الإشارات في المصادر المملوكية إلى عمليات سجن أشخاص بسبب جرائم أو تجاوزات إدارية، وقد ارتبطت عقوبة الجرائم الإدارية إلى حد كبير بعملية المصادرات، وقد أصبحت هذه المصادرات ظاهرة إدارية ماثلة للعيان ومن هذه القضايا:

أ- التزوير

جرت عمليات تزوير عديدة قام بها موظفو الدولة كالكتاب، بإيعاز من كبار الموظفين، واختلفت عقوبة منفذي التزوير عن عقوبة القائمين عليها أي المستفيدين منها، كما اختلفت تبعاتها وآثارها.

ومن الأمثلة على ذلك قيام عز الدين بن بكور أحد نواب الشافعية بتزوير مسطور، ولما اكتشف أمره عوقب بالضرب والتشهير ثم السجن في المقشرة.(٤)

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 523. اليلبغاوية نسبه إلى الأمير يلبغا العمري الخاصكي أستاذ برقوق. وانظر: ترجمة كمشبغا عند الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 27.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 814، 820.
(٣) المصدر نفسه، ج1، ق2، ص 820.
(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص 350.

وكان تزوير الوثائق غالباً ما يتم بواسطة الموقعين(١) الذين يأخذون الأموال مقابل ذلـك، وإذا انكشف أمر التزوير يحملون وزر العقوبة، فقد أمر الأشرف قايتباي أن يضرب بالمقـارع ابن المصري أحد موقعي الأمراء بعد أن زور كتباً على لسان السلطان، أمـا المـستفيد الـذي زورت باسمه الكتب فقد تم نفيه(٢). وأمر الناصر محمد بتكحيل وسمل عيني "الموقع" علاء الدين علي بن سعد الفارقي لكثرة ما زور من مراسيم، ولكثرة الأموال التي حصّلها من وراء ذلـك.(٣) كما قطعت يد كاتب بدمشق يسمى السراج عمر القفطي لقيامه بتزوير مرسـوم بالولايـة لأحـد الأمراء بدمشق ويسمى شهاب الدين.(٤)

وفي الفترة المملوكية كانت كثيراً من عمليات التزوير تهدف إلـى إفـساد العلاقـة بـين السلاطين والأمراء، ومن ذلك قيام ابن الدربندي سنة 821هـ/ 1418م بتزوير رسـالة علـى لسان جقمق الدوادار موجهة لأمير التركمان قرايوسف، فأخذها ابن الدربنـدي وأرسـلها إلـى السلطان المؤيد شيخ مدعياً انه حملها بتكليف من الدوادار ليرسلها إلى قرايوسف(٥).

وإحكاماً في التزوير كتبت باللغة الفارسية، بماء الذهب، وحفظت في اسطوانة من الحديـد مجوفة. فطلب الدوادار الخراطين فقال أحدهم: بأنه خرطها لشخص أعجمـي فـأمر بإحـضار الأعجمي فعرفه الخراط، ثم تتبع من يكتب بالأعجمية، فعرف أنه كاتب في البيمارستان فاعترف بقيامه بالكتابة بتكليف من ابن الدربندي، فقام الدوادار بتغريق ابن الدربندي في النيل، في حـين مات الكاتب في البيمارستان(٦).

ت - تجاوزات خاصة بالقضاة

عوقب بعض القضاة بالسجن والتشهير نتيجة فتاوى خاطئـة، أو تقـصير، أو تجـاوزات شخصية، ومن الأمثلة على سجن القضاة بسبب إصدار فتاوى خاطئة:

سجن القاضي شهاب الدين الأنصاري أحد نواب الحنفية ببولاق لتزويجه امرأة وهي على عصمة رجل آخر، فقد ضُرب ثم أخرج من القلعة محسور الرأس ماشياً، وقيل راكباً على جمل

---

(١) الموقعون: هم الذين يكتبون المكاتبات والولايات في ديوان الإنشاء السلطاني. دهمـان: معجـم الألفـاظ التاريخية، ص 147. وحسب ما في المتن هناك موقعين يعملون لدى كبار الامراء .
(٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 289.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 132.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 286.
(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 426؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص ص 311- 312.
(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص ص 426- 427؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص ص 311- 312.

والصداق ملصق بظهره حتى أوصل إلى المقشرة فسجن فيها(١). كما ضرب القاضي شمس الدين بن خلف أحد نواب الشافعية، ثم سجن في المقشرة "لريبة ظهرت في شهود مجلسه"(٢).

أما التجاوزاتُ الشخصيةُ للقضاة التي أدت إلى سجنهم فمنها الاعتداء على الأوقاف، فقد سُجِنَ القاضي ولي الدين السفطي في سجن المقشرة بسبب ثبوت دعوى قدمها الزيني قاسم الكاشف بتبعية حمام له للوقف وبأن السفطي اكرهه على بيعه له(٣).

ج- التعدي على أموال الدولة وظاهرة المصادرات

إن المتتبع لحوادث القبض على الأمراء وموظفي الدولة يلاحظ ارتباط عمليات سجنهم والترسيم عليهم، أو نفيهم ومصادرة أملاكهم بالفساد المالي الذي كان يمارسه رجال الدولة.

ولقد شرعت المصادرات في الأصل كعقوبة، وانحصر معناها في الاستيلاء على الأموال أو العقارات أو المحصول بالقوة عقوبة لمالكها على جرم ارتكبه أو مال متأخر عليه(٤). ومن الوجهة السياسية كانت المصادرة أحياناً تعتبر عقوبة أصلية، وغالباً ما تعتبر تكميلية أو جوازية يقررها السلطان تبعاً لعقوبة أصلية أخرى كان الهدف منها ردع الجاني كالقتل والسجن والنفي. أما من وجهة النظر الاقتصادية كانت الدولة تعتبرها نوعاً من التدابير لتوفير السيولة المالية اللازمة لمواجهة الأحداث الطارئة(٥). فإجراء المصادرة لسد نفقات الحروب مثلاً لا يعتبر عقوبة.

وكثيراً ما كان المماليك يلجأول إلى مصادرة المخالفين أيام الحروب والمجاعات والاحتفالات، وهذا لا ينفي أن المصادرات أيضاً كانت تتم في كل وقت وحسب رغبة السلاطين.

ولإحكام الطوق على المصادرات كان يتولى هذه العملية أحد كبار الموظفين مثل:

---

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص 267.
(٢) المصدر نفسه، ص 267.
(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 175.
(٤) الشربيني: مصادرة الأملاك، ص 7.
(٥) المصدر نفسه، ص ص 62- 63.

النشو[1] الذي تولى وظيفة ناظر الخاص زمن الناصر محمد، وأعطي صلاحيات واسعة من قبل الناصر بسبب قدرته على معرفة مصادر تحصيل اكبر قدر من الأموال عن طريق المصادرة وغيرها. فما أن تسلم النشو وظيفة ناظر الخاص سنة 733هـ/ 1322م حتى "شرع في فتح أبواب الظلم والمصادرات"[2] فأرسل أخوه للكشف على الدواليب في الوجه القبلي واستدعى ولاة على المناطق مثل بهنسا والغربية والمنوفية وأمر بمصادرتهم[3]. وكانت عادته في كل ليلة هي الاجتماع بإخوته وصهره ومن يثق بهم للنظر فيما يحدثه من مظالم في سبيل تحصيل الأموال، كما كانت عادتهم تثبيت ذلك وتوثيقه، فحين قرر تحصيل الأموال من اقطاعات الامراء والأجناد وأراضي الأوقاف والاحتياط على التقاوي السلطانية وغير ذلك. "رتب أوراقاً تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف ألف دينار عيناً وقرأها على السلطان"[4] الناصر محمد.

وقد أدى إطلاق يد النشو إلى تماديه في تطبيق الكثير من مظاهر الظلم والاضطهاد ضد "الطبقتين الدنيا والوسطى في المجتمع المملوكي" [5]. وقد أشار المقريزي إلى ذلك بقوله: "أسرف النشو في الظلم بحيث قل الجالب للبضائع، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطان منه يتزايد خاف النشو العجز، فرجع عن ظلم العامة إلى التعرض إلى الخاصة"[6]. ولم يقم الناصر بأي إجراء ضده إلا سنة 740هـ/ 1339[7] حيث ألقى القبض عليه وعلى أقاربه وحواشيه وأمر بمعاقبتهم للإقرار بما عندهم من أموال،[8] حتى مات النشو تحت العقوبة.[9]

---

(١) النشو: شرف الدين عبد الوهاب التاج فضل الله (القبطي) كان أبوه يكتب عند بكتمر الحاجب وينوب عنه، تولي وظائف مختلفة منها مباشرة ديوان الأمير أنوك بن الناصر محمد ثم عين ناظر خاص، قيل أنه أكره حتى أظهر الإسلام . انظر: المقريزي: السلوك: ج2، ق2، ص 505.

(٢) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 119.

(٣) المرجع نفسه، ص ص 119- 121.

(٤) المقريزي: السلوك:، ج2، ق2، ص 473. وانظر: اليوسفي: نزهة الناظر، ص 419. التقاوي: ورد عند دهمان تعريف للتقاوي المُخَلَّدة وهي المؤن المحفوظة لأجل زراعة الأرض في العام القادم. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 47.

(٥) حياة حجي: أحوال العامة، ص 314.

(٦) المقريزي: السلوك:، ج2، ق2، ص 473.

(٧) للمزيد: أنظر: اليوسفي: نزهة الناظر، ص 308، 311؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 475- 485؛ حياة حجي: أحوال العامة، ص 316.

(٨) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 485، 478.

(٩) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 486؛ حياة حجي: أحوال العامة، ص 331.

إضافة إلى النشو كان ابن السلعوس[١] ممن أعطوا صلاحيات في سجن ومصادرة الكثير من موظفي وأعيان الدولة . فقد تولى ابن السلعوس الوزارة للأشرف خليل[٢]، وأعطاه الاشرف صلاحيات واسعة، فتكبر على الأمراء وأوقع بين الأشرف ونائبه الأمير بدر الدين بيدرا وأكثر من المصادرات.[٣]

كان مقتل الاشرف خليل على يد بيدرا وتولى الناصر محمد الحكم وإسناد وظيفة نائب السلطنة لكتبغا، ووظيفة الوزارة لعلم الدين سنجر الشجاعي،[٤] من أهم العوامل التي مكنت من القبض على ابن السلعوس وسجنه[٥]. حيث استقدم ابن السلعوس من الإسكندرية وكان قد خرج إليها لمصادرة أعيانها وذوي الأموال فيها، وأدخل على كتبغا في القلعة سنة 693هـ/ 1293م ثم سلمه بدوره للوزير سنجر الشجاعي[٦] فاحتاط الشجاعي على أملاك ابن السلعوس ورسم على أولاده وأقاربه وحاشيته.[٧] وفي سبيل تحصيل الأموال سلمه لأشد أعداءه الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري شاد الصحبة فضربه ضرباً شديداً بالمقارع حتى " بلغ في مرة واحدة ألفاً ومائة ضربه"[٨].

وذكر المقريزي أن ابن السلعوس نقل إلى شاد الدواوين الأمير بدر الدين لؤلؤ المسعودي فسجنه في المدرسة الصاحبية، فكان يضربه يوميا ليعترف بما عنده من أموال "ويخرجه من المدرسة إلى القلعة وهو على حمار، فيقف له أراذل الناس في طول الطريق ومعهم المداسات – الأحذية – المقطعة ويقولون له: يا صاحب ! علم لنا على هذه، ويسمعونه كل مكروه، فينزل به من الخزي والنكال ما لا يعبر عنه" [٩].

---

(١) ابن السلعوس: هو شمس الدين محمد بن عثمان التنوخي كان احد تجار دمشق وولي الحسبة فيها ثم أصبح ناظر ديوان الأشرف خليل بالشام في سلطنة المنصور قلاوون. انظر: النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 157، 188؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص 424.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 377؛ الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص 146.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص 424؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 191، 192، 172؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 174.

(٤) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 366؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 331.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 272؛ ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص 176.

(٦) المقريزي: السلوك، ج1، ق 3، ص 797؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 273؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص 373.

(٧) ابن الفرات: تاريخ، مج8، ص176؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 379. - الحوطة: الإحصاء للأموال لدفع الضرائب عنها، دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 65. وغالباً كان إيقاع الحوطة لمصادرة الأملاك.

(٨) المقريزي: السلوك: ج1، ق3، ص 797.

(٩) المصدر نفسه، ج1، ق3، ص ص 797- 798.

وقد ظل ابن السلعوس في المدرسة حتى مات.[١] وقد انتن جسده من شدة الضرب[٢] وقيل أنه ضُرِبَ بعد موته ثلاثة عشرة مقرعه ولم يُعْلَمْ أنه ميت.[٣]

ثالثاً: سجناء القضايا الاجتماعية

أ- القتل:

كانت عقوبة القتل والسجن والتعذيب تنفذ بحق مرتكبي جرائم القتل، ففي سنة 662هـ/ 1263م قامت امرأتان وعبدين بعدة جرائم في القاهرة ،تمثلت بإخراج إحداهن الشابة بكامل زينتها لخداع من يراها واستدراجه للذهاب معها، ثم سرقة أمواله وبالتالي قتله على يد العبدين[٤]. ولما اكتشف أمرهم تمت معاقبتهم بالسجن والتسمير.[٥]

وفي حدود سنة 775هـ/ 1373م ظهرت امرأة عرفت بالخناقة[٦] . وكانت تسكن في تربة في الصحراء، اشتركت مع زوجها في قتل العديد من الأطفال؛ حيث كانت تسرقهم وتأخذ ما عليهم من ملابس فاخرة وحلي ،وعند انكشاف أمرهما عوقبا بالشنق على باب النصر[٧].

ومن الطبيعي أن المصادر لم تشر إلى حالات القتل الفردية للعامة، بل اهتمت بالطبقة الخاصة أو القضايا العامة. فعندما قتل ابن أحد أعيان القاهرة على يد جارية سوداء لأهله ذكر بأن عقوبة الجارية كانت القتل بالطريقة التي قتلت بها الصبي وهي التغريق [٨].

ب- السرقة:

شهد العصر المملوكي حوادث سرقات كثيرة أشارت إليها المصادر نظراً لشهرة اللصوص، سواء كانوا أفراداً أم جماعات، وقد طغت أخبار تعذيب هؤلاء اللصوص على بيان أماكن سجنهم.

---

(١) الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص 151؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 139.
(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص 424.
(٣) المقريزي: السلوك: ج1، ق3، ص 798؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 273.
(٤) ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة 61. أ.؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 535. انظر: الحادثة بشكل مختلف عند المقريزي: السلوك:، ج2، ق3، ص 300.
(٥) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 552؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج2، ص 293.
(٦) أطلق لقب الخناقة على أكثر من امرأة ممن ارتكبن جرائم القتل. انظر: ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة 61.أ؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 800.
(٧) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 222؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 128.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 336.

ومن قضايا اللصوص الفردية،ما كان يقوم به شخص يُسَمَّى: الكريدي ، فقد اشتهر بالإضافة إلى السرقة بالفجور، وقبض عليه سنة 680هـ/ 1281م وتم تسميره، فسمر على جمل وطيف به عدة أيام بالقاهرة والفسطاط ،ولم يمت أثناء ذلك حيث لم يمنع عنه الطعام ولا الماء، وكانت وفاته داخل السجن بُعيد يومين[١] من فك المسامير عن جسمه.

وشهد العصر المملوكي تنظيم اللصوص لأنفسهم في جماعات أُطلق عليها اسم: المنسر أو المناسر، كان أفرادها يدخلون القاهرة شاهرين ورافعين السلاح ويقومون بنهب الأسواق ذات البضائع الغالية الثمن ويخرجوا سالمين[٢]. ومن ذلك ما حصل سنة 788هـ/ 1386م حيث دخل نحو ستين من المناسر إلى القاهرة حيث تدلوا من إحدى جهات سورها قرب باب البرقية[٣] واتجهوا نحو سوق الجملون وسط القاهرة ونهبوا حوانيته خاصة حوانيت البزازين – أي بائعي الحرير - [٤].

وقد تولى والي القاهرة حسام الدين الكوراني تتبع أفراد المنسر؛ حيث قبض على عشرين منهم[٥] وقيل أقل، وأمر بتسميرهم خاصة بالقباقيب والطواف بهم في القاهرة، ثم أمر بتوسيطهم[٦].

وفي سنة 744هـ/ 1343م قام المناسر بكبس عدة بيوت للأغنياء وكتبوا أوراقاً يطلبون مالاً منهم – وفيها تهديد حيث يقولون – :"ومتى لم يبعث لنا ذلك كنا ضيوفك"[٧]. ولكن والي القاهرة نجح في إفشال مخطط المنسر ،حيث وضع لهم كميناً في إحدى الدور وتمكن من القبض على ثلاثة منهم ، ثم ظفر بجماعة آخرين منهم فأمر بتسميرهم والتشهير بهم[٨].

ج- البغاء:

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، مج7، ص 212.
(٢) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 145.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 370.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 369. وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 222 حيث سماهم الحرامية.
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 222.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 370.
(٧) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 644.
(٨) المصدر نفسه، ج2، ق3، ص 644.

شاعت ظاهرة البغاء في العصر المملوكي وقام السلاطين بسجن أعداد من البغايا، ففي سنة 767هـ/ 1268م أصدر الظاهر بيبرس مرسوماً بإبطال الخواطئ من القاهرة والفسطاط، وأمر بسجنهن وتزويجهن(١). كما سجنت سنة 724هـ/ 1323م مجموعة مشابهة من النساء بموجب مرسوم أصدره الناصر محمد بإبطال الملاهي(٢). وفي سنة 741هـ/ 1340م ألزم الناصر محمد شاد المغاني والضامنة بالإنكار على المغاني حضورهن مجالس الخمر وفرض على كل واحدة ما بين ثلاثة آلاف درهم وألفي درهم. وسجنهن أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء وتزوجت بقيتهن(٣).

د - الاحتيال:

قام بعض المحتالين والمشعوذين بخداع الناس والاستيلاء على أموالهم(٤). ومن هؤلاء: شخص أعجمي عُرِفَ بأسد الدين الكيماوي اتصل بالظاهر جقمق فقربه ووفر له الأموال والمعادن. ومكاناً يعمل فيه طمعاً في أن يصنع له الذهب. وعندما اكتشف جقمق كذبه أمر بسجنه ببرج القلعة، ثم أمر بنقله إلى سجن المقشرة ،وبعدها عقد له مجلس قضاء بتهمة الزندقة؛ حيث ضربت عنقه سنة 853هـ/ 1449م(٥).

وأورد السخاوي خبراً مفاده تتبع الدولة للمشتغلين بالكيمياء. ففي سنة 889هـ/ 1484م أمسك جماعة بآلات الكيمياء وتمت معاقبتهم فكان أخفهم عقوبة "من نفي إلى مكة"(٦) .

رابعاً- سجناء القضايا الفكرية:

يعتبر ابن تيميه الحنبلي المذهب أشهر سجناء القضايا الفكرية خلال العصر المملوكي. وقد أدت حريته في الجدل والمناظرة إلى عداوة الكثيرين من علماء المذاهب الثلاثة له وتأليب

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج30، ص 164.
(٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 301.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 490، 492.
(٤) للمزيد: انظر: عاشور: المجتمع المصري، ص 243.
(٥) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ص ص 173- 176، 183- 185؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص ص 211- 212؛ ووجيز الكلام، ج2، ص 643.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ص 950.

السلطات المملوكية ضده إلى حد سجنه عدة مرات في مصر والشام. فقد تم في سنة 705هـ/1305م جلب ابن تيميه إلى القاهرة وسجنه في الجب من القلعة(١) .

وبعد أن اصدر ابن تيميه رأيه في مسألة الاستواء، ومسألة خلق القرآن(٢) اتُهِمَ بالقول بالتجسيم وأمر الناصر محمد بسجنه ولم يكتفِ بذلك بل أرسل كتاباً إلى دمشق فيه "الحط على ابن تيمية ومخالفته في العقيدة، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية، - وألزم- أهل مذهبه بمخالفته"(٣).

وسُجِنَ ابن تيميه في قلعة دمشق سنة 720هـ/ 1320م بسبب الفتوى بمسألة الطلاق(٤) كما سُجِنَ مرة أخرى في القلعة سنة 726هـ/ 1328م وبقي فيها حتى وفاته بسبب" فتيا وجدت بخطه في المنع من السفر، ومن إعمال المطي إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين"(٥).

---

(١) للمزيد حول استقدام ابن تيميه إلى القاهرة وحتى سجنه. انظر: ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج1، ص 269؛ العيني: عقد الجمان، ج4، ص 407.
(٢) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 17.
(٣) العيني: عقد الجمان، ج4، ص 408.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 102، 106.
(٥) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 270. حول رأي ابن تيميه في هذه المسألة .أنظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 36.

الفصـــل الـــــرابع

أحــــــوال المســـاجيـــــن

أولاً: بيئة السجن وانتشار الأمراض داخل السجون.

أ- بيئة السجن

ب-الأمراض داخل السجون

ثانياً: الحالة النفسية للمساجين وحوادث الانتحار داخل السجن.

ثالثاً: الخدمات المقدمة للمساجين

أ- الخدمات المعيشية

ب- الخدمات الاجتماعية

ج- الخدمات المجتمعية

د- العناية الطبية وترتيبات علاج المساجين

هـ- العناية العلمية والثقافية

رابعاً: عمالة المساجين داخل السجون

خامساً: استخدام المساجين.

أ- تشغيل المساجين

ب-تسول المساجين

سادساً: الهروب من السجن

سابعاً: التعذيب في السجون

ثامناً: حالات الوفاة ومراسيم الدفن

تاسعاً: أماكن النفي

أولاً: بيئة السجناء وانتشار الأمراض داخل السجون

أ- بيئة السجن:

أدت عوامل متفرقة أو مجتمعة إلى تدهور الأحوال الصحية للمساجين. منها: التقاليد المتبعة في بناء السجون، لاسيما سجون الجباب المظلمة تحت الأرض دون أشعة شمس أو هواء، وحتى السجون العادية كانت ذات نوافذ صغيرة قليلة العدد لا يدخل إليها إلا القليل من أشعة الشمس أو الهواء.

وقد عبر المعاصرون عن شكل نوافذ السجون عندما أطلقوا عليها اسم الطاقات: ومن ذلك قول الشاعر كمال الدين المعروف بابن الأعمى في وصف حمام ضيق شبهه بطاقات السجن[١]:

إن حمامنا الذي نحن فيه ... قد أناخ العذاب فيه وخيم

مظلم الأرض والسماء والنواحي ... كل عيب من عيبه يتعلم

حرج بابه كطاقة سجن ... شهد الله من... فيه يندم

ومن العوامل الأخرى ازدحامُ السجون، وعدم توفير السبل اللازمة للمساجين للعناية بموضع جلوسهم، أو بنظافتهم الشخصية ،بالإضافة إلى وجود الحشرات والطيور الغريبة. ويعتبر المقريزي أشهر من رسم صورة واضحة عن بيئة السجون خلال العصر المملوكي فقد تحدث عن ازدحام سجن المقشرة في بداية اتخاذه سجناً. وعن محاولات التفريج عن المساجين فيه[٢].

ووصف المقريزي الجب بالسجن الشنيع[٣]المظلم الكريه الرائحة، كثير الوطاويط.[٤] أما خزانة شمائل فهي موطن البق والبراغيث.[٥] كما وصف سجون القضاة بقوله: "وأما الحبس الذي هو الآن فإنه لا يجوز عند أحد من المسلمين. وذلك أنه يجمع الكثير في موضع يضيق عنهم غير متمكنين من الوضوء والصلاة، وقد يرى بعضهم عورة بعض ويؤذيهم الحر في

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص 421. مكان الفراغ في البيت الثالث حُذِفَ لبذائته.
(٢) المقريزي: الخطط، ج2، ص 71.
(٣) المقريزي: الخطط، ج2 ، ص 205. وانظر: Ayallon, D: The Mamluk Military, p ٤٠.
(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص189.
(٥) المصدر نفسه، ج2، ص 328.

الصيف والبرد في الشتاء"(١).

وإذا أخذنا بأقوال المقريزي للتأكيد على قذارة السجون وانعدام وسائل النظافة والطهـارة. يمكن استنتاج شكل وموقع أماكن قضاء الحاجة داخل السجون، والتي يرجح أنها تجـاويفُ فـي الأرض لا تبعد كثيراً عن موضع جلوس السجناء، وهذا الوضع كـان فـي سـجون الأمـراء بالإسكندرية وهي تعتبر أقل قساوة من سجون الولاة والقضاة، فقد ذكر ابن حجر أن سبب وفـاة الأمير قطلوقتمر البدري أنه قام ليقضي حاجه ليلاً "... فسقط من طـاق فـي المكـان فمـات سكراناً"(٢).

ب- الأمراض داخل السجون:

كان الطاعون من أكثر الأوبئة خطورة على حياة الإنسان في العصور الوسطى، وكانـت أكثر السنوات حرجاً بالنسبة لانتشاره، هي الفترة الواقعة ما بين 742هـ- 751هـ/ 1341- 1350م؛ حيث اجتاح الطاعون العالم بأسره فسمي بالفناء العظيم، وكان أول ظهوره فـي بـلاد الخطا المجاورة للصين، وانتشر ببلاد الشرق كلها في إيران والعراق ومنطقة الأناضول وانتقـل إلى حلب ومنها انتشر في باقي بلاد الشام ثم انتقل إلى مصر في بداية خريف سـنة 748هـ/ 1347م(٣).

وقد توالت سنوات الطواعين خلال عصر سلاطين المماليك وتأثر المـساجين بـالمرض. وأشارت المصادر إلى حالات وفاة داخل السجون بسبب الطاعون. فقد تـوفي سـنة820هـ/ 1417م فرج بن الناصر فرج بن الظاهر برقوق أثناء سجنه بالإسكندرية(٤). ويبـدو أنـه كـان مصاباً بالمرض قبل نقله إلى السجن حيث ذكر ابن حجر أنه عندما نقل من القلعة إلـى سـاحل النيل، نقل على محفة(٥). وكذلك الأمير التركماني هابيل بن قرايلك توفي بالطاعون فـي الـسنة المذكورة أثناء سجنه بأحد أبراج قلعة الجبل (٦).

---

(١) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187.
(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 235.
(٣) سالم : الإسكندرية، ص 301- 303؛ ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص ص 129- 130.
(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 447.
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج7، ص 225.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 224؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص206؛ هابيل بن قرايلك: هابيل بن عثمان بن قرايلك طرغلي، أعطاه والده ولاية الرها ليحارب أهل الشام ومصر لم يستطع الصمود أمامهم حيث أخذوا القلعة وقبضوا عليه؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص 206.

وفي سنة 853هـ/ 1449م تُوفِيَ مطعوناً الشريف علي بن حسن بن عجلان الأمير المعزول عن إمرة مكة وذلك أثناء سجنه في دمياط[١].

وفي سنة 873هـ/ 1468م تُوفِيَ بالطاعون السلطان السابق أبو النصر بلباي المؤيدي أثناء سجنه بالإسكندرية[٢].

ثانياً: الحالة النفسية للمساجين وحوادث الإنتحار داخل السجن

لقد أوضح المساجين، في حالات كثيرة، ما كانوا يقاسونه داخل السجن من تعذيب وقتل وأمراض مما أثر على نفسية الكثير منهم، ونتيجة هذه المعاملة السيئة قام بعض المساجين بالانتحار أو التفكير بالانتحار.

وللإشارة إلى انطباع المساجين حول السجون ما أورده العيني عن الأمير بدر الدين بيسري الذي وصفه بأكبر الأمراء بمصر وأجلهم. فقال: أثناء جلوس الأشرف خليل بشباك الميدان طلب من الأمير بدر الدين بيسري ركوب ثور، ثم أطلق عليه "سبعاً" فسقط على الأرض وانكشفت عنه ثيابه، مما أدى إلى ضحك السلطان وسخرية الأمراء منه. رغم ذلك تمكن الأمير بيسري من ضبط نفسه. وعندما عاتبه أحد أصحابه وهو الأمير بدر الدين بكتاش وأخذ عليه سكوته عن رد الإهانة. أجابه: "والله كان الموت أهون عليَّ من ذلك، ولكن خشيت الرجوع إلى الحبس. بعد عشر سنين قاسيت فيها الذل والقيد والخوف والوحدة، وأنت معذور فلو قاسيت ما قاسيت لهان عليك كل شيء من هذا القبيل"[٣].

وأشار ابن تغري بردي إلى ما كان يؤديه تعذيب المساجين إلى اختلال عقولهم في بعض الأحيان، ومن ذلك أنه أشيع في القاهرة سنة 854هـ/ 1450م عن جنون أبي الخير النحاس في سجن الديلم: "وأنه صار يخلط في الكلام"[٤]. ومع أنه شكك في البداية في صحة الخبر، لكنه عاد واعتبر أن إصابة النحاس بالجنون أمر غير مستبعد حيث يقول: " فحق له أن يتجنن – لأنه – كان أولاً فقيراً متحيلاً على الرزق، ثم صار على حين غفلة ملكاً عظيماً، ورأى من

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 641.
(٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص17- 18؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 807؛ سالم: تاريخ الإسكندرية، ص 396.
(٣) العيني: عقد الجمان، ج3، ص ص 208- 209.
(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 278.

العز ونفوذ الكلمة ما لم يره غيره في زماننا هذا ... ثم رده الله إلى أسفل مما كان عليه أولاً... فقد صار مسجوناً مقيداً"[١].

وبالإضافة إلى بعض حالات الجنون تمت حالات انتحار في السجون أو خارجها، ومن ذلك انتحار القاضي كريم الدين بن السديد ناظر الخاص بعد مدة قليلة من سجنه بأسوان. وقد قتل كريم الدين نفسه شنقاً بواسطة حبل ربطه في خشبة[٢]. وانتحار رزق الله أخو النشو ناظر الخاص[٣]. فبعد أن سُجِنَ رزق الله عند أمير شكار في إحدى خزائن بيته قتل نفسه بسكين أخذه من حياصة أمير شكار الذي كان يصلي الفجر ولم يشعر برزق الله إلا بعد أن فارق الحياة[٤]. وكذلك انتحار أحد مساجين المقشرة بسبب إجباره على التسول حيث ضرب السجين نفسه بسكين حتى خرجت أحشاءه.[٥]

وهناك محاولات انتحار لم تتم لسبب أو لآخر، ومن ذلك ما قام به مستوفي الدولة ابن قرموط سنة 735هـ/ 1334م، فبعد أن تقرر عليه مبلغ أربعين ألف دينار ضرب نفسه بسكين في حلقومه ليهلك، فبادر الأعوان وأخذوها منه وقد جرحت حلقه"[٦]. وما قام به علاء الدين الطبلاوي، فبعد أن رسم عليه وتم تجهيزه ليعترف أمام الظاهر برقوق بما عنده من أموال قام بضرب نفسه ثلاث ضربات بسيطة لم تؤذه كثيراً " فاتهم بأنه – كان – ينوي قتل السلطان إذا اختلى به"[٧] .

ثالثاً: الخدمات المقدمة للمساجين

إن عرض الخدمات المقدمة للمساجين يقتضي الإشارة إلى نوعين من الخدمات، النوع الأول: خدمات شاملة قدمت للخاصة من المساجين كالخلفاء، والسلاطين، والأمراء، والأعيان

---

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 278.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 453.
(٣) أنظر: ترجمة النشو وأخوه زين الدين دون ذكر حادثة الإنتحار عند: المقريزي: المقفى، ج2، ص 506.
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق 2، ص 479. أمير شكار: شكار بالكسر معناه الصيد بالفارسية. وأمير شكار لقب للذي يتحدث عن الجوارح من الطيور وغيرها وسائر الصيد. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 20. الحياصة: الحزام أو المنطقة، وهي في الأصل السير الذي يشد به حزام سرج الحصان ثم أصبحت ضمن الخلع والتشاريف وتختلف باختلاف الرتب. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ج1، ص 113.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص290.
(٦) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 382.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس،ج1، ص465.

الذين سجنوا غالباً في قلعة الجبل وفي الإسكندرية[١]. وتتمثل بالخدمات المعيشية كالطعام والكسوة والاجتماعية كإقامة الزوجات والجواري والمجتمعية كالخدم والزوار والمرافقين والمراسلات، ووسائل الترفيه بالإضافة إلى العناية الطبية والثقافية.

وقد قدمت الدولة هذه الخدمات ممثلة بالسلاطين الذين أشرفوا بأنفسهم على تقديمها، أو سمحوا لأقارب السجناء أو أصدقائهم وأتباعهم بتقديمها والتوسع فيها.

أما النوع الثاني: فهو خدمات جزئية قدمت للعامة من المساجين كأرباب الجرائم، والمدنيين وهم أصحاب السجون المفردة، وسجون القضاة وتمثلت هذه الخدمة بتقديم الطعام فقط.

ولا يوجد أدلة على أن الدولة كانت تقوم بإطعام المساجين من العامة بانتظام، وجاء حصول هؤلاء على الطعام أو حرمانهم منه ليعكس الدور السلبي للسلاطين لأن إطعامهم من قبل السلاطين أو المحسنين يتم كصدقة في شهر رمضان، وإطعام المدينين منهم كان من أرباب الديون.

أما الذين لا يجدون الطعام فكانوا يمارسون مهنة التسول في الطرقات تحت رقابة الدولة من أجل سد لقمة العيش وجلب إيرادات للسجن.

---

(١) بالإضافة إلى قلعة الجبل وأبراج الإسكندرية قدمت خدمات للمساجين من الخاصة في قلاع الشام كقلعة الكرك وقلعة دمشق وما ذكرته المصادر حولها يعتبر مادة تاريخية لا يمكن إغفالها في هذه الدراسة.

أ- الخدمات المعيشية

1- الطعام:

كان هناك فرق كبير بين طعام الخاصة من المساجين وطعام العامة منهم؛ فطعام الخاصة في قلعة الجبل مثلاً كان يخضع لإشراف مباشر من السلطان أو ممن ينوب عنه في حالة غيابه(١). وقد تعددت أشكال هذا الطعام وتنوعت، وكان أيضاً يقدم بكميات كبيرة.

فعندما سجن الظاهر بيبرس الشيخ خضر المهراني في قلعة الجبل، أمر أن تقدم له الأطعمة الفاخرة والأشربة والفاكهة(٢). ولما سجن ناظر الجيش زين الدين عبد الباسط في الحوش من القلعة(٣) "رتب له في كل يوم سماط في أول النهار وسماط في آخره يحمل إليه من المطبخ السلطاني مع الحلوى والفاكهة"(٤).

وحين كان نائب السلطنة شمس الدين قراسنقر مسجوناً في قاعة بالقلعة قريبة من مجلس السلطان لاجين أوصى السلطان "أن تعمل له أطعمة مفتخرة، ولا تقطع من عنده فاكهة ولا حلاوة، وكل ما يختاره من الأشياء المستطرفة"(٥).

وذكر العيني أيضاً أن المراسلات بين لاجين وقراسنقر لم تنقطع، ولعلها كانت على يد مماليك السلطان لاجين الذين كانوا يحملون الأطعمة، فكان لاجين يحملهم السلام إلى قراسنقر، والذي بدوره يطالبه بالإفراج عنه(٦).

وقد أُطلِقَ اسم: (بسلةُ بلحم قديد) على طبق أرسله لاجين لقراسنقر، ووعده بأن يأكلاه معاً. وعنه يقول العيني: "ولما كانت ليلة قتله أرسل إليه بسلة مطبوخة واعتذر بأنه صائم، ولا يمكنه أن يفطر - معه - على بسلة"(٧).

---

(١) العسقلاني: الفضل المأثور، ص 129.

(٢) ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص 148.

(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 76.

(٤) المقريزي: السلوك، ج4، ق 3، ص 1159. - السماط: معناه المائدة السلطانية أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين وكانت العادة زمن الأيوبيين والمماليك أن يمد بالقصر في طرفي النهار من كل يوم أسمطه فأولاً يمد سماط أول لا يأكل منه السلطان ثم ثان بعده ويسمى الطارئ ومنه مأكول السلطان أما في آخر النهار يمد سماطان. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ج1، ص 185.

(٥) العيني: عقد الجمان،ج3، ص 435.

(٦) المصدر نفسه، ج3، ص 435. أخذ بظاهر الرواية وهو تقديم الطعام ولم يؤخذ بباطنها لأن فيها خدعة من لاجين الذي قتل قراسنقر. حول أسباب سجن قراسنقر انظر: العيني: عقد الجمان، ج3، ص 363.

(٧) المصدر نفسه، ج3، ص 435. - البسلة: نوع من الحبوب واللحم القديد: اللحم المملح والمجفف في الشمس.

إن طعام الخاصة من المساجين بالإضافة إلى تنوعه كان يقدم بمواعيد ثابتة ويدخل إلى موضع سجن الشخص، ويكون من نصيب من يسجن مكانه. ومن غرائب الأمور حول ذلك أن الصالح صلاح الدين خُلع من السلطنة، وسجن مكان أخيه الناصر حسن الذي أفرج عنه وأعيد إلى السلطنة، وجهز للناصر حسن طعام السجن فلم يأكله، وأكله بدلاً منه الصالح صلاح الدين. وفي ذلك يقول المقريزي: "ومن غريب ما وقع مما فيه أعظم معتبر أنه عمل الطعام للسلطان الملك الصالح ليمد بين يديه على العادة، وعمل الطعام للناصر حسن ليأكله في محبسه، فاتفق خلع الصالح في أقل من ساعة، وسجنه، وولاية أخيه حسن السلطنة عوضه، فمد السماط بالطعام الذي عمل ليأكله الصالح، فأكله حسن في دست مملكته، وأدخل الطعام الذي عمل لحسن ليأكله في محبسه على الصالح. فأكله في السجن الذي كان أخوه حسن فيه"(١).

أما عن طعام مساجين العامة(٢) فلم يرد في المصادر ما يبين التزام الدولة بإطعامهم رغم ما كان يجبى من ضرائب منهم.

ويمكن القول - من خلال ما تناثر من معلومات في المصادر -: إن إطعام المساجين من العامة كان يتم من مصادر متباينة هي:

1- أهالي السجناء وهذا على سبيل الترجيح.

2- أرباب الديون، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مصادر الإنفاق على السجون.

3- الطعام الذي يقدمه السلاطين كصدقه والذي يرتبط تقديمه بمناسبات دينية كشهر رمضان أو بظروف الغلاء وانتشار الأوبئة. ففي شهر رمضان اعتاد الظاهر برقوق على تقديم الطعام للمساجين(٣). وبسبب الغلاء سنة 798هـ/ 1395م أمر برقوق في شهر ربيع الأول أن يجهز في كل يوم إردب قمح يعمل خبزاً ويوزع على المساجين والفقراء(٤). وعندما انتشر الطاعون سنة 822هـ/ 1419م، وازداد أثره في شهر ربيع الآخر أرسل المؤيد شيخ إلى المساجين في الثامن من الشهر لحماً وخبزاً، وكان اللحم من الأنعام التي ذبحها شيخ بنفسه في ذلك اليوم تقرباً إلى الله لرفع بلاء الطاعون وهي مائة وخمسون كبشاً، وعشر بقرات،

---

(١) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 4.

(٢) بين أبو يوسف القاضي للخليفة هارون الرشيد واجب الدولة في إطعام الفقراء من المساجين وحدد الطريقة بأنها راتب يعطى مباشرة للسجين عن طريق الأمناء من الموظفين ليؤمن السجين قوت يومه ولا يحبذ أبو يوسف أن تصرف الدولة المواد العينية كالخبز خوفاً من أن يستولي عليها القائمون على السجون. انظر: التميمي: السجون في العصر العباسي، ص 253، دراسة وتحليل تعليمات أبو يوسف.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 531.

(٤) ابن قاضي شبهة: تاريخ، ج3، ص 576؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص 282؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 425؛ السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 321. - الإردب: مكيال يسع أربعة وعشرين صاعاً.

وجاموستان وجملان، أما الخبز فكان من أصل ألف رغيف وزعت بالإضافة إلى المساجين، على أهل الجوامع والخوانق والزوايا(١).

4- طعام الأسواق المغشوش الذي يأمر المحتسب بمصادرته بسبب الغش في طريقة صنعه أو حفظه، فقد عرف عن بدر الدين العيني الذي تولى الحسبة في مصر عدة مرات خلال القرن التاسع الهجري أنه: "كان لا يلين لمن ثبت غشه وتدليسه، وكان يعاقب بالمال، فيأخذ بضاعة الغشاشين والمدلسين ويرسل بها إلى السجن للمحابيس"(٢).

5- الطعام المقدم من العامة كصدقة للمساجين. وتبين المصادر أن الطعام كان يدخل إلى السجن شفقة ورأفة بالمساجين الجياع، وفي بعض الحالات يطعمون أثناء تسولهم في الطرقات.

ومن الأمثلة على إدخال الطعام إلى السجن رواية الصيرفي لحادثة سجن أكثر من أربعمائة من نساء وصبيان عربان الصعيد في وكالة الأتابك قانم الشركسي في القاهرة، وترك هؤلاء دون طعام تأديباً للرجال من العربان الذين لم يقبض عليهم، ويبين الصيرفي أن إطعامهم كان من العامة ولفترة طويلة حيث يقول: "فاشترى لهم بعض الناس أردبي فول صحيح ورماه لهم فأكلوا في الحال من شدة الجوع والحاجة ثم شرع أهل الخير في الصدقة عليهم بقدر حالهم"(٣).

أما عن إطعام المساجين وهم يتسوّلون في الطرقات، فمن أمثلته: ما ذكره المقريزي من أن المساجين كانوا يخرجون للتسول وهم يصرخون في الطرقات من الجوع، فإذا وصل إلى أيديهم شيء من الصدقة استولى الأعوان على معظمه بحجة توزيعه فيما بعد "ولا ينالهم منه إلا ما يأكلونه بسرعة أو خفية وقت وصوله إليهم"(٤).

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص ص 455- 456.

(٢) ابن الأخوة القرشي: معالم القربة، ص 40.- بدر الدين العيني: صاحب كتاب عقد الجمان في أخبار أهل الزمان محمود بن موسى ولد في بلدة عينتاب شمال حلب في سنة 762هـ- 1360م نشأ نشأة صالحة فحفظ القرآن واشتهر بنبوغه، ورحل إلى مصر فتولى الحسبة وقضاء الحنيفة عدة مرات، توفي سنة 855هـ/1451م، انظر: ابن الأخوة القرشي: معالم القربة، ص 40؛ محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ص ص 167-168.

(٣) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 45.

(٤) المقريزي: الخطط، ج2، ص 187. وانظر: زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 17.

وقد ترتب على عدم قيام الدولة بإطعام المساجين من العامة ما يلي:

1- إخراج المساجين للتسول لتحقيق مكاسب للمشرفين عليهم تتمثل بجني الأموال أو المواد العينية، بعد إطعام المساجين بالقليل من الصدقات، ومن ثم إعادتهم إلى السجن وقد أكلوا ولو أقل القليل.

2- هروب المساجين. فقد قتل مساجين المقشرة سجانهم وخرجوا عن آخرهم من شدة الجوع باعتراف صبي السجن الذي قال بأن "لهم ثلاثة أيام ما ذاقوا شيئاً"[١].

4- أكل مواد لا تصلح لطعام البشر مثلما حدث سنة 776هـ/ 1374م زمن الأشرف شعبان حيث ازداد الغلاء وعزت الأقوات"[٢]، وبقي المساجين دون طعام فأكل مساجين الديلم معجنة طين كانت قد أعدت لعمارة حائط السجن[٣].

5- عمليات الإفراج الجماعي عن المساجين، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في موضوع الإفراج بسبب الظروف الاقتصادية، فإصدار قرارات الإفراج على المساجين دليل جلي على أن الدولة تعتمد على ما يقدمه أهالي المساجين من نقود أو طعام أو ما يقدمه أرباب الديون وعندما تأثر هؤلاء بالغلاء توقفوا عن مؤونة المساجين[٤].

2- الكسوة

كان تقديم الكسوة للمساجين من الخاصة أمراً شائعاً خاصة من كان منهم في قلعة الجبل وكانت الكسوة تقدم بإشراف السلطان[٥]، أو كبار الأمراء[٦] فعندما سجن الشيخ خضر المهراني - مثلاً- في قلعة الجبل كانت الملابس تغير عليه في كل وقت[٧]، وعندما سُجِنَ ابنُ تيميه في الجُبِّ قدمت إليه الكسوة من السلطان ومن الأمراء ولكنه رفضها[٨].

وتظهر بعض أخبار سلام بن التركية زعيم عربان البحيرة الذي سجن بالإسكندرية أن كسوة المساجين من الأمراء كان يمكن أن تقدم على شكل أقمشة يتم تفصيلها، حيث طلب بن التركية سواسي خام ليفصلها قمصاناً، فأجيب إلى طلبه فاستخدمها عوضاً عن الحبال وتدلى

---

(١) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 607.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص 143.
(٣) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 235؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص 143.
(٤) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 453؛ علاء طه: السجون والعقوبات، ص 83.
(٥) العسقلاني: الفضل المأثور، ص 129.
(٦) المقريزي: المقفى، ج1، ص 463.
(٧) ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص 148.
(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 47؛ المقريزي: المقفى، ج1، ص 463.

بواسطتها إلى خارج السجن[١].

ورغم ورود مثل هذه الروايات إلا أنه من الصعب القطع بانتظام تقديم الكسوة للمساجين من الخاصة في غير القلعة مثل سجن الإسكندرية، فربما كانت تقدم في فترات متباعدة أو متقطعة، ويستطيع من توفر معه المال أن يشتريها، كما ذكر الصيرفي أن ابن التركية اشتراها شراءً[٢]، ولعله استغل فرصة السماح بشرائها فاشترى قطعاً كثيرة منها ليستخدمها بدائل عن الحبال.

أما عن كسوة المساجين من العامة فلا توجد أدلة على أن الدولة قدمتها لهم، ومن المرجح أن ما كانوا يلبسونه هو من أقاربهم أو ممن يتصدق عليهم.

ب- الخدمات الاجتماعية

1- إقامة الزوجات:

يمكن القول أن إقامة الزوجات مع السجين من الخاصة- في قلعة الجبل على وجه التحديد- كان أمراً مسموحاً به خلال العصر المملوكي، فعندما سُجِنَ الأمير بدر الدين بيسري في القاعة الصالحية من قلعة الجبل أقام فيها مكرماً وحملت إليه امرأته[٣]. ولما نُقِلَ الأمير كراي المنصوري والأمير سنقر الكمالي من قلعة الكرك ليسجنا في القاهرة. سجنا بقلعة الجبل "ومعهما نساؤهما"[٤].

وكان وجود الزوجات يرتبط بموافقة السلطان، ويتم قطع هذه الخدمة بناءاً على أوامره، فحين قرر الناصر محمد قتل الأمير برلغي الأشرفي "أخرجت حريمه من عنده"[٥]. وحين أمر بالتشديد على عدد من الأمراء المسجونين في برج السباع من قلعة الجبل مُنِعَتْ حَريمُهم من الإقامة عندهم. ومن هؤلاء الأمراء: طوغان نائب البيرة، وعلم الدين سنجر البرواني.[٦]

---

(١) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 491. وانظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 392. - السواسي: جمع سوس وهو قماش شهير يصنع في مدينة سوسة بالمغرب. انظر: المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 491، حاشية (3).
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 66.
(٣) المقريزي: السلوك، ج1،ق 3، ص 5.
(٤) المصدر نفسه، ج2، ق1، ص 163.
(٥) المصدر نفسه، ج2، ق1، ص 88.
(٦) المصدر نفسه، ج2، ق1، ص 183.

2- إقامة الجواري:

اختلفت المصادر في بيان واقع وجود الجواري عند السجين وبين السماح بإدخال الزوجات تبعاً لاختلاف المهام التي تقوم بها الجواري.

وتشير بعض الروايات حول من سجن من السلاطين أو الأمراء في قلعة الجبل، أو من سجن من السلاطين خارجها ،إلى أن وجود الجواري أمرٌ شائعٌ يربطه المؤرخون مباشرة بالخدمات المعيشية المقدمة للمساجين، فعندما وصل برقوق إلى موضع سجنه بقلعة الكرك كانت الجواري قد رتبت لخدمته.(١) وعندما أخرج العزيز يوسف بن برسباي ليسجن في الإسكندرية نقلت معه ثلاث جوارٍ لخدمته(٢) .

وتُظهرُ روايات أخرى في المصادر أن إدخال الجواري كان لأغراض الترفيه، فعندما سجن جانم الأشرفي أخو الأشرف برسباي أهداه الشيخ كمال الدين أبو الفضل المكي "الجواري الحسان" في فترة سجنه(٣).

ومن الجدير ذكره أن من المساجين من حظي بعناية السلطان. كما يقول المقريزي: وكان الأمير بكتمر الحسامي مدة اعتقاله مكرماً لم يفقد غير ركوب الخيل، إذ بعث إليه السلطان (الناصر محمد) جارية حبلت منه في الاعتقال، وولدت منه ولداً سماه ناصر الدين محمد، وكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياماً(٤).

ولم تكن حادثة بكتمر نادرة، فمن المساجين غيره من رزقوا بأطفال أثناء وجودهم بالسجن، والذين يزيد عددهم وأعمارهم تبعاً للفترة التي يقضيها السجين في السجن، فقد رُزقَ العزيز عثمان بن المغيث عمر الأيوبي عدة أولاد أثناء سجنه بقلعة الجبل(٥) – زمن المماليك-، وكان قد سُجِنَ لمدة عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً(٦).

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 278.
(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 163.
(٣) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 102. انظر ترجمة أبو الفضل المكي عند: الصيرفي: إنباء الهصر، ص ص 101- 103.
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 163.
(٥) المصدر نفسه، ج2، ق1، ص 163.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 175.

ج- الخدمات المجتمعية

1- الخدم

أكَّد المؤرخون بأن وجود الخدم مع السلاطين وكبار الأمراء المسجونين أمراً شائعاً، كما في سجن الظاهر برقوق في قاعة الفضة من قلعة الجبل، فبعد القبض عليه رسم أن يكون في خدمته "غلامه المهتار النعمان ومملوكان"(١)، وكذلك لما نُقِلَ إلى قلعة الكرك كان له من يخدمه من "مماليك وجوارٍ"(٢).

وكانت خدمة الظاهر برقوق في الكرك تتم بإشراف ابنة أستاذه يبلغا العمري(٣) المقيمة بالكرك(٤)، وهي التي تولت فرش القاعة التي سجن فيها برقوق، وأرسلت إليه ما يحتاجه من أدوات، وصارت "تطبخ له الأطعمة الملونة اللائقة بمقامه"(٥).

وكان ثمة وجودٌ للخدم في بعض حوادث السجن، مثل حادثة سجن شجر الدر في البرج الأحمر من قلعة الجبل حيث كان في خدمتها إحدى جواريها.(٦) وحادثة سجن ابن تيمية في سجن القاضي بالقاهرة حيث أُذن له أن يكون عنده من يخدمه.(٧)

وقد عني بعض مؤرخي العصر المملوكي بأخبار الخدم لسببين الأول: إنَّ الخدم كانوا شهود عيان اعتمد المؤرخون على أقوالهم ووثقوها في مؤلفاتهم، حين قاموا برواية أخبار مخدوميهم من السجناء. ومن الأدلة على ذلك أن النويري استدل على كيفية قتل المغيث عمر الأيوبي سنة 661هـ/ 1262م، ومكان قتله من خلال ما رواه أحد الخدم وذلك بقوله: "وتولى – قتل المغيث – عز الدين أيدمر الحلبي نائب السلطنة بالغيبة، واستُدِلَ على قتله أن بعض الخدام حكى فقال: لما أدخل الملك المغيث إلى القاعة، طُلب له طعام من الآدر السلطانية، قال الخادم:

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ق1، ص 163.- المهتار: لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت، كمهتار الشراب خاناه ومهتار الركاب خاناه.. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ج2، ص 333.
(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 278.
(٣) اشترى الأمير يبلغا برقوق من خواجا يسمى عثمان وسماه برقوق بعد أن كان اسمه في بلاد القرم موطنه الأصلي سودون. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 530.
(٤) كانت ابنة يلبغا زوجة مأمور الذي عزل عن نيابة الكرك. انظر: الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 225.
(٥) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 226.
(٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج1، ص 48.
(٧) المقريزي: المقفى: ج1، ص 464.

فتوجهت لإحضار الطعام، فأتيت به على رأس خادم آخر، فوجدت الأمير عز الدين قد خرج من القاعة، وأغلق الباب! فقلت: قد حضر الطعام. فقال: بعد أن أغلقنا الباب لا نفتحه في هذه الليلة، فرجعت بالطعام، ولم يفتح الباب، إلى ثلاثة أشهر أو نحوها"(١). وكان النويري قد ذكر أن يوم قتل المغيث هو نفس يوم إدخاله القاعة وهو 27 جمادى الأولى سنة 661هـ/ 1262م.(٢)

السبب الثاني: شهرة بعض من خدم السلاطين والذين أطلق عليهم تجاوزاً اسم الخدم، وازدياد شهرتهم بعد خروج مخدومهيم من السجن. ويدلل على ذلك مناصب تقلدوها، أو مكانة حَظُوا بها؛ كانت مكافأة ممن كانوا بخدمتهم من السلاطين والأمراء داخل سجونهم.

أشهر الخدام ومظاهر مكافآتهم:

جاني بك الدويدار(٣) **الثاني**: خدم الأشرف برسباي أثناء سجنه بقلعة المرقب، وحاول جقمق أثناء نيابته على دمشق استمالة جاني بك ليخدم عنده، وتحيّل عليه بكل الطرق "فلم يوافق ولازم سيده وهو في السجن، وصبر معه على الضيق، فشكر له ذلك".(٤) ولما تسلّم برسباي الحكم حظي عنده وجعله دويدراً ثانياً "وهو شاب دون العشرين"(٥).

الطواشي صفي الدين جوهر الحبش الزمام: أصله من خدام الأمير بهادر المشرف، قدم به من مكة صغيراً، وأعطاه لأخته زوجة الأمير جلبان الحاجب، فرُبي عندها، وأعتقته. خدم الأشرف برسباي في أيام المؤيد شيخ، وخرج معه لما ولي نيابة طرابلس، وخدمه أثناء سجنه بقلعة المرقب، وبقي معه حتى أُفرج عنه.(٦)

وعندما أصبح الأشرف برسباي سلطاناً، جعله (لالا) ولده، واشتُهر وذاع صيته لتمكنه من الأشرف، الذي جعله خازاندار ثم ولاه زمام الدار، فصار من جملة أمراء الألوف.(٧)

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص 402.
(٢) المرجع نفسه: ج29، ص 402.
(٣) الدويدار: مثل الدوادار أي صاحب الدواه. وهي في دولة المماليك وظيفة غير ذات قيمة. كانت لكاتب بسيط ثم صارت للاختصاص بالرسائل. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 79.
(٤) ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 3.
(٥) المصدر نفسه، ج8، ص 3.
(٦) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1148.
(٧) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1149. - اللالا: المربي. انظر: دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 133.- الزمام دار: (الزنان دار) لقب للذي يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام الخصيان. انظر: البقلي: التعريف بمصطلحات الأعشى، ج1، ص 173.

تغري برمش التركماني: أصله من أولاد التركمان ببهنسا، هرب إلى حلب وخدم عند الأمــراء، ثم التحق بخدمة جقمق الدويدار، ورحل معه إلى القاهرة ثم رجع معه إلى دمــشق، وبقــي فــي خدمته أثناء ولايته نيابة دمشق فكان دويداراً عنده، وعندما قبض جقمق على الأميــر برســباي وسجنه بقلعة المرقب "قام تغري برمش بأمره وخدمه"(١) "خدمة زائدة .. فجازاه – برســباي – على صنيعه بكل خير"(٢). وبعد تولي برسباي السلطنة استدعاه إلى القاهرة وأعطاه الإمرة، ثــم رقاه إلى رتبة أمير آخور. وأرسله في إحدى التجاريد إلى حلب، ثم عينه نائباً عليها.(٣)

2- الزوار والجلساء:

تحدثت المصادر عن زوار وجلساء ترددوا على المساجين في أماكن سجنهم. وقد جــاءت الأخبار في المصادر أخباراً تكميلية للحوادث السياسية أو بعض الحــوادث الاجتماعيــة. ولــم تكشف عن وجود أوقات معينة للزيارة، أو عن تخصيص أماكن قريبة من السجن ينتظــر فيهــا الزوار. ولكنها كشفت عن جوانب أخرى وهي يقظة القائمين على السجون من نواب القــلاع أو حراس، ورصد أخبارهم وتحركاتهم. بالإضافة إلى دور الجلساء في بعض الأحداث الــسياسية، أشارت إلى منع الزيارات عن بعض المساجين من الخاصة، وعن بعض الزيارات التي لم تــتم لبعض المساجين من العامة.

ومن أشكال زيارة المساجين من الخاصة ما ذكره ابن قاضي شهبة عن زيارة قام بها خالد الحمصي زعيم الظاهرية إلى الغزاوي أحد شيوخ العشير المسجون بقلعــة دمــشق، ومحاولــة استمالته للقيام بثورة على الظاهر برقوق.(٤) وكان الغزاوي على علاقة جيدة مع نائــب القلعــة فعرفه على خالد الحمصي. فقام النائب باستدراجه والقبض عليه وعلى الكثير من أتباعه ومــنهم نائب دمشق بيدمر الخوارزمي.(٥)

وأثناء سجن بيدمر بالقلعة سمح للزوار بالدخول عليه، حيث أشار ابن صــصري إلــى أن أحد أصحاب بيدمر زاره ودار بينهما حديث عن الظاهر برقوق. رواه ابن صصري على لــسان الزائر وفيه يقول: " قال: عدْت بيدمر وهو محبوس في القلعة، فقلت له: إيش حال مولانا؟ فقال

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص ص 58- 59.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 418.
(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص 59.
(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص 186- 187.
(٥) المصدر نفسه، ج3، ص ص 186- 187.

لي: إيش حال من نصف عمره في الحبوس، وباقي عمره في مظالم العباد"[١].

ويتسع شكل الزيارة، تبعاً لصفة السجين ومكان سجنه، فيصبح بعض الزوار بمثابة جلساء. ومن ذلك الزيارات التي حظي بها زين الدين عبد الباسط أثناء سجنه بالقلعة. فحسب المقريزي لم يمنع أحد من التردد على زين الدين، فكان أمراء الدولة ومباشروها وأعيان الناس وجميع أتباعه يتناوبون مجلسه، "ويكونون بين يديه كما هي عادتهم في أيام دولته، بحيث لم يفقد سوى الحركة والركوب"[٢].

ومن أشهر الجلساء خلال العصر المملوكي مضافاً إلى ذلك تأثيرهم وتأثرهم بمصير السجناء:

حسامُ الدينِ الكجكني نائب الكرك: حسن بن علي بن أحمد، ترقى في الخدم إلى أن أُمر بطرابلس، خرج إلى القاهرة، مع يلبغا الناصري نائب حلب عندما ثار مع منطاش على الظاهر برقوق، فعينه يلبغا نائباً على الكرك سنة 791هـ/ 1389م.[٣] وصادف ذلك وجود برقوق مسجون بقلعتها. فتوطدت علاقته معه، فخدمه ولازمه وكان يأكل معه حتى " صار – برقوق – لا يطيق فُراقه، وركن إليه، وأنس به ... وصار لا يفعل شيئاً حتى يوقفه عليه"[٤].

يذكر الصيرفي أن سبب مبادرة الكجكني بزيارة الظاهر برقوق – دون تردد – كان وصية يلبغا الناصري للكجكني بأن يحسن إلى برقوق، وأمره إن سمع عن أي تحرك من جانب منطاش أن يبادر بالإفراج عنه.[٥]

وكان للأوضاع في القاهرة تأثيرٌ كبيرٌ على أي تحرك للكجكني (جليس الظاهر برقوق). كما كان لأي خطوة يقوم بها داخل الكرك تأثير على مصير برقوق، فبعد أن ساءت العلاقة بين منطاش ويلبغا. قبض منطاش على يلبغا وسجنه،[٦] وأرسل إلى الكرك شخص يسمى: الشهابُ

---

(١) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص ص 1- 2.
(٢) المقريزي: السلوك، ج4، ق3، ص 1159.
(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص 1159.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 26.
(٥) المرجع نفسه، ج، 1ص 226. بعد خلع الظاهر برقوق كان رأى منطاش هو قتله ولكن يلبغا كان رأيه الاكتفاء بسجنه وأصر على رأيه.
(٦) تحكم منطاش بالدولة بعد أن ترقى إلى رتبة أمير كبير وذلك في سلطنة حاجي بين الأشرف شعبان. انظر: ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 82.

البريدي، ومعه كتاب للكجكني بأمره فيه بالتعاون معه في قتل برقوق.(١)

وبدأ الدور الإيجابي للكجكني تجاه برقوق حين أطلعه على الكتاب، وحلف له أنــه لــن يشارك في قتله. ثم ماطل الشهاب في موضوع القتل وأرسل إلى القاهرة – حيث منطاش – كتاباً يقول فيه: إن أردتم قتله فأرسلوا من يتسلمه ويقتله. بالإضافة إلى ذلك غض الكجكنــي الطــرف عما قام به أهالي الكرك وهو قتل الشهاب لشدة محبتهم لبرقوق.(٢)

ويرى الصيرفي الذي شرح وصية يلبغا الناصري للكجكني وفصل في العلاقــة القويــة التي قامت بينه وبين برقوق، أن هناك سبباً آخر أكثر أهمية دفعه إلى إنقاذه وهو خوفه من أهالي الكرك الذين قد يدفعهم إخلاصهم لبرقوق ورغبتهم في إنقاذه إلى قتل من يقف في طريقهم(٣).

ولم ينسَ الظاهر برقوق بعد عودته إلى السلطنة دور الكجكنــي، فــأنعم عليــه بــإمرة خمسين، وعندما توفي أمر برقوق بدفنه في حوش السلطان بالقلعة.(٤)

الشريف السرسناي أحد أعيان الإسكندرية: تردد إلى الشريف حصن الدين ثعلب أثناء ســجنه بالإسكندرية زمن الظاهر بيبرس. وذلك لقضاء حوائجه ومؤانسته، وقد دفع السرسناي حياته ثمناً لهذه العلاقة فأخذ أعوان بيبرس يراقبونه. وعندما علم أنه يخطط لتهريب حــصن الــدين مــن السجن. انتهز فرصة وجوده في القاهرة لقضاء حوائج حصن الدين، فقبض عليه وســأله عمــا خطط له فأنكر، فأراه الخطوط الواردة من الإسكندرية بالشهادة عليه بذلك، وأمر بشنقه، فــشنق تحت قلعة الجبل ثم أرسل إلى الإسكندرية من شنق حصن الدين فيها(٥).

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الخاصة من المساجين تم منع زيارتهم بأمر مــن الــسلطان، فقد أمر الناصر محمد بسجن الخليفة العباسي المستكفي بالله في البرج الكبير بقلعة الجبل و" لــم يمكن الناس من الاجتماع به"(٦)

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 249.
(٢) المرجع نفسه، ج1، ص ص 249- 250.
(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 251. وانظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 285.
(٤) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 26؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص ص 106- 107.
(٥) النويري: نهاية الأرب، ج2، ص 126.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 742.

أما فيما يتعلق بزيارات المساجين من العامة في سجون القضاة أو سجون أرباب الجــرائم فمن الصعوبة تأكيد السماح بها أو نفي ذلك. ولكن يمكن جعلها أمراً محتملاً فقد يــزور أربــاب الديون المدينين للتفاوض معهم، أو لنقل الطعام لهم، كما قد يزور العامة أقاربهم لتقــديم الطعــام والكساء لهم.

ومن الأمثلة على زيارات العامة: ما ذكره النويري عن شخص من عصابة الخناقة حــاول زيارة اثنين من رفاقه في سجن أرباب الجرائم، فلم ينجح بسبب القبض عليه ومعاقبته للإقــرار بمن معه[١].

3- المرافقون:

لم يكن وجود المرافق مع السجين من الخاصة أمراً شائعاً، ولكن سُمِحَ به تبعــاً لمكانــة السجين وحاجته إلى المرافق. وقد أشار ابن العماد الحنبلي إلى أنه سمح لابن تيمية أثناء ســجنه ببرج الإسكندرية وبقلعة دمشق أن يرافقه أخوه زين الدين عبد الرحمن " يؤنسه"[٢] "ويخدمه بإذن السلطان"[٣]، ويضيف: أن ما اختاره زين الدين من حبس نفسه مع أخيه كان "محبة لــه وإيثــاراً لخدمته، ولم يزل عنده ملازماً معه للتلاوة والعبادة إلى أن مات الشيخ وخرج هو"[٤].

4- التظلم:

أشارت المصادر إلى ظلامات كان يرفعها المساجين للسلطان، فقد رفع ابن القيــسراني المعزول عن وظيفة كاتب السر بدمشق والمسجون بقلعة الجبل قَصَة إلى الناصر محمد يبين فيها توبته، ويسأل فيها السلطان العفو عنه. وعندما وردت الظلامة على السلطان لم يتذكر شيئاً، فقيل له أن شهاب الدين، ابن فضل الله العمري يعرف أخباره، فوجد شهاب الدين مسجوناً منذ ســبعة أشهر فبعث إليه وسأله عن ابن القيسراني الكاتب وأفرج عن الاثنين.[٥]

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج3، ص 104.
(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 135.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 135.
(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 152.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 487، 512. - القصة: هي الطلب أو الإلتماس. ويرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه (قــصة دار). انظــر: البقلــي: التعريــف بمصطلحات الأعشى، ج2، ص 274.

5- وسائل الترفيه:

لم تُمنَع الخمرُ ومجالسُ الغناءِ عن بعض المساجين من السلاطين. فبعد أن خُلِعَ المنصور محمد بن المظفر حاجي،[١] تم سجنه في الدور السلطانية من قلعة الجبل[٢] في دور الحرم منها[٣] وذكر ابن إياس أن المنصور طيلة مدة سجنه كان "يسلي نفسه عن المُلك بشرب الراح، وسماع المغاني ومشاهدة الملاح، فكان لا يصحو من السكر ليلاً ولا نهاراً، وكان عنده جوقة مغاني، نحو عشرة جوارٍ يزفون بالطارات عند الصباح وعند المساء... ولما مات المنصور استمرت جواريه المغاني يعملن الأفراح للناس – وكن- يعرفن بجوقة المنصور".[٤]

كان هذا حال المنصور محمد منذ عزله وسجنه سنة 764هـ/ 1362م وتعيين أخيه الأشرف شعبان مكانه وحتى وفاته أثناء سلطنة الظاهر برقوق سنة 801هـ/ 1398م.[٥] ومن المؤكد أن تزويد المنصور بالخمر والسماح بإدخال المغاني كان بعلم السلاطين. كما أنه وسيلة من وسائل إشغاله عن التفكير في العودة إلى الحكم.

ومن الصعب أن نجزم أن حادثة المنصور تكررت لسلاطين آخرين بنفس المدة الزمنية أو بهذا القدر من التجاوزات، ولكن كان يتم إدخال الخمر إلى الأمراء في سجن الإسكندرية. فقد ذكر كل من ابن إياس والمقريزي أن أحد الأمراء ويدعى قطلوقتمر وقيل قطلوخجا مات سكراناً بسجن الإسكندرية.[٦] ويُرَجَّحُ أن الخمورَ كانت تُدخل خلسة، أو بعد استمالة المسؤولين عن السجن من قبل المساجين من الأمراء أو من قبل مماليكهم وأصحابهم.

د- العناية الطبية وترتيبات علاج المساجين

كان علاج المساجين من الخاصة في قلعة الجبل يخضع لإشراف مباشر من قبل السلطان أو من قبل من ينوب عنه. ويتضح ذلك من خلال ما أوصى به الأشرف خليل ابنه الناصر محمد بقوله: "ويتفقد مريضهم المتحقق مرضه بحكماء الخدمة، ومعالجتهم بتعجيل النسخ

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 323؛ المقريزي: الخطط، ج2، ص240.
(٢) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 131.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 593.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 593؛ و ج1، ق2، ص 511.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 511.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 214- 215. و انظر: المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 318؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 235.

على ما تقتضيه الحكمة"(١).

وكان تقديم العلاج للأمراء في الإسكندرية أمراً متاحاً، وكان إحضار طبيب أو من يقوم بعمله كالمزيِّن لفحص السجين يتطلب موافقة والي الإسكندرية الذي كان يبلغ السلطان في القاهرة بذلك. فقد أرسل والي الإسكندرية إلى الناصر محمد يبلغه بأن الأمير جمال الدين آقوش المسجون بالإسكندرية، ظهر في رأسه دمل على شكل السلعة، وأنه أحضر مزين ليفحصه، فكان رأيه أنها في مكان خطر وقطعها على "أحد الفصلين: إما بموته أو حياته"(٢).

أما عن علاج من في سجون القضاة من المساجين فيشير السبكى بأنه على السجان الرأفة بمن عنده منهم، وألا يمنع أحدهم" من شم الرياحين إن كان مريضاً"(٣).

هـ- العناية العلمية والثقافية

يمكن القول أن هناك قضايا فقهية نوقشت داخل السجون. ومجلدات في العلوم الدينية نسخت داخله. وفيما يلي بيان ذلك تحت عناوين الإفتاء والكتابة والنسخ.

1- الإفتاء:

كان الشيخ ابن تيمية قد أفتى في قضايا عامة تهم الناس في مدة سجنه بسجن القاضي في القاهرة، كما استمر في الكتابة حول مسائل فقهية خلال مدة سجنه في قلعة دمشق. فأثناء سجنه بسجن القاضي "كان يُستَفْتَى ويزوره الناس، وتأتيه الفتاوى الغريبة المشكلة من الأمراء والأعيان"(٤). وأثناء سجنه بقلعة دمشق للمرة الأولى بسبب رأيه في مسألة الطلاق(٥)، "صنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه البحر المحيط، في نحو أربعين مجلداً"(٦).

---

(١) العسقلاني: الفضل المأثور، ص 129.

(٢) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 322. - الأمير جمال الدين آقوشي المعروف بنائب الكرك، توفي مسجوناً بالإسكندرية يوم الأحد في السابع من جمادى الأولى سنة 736هـ/ 1335م. وهو غير جمال الدين أقوش الشمسي الذي باشر قتل كتبغا يوم عين جالوت وتوفي في حلب سنة 679هـ/ 1280م. انظر: العيني: عقد الجمان، ج2، ص 260. - السلعة: بالفتح، الشجة في الرأس كائنة ما كانت، والسلعة بكسر السين: هي الجدرة تخرج بالرأس وسائر الجسد، وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره. انظر: اليوسفي: نزهة الناظر، ص 322، حاشية رقم (2).

(٣) السبكي: معيد النعم، ص 142.

(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ص 464. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج4، ص 461.

(٥) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص ص 261- 262؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 106. وانظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 212، 251.

(٦) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج1، ص 90.

ولما أصدر ابن تيمية الفتوى في مسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين تم سـجنه في قلعة دمشق للمرة الثانية. وأُرفِقَ مع قرار السجن قراراً بمنعه من الفتوى في هذه المسالة[١]. ولكنه استمر بكتابة المصنفات فيها كما حدثت مجادلة حولها بينه وبين ابن الأخنـائي المـالكي، وعندما استجهل ابن تيمية الأخنائي شكاه إلى السلطان الناصر محمد الذي أمر بإخراج ما عنـده من الكتب وأدوات الكتابة[٢]. وكان ما أُخرج "نحو ستين مجلداً، وأربع عشرة ربطة كراريس"[٣].

أما أهم ما تم في مدة سجن ابن تيمية فهو توثيق خلاصة رأيه في مسألة الزيارة، حيـث ذكر ابن كثير أن القاضي جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف دخلا على ابن تيميـة وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة. فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضـي الـشافعية بدمشق :" قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية "[٤].

2- الكتابة والنسخ:

قام بعض المساجين بنسخ القرآن ومجلدات في العلوم الدينية وهم: السلطان الناصر حـسن بن الناصر محمد، والأمير علم الدين سنجر الجاولي.[٥] فقد كتب الناصر حـسن بخطـه دلائـل النبوة للبيهقي[٦] وذلك أثناء سجنه بدور الحرم من قلعة الجبل.[٧] أما الأمير علم الدين سنجر فقد نسخ القرآن، وكتب الحديث[٨] وذلك عندما سجن ثماني سنوات في سجن بالإسكندرية.[٩]

---

(١) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 270، 275؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج2، ص 160؛ ابن كثير: البدايـة والنهاية، ج14، ص 134، 135، 148؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 304؛ دائرة المعارف الإسلامية، مج1، ص 111. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 85.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 146

(٣) المصدر نفسه، ج14، ص 146.

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ، ج14، ص 136.

(٥) علم الدين الجاولي: أهم أخباره ذات العلاقة بالموضوع هي: اهتمامه بالفقه ومعرفته الكبيرة بمذهب الشافعي حيث رتب مؤلف (آلام) للشافعي ترتيباً حسناً وشرحه توفي سنة 745هـ/ 1344م. ودفن بالخانقـاه التـي أنشاها. انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص ص 142- 143.

(٦) المقريزي: السلوك، ج1،ق1، ص3؛ ابن كثير: الدرر الكامنة، ج2، ص40؛ البيهقي: أبو بكر أحمـد بـن الحسين البيهقي النيسابوري الشافعي توفي سنة 458هـ/ 1065م له مصنفات كثيرة منها: السنن الكبـرى، والسنن الصغرى، والمعارف والآداب في الحديث وغيرها عدا دلائل النبوة الذي يقع في ثـلاث مجلـدات. انظر: المقريزي: السلوك، ج3، ق1، حاشية (3).

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 552؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص3.

(٨) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 299.

(٩) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص ص 142- 143.

رابعاً: عمالة المساجين داخل السجون

في العصر الطولوني كان يسمح للمساجين بتصنيع بعض الأشــياء فــي ســجنهم وبيعهــا لحسابهم، فيتمكن المساجين بذلك من الإنفاق على أنفسهم، وتتخلص الدولة من بعض المــسؤولية في الإنفاق على هذه الفئة منهم.(١)

أما في العصر المملوكي فكانت عملية تدريب المساجين على التصنيع أمراً نادراً. كما ذكر المقريزي عن الأمير حسام الدين لاجين العمري الملقب بزبرباج الجاشنكير الذي كان مدة ســجنه التي تجاوزت ستة عشر عاماً يغزل الصوف المرعز، ويصنع منه كوافي بديعة الزي، ثم يبيعهــا للناس ويتصدق بثمنها.(٢)

ومن خلال حادثة الأمير لاجين يلاحظ أن عمله لا يخرج عن الظاهرة التي شاعت خــلال العصر الطولوني وهي إمكانية اشتغال المساجين بالتصنيع. وعلى الرغم من أنها حادثــة فرديــة أظهرت استقامة النهج الذي اختطه الأمير لنفسه وحقق له فوائد منها إشغال وقت فراغــه ونيــل الأجر والثواب إلا أن الدولة المملوكية وبسبب الفوضى وسوء الإدارة لم تستطع أن تسير في هذا النهج وكان ما تم على النقيض وهو دفع المساجين إلى الخروج للتسول وتعريضهم للإهانة.

خامساً: استخدام المساجين

أ- تشغيل المساجين:

استخدم المساجين في أعمال السخرة خلال العصر المملوكي، حيث يتم إخــراجهم مقيــدين للعمل بالعمائر السلطانية، وعمائر الأمراء، وحفر القنوات، وتسويتها، وتنظيف الطرقات.(٣)

واحتفظ السلاطين بعمال منتظمين أغلبهم من المساجين لاستخدامهم في عمــائرهم، وكــان يتم إعارتهم لكبار الأمراء للقيام بهذا العمل.(٤) ومن الأمثلة على ذلك استخدامهم في بناء مدرســة الظاهر برقوق، حيث عمل فيها المساجين وهم مقيدون، وذكر المؤرخون أن أنس والد الظاهر

---

(١) البغدادي: السجون في مصر، ص72؛ هويدا رمضان: المجتمع المصري، ص 346.
(٢) المقريزي: السلوك، ح2، ق1، ص 298. - الصوف المرعز هو صوف المــاعز. انظــر: المقريــزي: السلوك، ح2، ق1، ص 298، حاشية (8).
(٣) المقريزي: الخطط، ح2، ص 187؛ البغدادي: السجون في مصر، ص 115؛ لا بدوس: مــدن اســلامية، ص113، 196؛ زيادة: السجون في مصر، ع 279، ص 17. .
(٤) لا بدوس: مدن إسلامية، ص114.

برقوق كان يشفق عليهم ويطلقهم.(١)

وكان السجناء المشاكسون والأسرى هم الأكثر استخداماً في أعمال السخرة فحين أمر الناصر محمد بتجديد بناء قبة النصر. استخدم الأسرى في أعمال البناء وفي خدمة الأمراء المشرفين على ذلك.(٢)

وكان لشيوع هذه الظاهرة بين السلاطين والأمراء وهي تشغيل المساجين بالسخرة وعدم تقليد الأمير شيخو لهم أن أشاد المقريزي بشيخو لما بنى خانقاه سنة 756هـ/ 1355م لأنه لم يستخدم المساجين بل أعطى العمال أجورهم وأورد نظماً للأديب صلاح الدين بن الزين حول الموضوع.(٣)

لقد شاد شيخو خانكاه بديعة   تفوق على الروض المكمل بالندا
بناها ولم يعمل بها مقيد   ولكن على أهل الوظايف قيدا

ب- تسول المساجين:

سبقت الإشارة إلى ظاهرة إخراج المساجين للتسول. وما يمكن طرحه هنا هو موقف الناس من هذه الظاهرة.

يرى محمد مصطفى زيادة أن غالبية الناس تقبلوا أمر تسول المساجين بدليل الصدقات التي كانوا يقدمونها.(٤) إلا أن الصيرفي أشار إلى أن أحد الأشخاص استشعر الظلم الواقع على المساجين وهم يستعطون الناس في الطرقات وصعد إلى السلطان قايتباي وقال له: "أنت سلطان عادل غير أنك عندك حب في الدنيا وأسألك أن تطلق – هؤلاء- الذين يستعطون في الجنازير، ويأخذ الوالي منهم جميع ما يحصل لهم هو وأتباعه، وأريد أن اجتمع بالعلماء وأتكلم معهم"(٥)، وذكر الصيرفي أن هذا الشخص أتهم بالجنون وتم سجنه بالبيمارستان المنصوري.(٦)

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ح3، ص70؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص66 ، 67؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب.
(٢) اليوسفي: نزهة الناظر: ص 325.
(٣) المقريزي: السلوك، ح3، ق1، ص 17- 18.
(٤) زيادة: السجون في مصر، ع 179، ص 18.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص481، 482.
(٦) المرجع نفسه، ص 482.

سادساً: الهروب من السجن

إن دراسة أشكال الهروب من السجون تكمن في دراسة الطرق التي استخدمها المساجين للخلاص من موضع سجنهم وما يتبع ذلك من تأثير على الأوضاع السياسية.

اختلفت الطرق المتبعة في الهرب تبعاً لاختلاف أعداد ومنفذي عملية الهروب أو نفوذهم، وكذلك تبعاً لاختلاف نوع السجن وموقعه وتصميم بنائه. بالإضافة إلى الأدوات المستخدمة في عملية الهرب، ويمكن تقسيمها إلى الطرق التالية: نقب السجون، استخدام الحبال أو بدائل عنها، مواطأة السجان، قتل السجان.

أ- نقب السجون:

كان نقب جدران السجن إحدى وسائل الهرب وقد يتمكن عشرات بل مئات المساجين من الهرب. فقد نُقِبَ سجن الرحبة وخرج منه جماعة من المسجونين، فتم تعقبهم والقبض على بعضهم ونجا الآخرون.(١) وتعرض سجن المقشرة للنقب من جهة مجلس الحنفية فهربت جماعة كبيرة من المساجين أمسك منهم عشرة فقطعت ألسنة بعضهم.(٢) وتكرر نقب نفس السجن بواسطة سجين يسمى: أصيل، تم القبض عليه وعوقب بالضرب حتى مات (٣).

وتُعتَبرُ عملية هروب الأمراء والمماليك الظاهرية من سجن خزانة الخاص من أشهر عمليات الهروب بواسطة نقب موضع السجن بل تعتبر أشهر حوادث الهروب في العصر المملوكي. وقد استمدت أهميتها من التوقيت الزمني لها وطريقة الهروب والمحطات التي مر بها الهاربون بدءًا من خروجهم من موضع سجنهم وحتى أخذ القلعة.

وتُعتَبَر نتائجُها بعد نجاحها حتى النهاية، حدثاً مهما بالنسبة لتاريخ القاهرة في العصر المملوكي، وكذلك بالنسبة للظاهر برقوق، فقد كان الهاربون مماليكه، تمكنوا من ضبط القاهرة له قبل قدومه فكان بأن تولى السلطنة للمرة الثانية.

---

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص66؛ السخاوي: التبر المسبوك، ص 201.
(٢) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 1122.
(٣) المصدر نفسه، ج3، ص 1264.

طريقةُ الهروب ومحطاتُها:

تمت عملية الهروب ليلة الخميس الثاني من صفر سنة 792هـ/ 1390م.(١) ومرت بمحطات هامة، هي: نقب السجن، وخروج المساجين منه، ثم المرور بسرداب ملاصق لموضع سجنهم، ثم اجتياز بعض مرافق القلعة للوصول إلى مرفق حيوي وهو الإصطبل(٢) وأخيراً امتلاك القلعة.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن المساجين عثروا صدفة على شق أو نقب في أرضية السجن فقاموا بتوسعته وإزالة ما حوله من أتربة وحجارة إلى أن أفضى بهم إلى سرداب(٣). في حين ذكر أحدُ المؤرخين وهو ابن إياس أن المماليك نجحوا في الخروج من السجن بواسطة زملاء لهم من المماليك السلطانية – برقوق- باتوا عند حائط السجن من الخارج ثم نقبوا الحائط وأخرجوا الأمراء المسجونين.(٤)

بلغ عدد المساجين حوالي خمسمائة أمير ومملوك (٥). فتولى عدد منهم توسعة النقب الذي أفضى بهم إلى سرداب فمشوا فيه وهم يقومون بتنظيفه وتوسعته حتى اجتازوا أحد طباق المماليك ووصلوا إلى قصر الأشرفية، وكان هدفهم هو باب القصر الذي يؤدي إلى الإصطبل، وعندما وجدوه مغلقاً عادوا إلى موضع سجنهم وأعلموا البقية فخرجوا جميعاً وترأس عليهم الأمير بطا الطولوتمري الذي قادهم إلى حيث الباب المقصود والمؤدي إلى الإصطبل، فهجموا عليه حتى فتحوه، فوجدوا في مواجهتهم الحراس الموكلين بحفظ الباب، فجعلوا من قيودهم في أيديهم وأرجلهم سلاحاً يقاتلون به، إلى أن دفعوا الحراس إلى الهروب (٦)، كما استطاعوا الإيقاع بين (صراي تمر) نائب الغيبة و (ئُكا) نائب القلعة حيث أطلقوا بصوت واحد عبارة " ئُكا يا منصور"(٧) ليتوهم صراي تمر أن ئُكا خامر عليه وأن هذا دعاء لنصرته وأنه أراد القبض

---

(١) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 696؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 324؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 278؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 424.
(٢) انظر مخطط القلعة ملحق رقم (9).
(٣) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 696؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 288. وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص 7.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص424.
(٥) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 696؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 288.
(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص ص 696- 697. وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص288.
(٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج3، ص7؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 288.

عليه، فهرب إلى خارج القلعة إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب(١).

وتحقق لبطا ما أراد وهو هروب صراي تمر، فملك الإصطبل وأخذ ما فيه من الخيل والسلاح، وقبض على أتباع منطاش وأفرج عن أتباع الظاهر برقوق.(٢) وتمكن من السيطرة على القلعة والدعاء للظاهر برقوق، وانتظار قدومه من الشام.(٣)

ب- استخدام الحبال أو بدائل عنها:

تستخدم الحبال عادة في الهروب من القلاع والأبراج. وقد استخدم سلاح بن التركية بدائل عن الحبال وهي الأقمشة(٤) وذلك عندما هرب من برج الإسكندرية كما استخدم مبارد أدخلت إليه خفية في برد قطعة من شبابيك البرج تسعه في الخروج.(٥)

ج- مواطأة السجان:

إن نجاح عملية الهروب بهذه الطريقة يعتمد على مكانة السجين وقدرته على جذب السجان أو صبي السجن. ومما ذكر حول ذلك عملية هروب جانبك الصوفي من الإسكندرية.(٦)

د- قتل السجان:

كان يتم ذلك في حالات الهروب الجماعي. كما حدث حين قَتَلَ مساجينُ المقشرة سجّانهم وخرجوا جميعهم (٧).

سابعاً: التعذيب في السجون

كان تعذيب المساجين أمراً شائعاً في العصر المملوكي، فقليلاً ما سُجِنَ شخص دون أن يُعَذَّبَ. أما أهم وسائل التعذيب فهي:

أ- **التسمير**: يتم بوضع الشخص المراد تعذيبه على لوح من الخشب، أُعِدَ على شكل

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 425. يدل رأي ابن إياس على أن من أطلق عبارة "تكا يا منصور" هم المساجين وليس الحرس كما ذكر المقريزي. انظر: المقريزي: السوك، ج3، ق2، ص 697.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص ص 288- 289.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 427.
(٤) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 391؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 66؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص329.
(٥) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 391؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص66.
(٦) السخاوي: وجيز الكلام، ج2، ص 475.
(٧) المصدر نفسه، ج2، ص 607..

صليب[١]، سمي في العصر المملوكي باللعبة[٢]، وتدق فيه أطراف الشخص بالمسامير[٣]. والتسمير قسمان: تسمير عطب وهو الذي يراد فيه القتل، وتسمير سلامة وهو الذي لا يراد منه القتل[٤]، مما يعني أن من يُسمّر وتفك عنه المسامير قد يعيش. كما يندرج تحت التسمير ما عُرف: بالتسمير بالقباقيب، حيث تدق كعبي الشخص على خشبة أشبه بالنعل ويجبر على المشي[٥].

وكان التشهير بالشخص المسمّر جزءاً من هذه العقوبة لذا يجري تثبيته مع الخشبة على ظهر جمل، ويطاف به في الطرقات[٦]. ومن أشهر حوادث التسمير في العصر المملوكي، حادثة تسمير صلاح الدين خليل بن عرام، نائب الإسكندرية، الذي أشتهر عنه أبيات من الشعر قالها

أثناء الطواف به في شوارع القاهرة، حيث سُمع يقول:[٧]

لك قلبي تَعلّهُ	فدمي لم تُحلّهُ
قال إن كنت قاهراً	فلي الأمر كله

ويُنادَى على المُسمَّر بعبارات تختلف تبعاً لذنبه، فعندما أتهم أحد المماليك بإقامة الفتنة بين الأمراء، سُمّر به على جمل ونودي: "هذا جزاء من يرمي الفتنة بين الأمراء ويتكلم فيما لا يعنيه"[٨].

ب- العصر: يتم بوضع الشخص المراد تعذيبه في آلة تسمى: المعصرة، وتتكون من خشبتين مربوطتين ببعضهما، يوضع بينهما وجه الشخص، أو رأسه أو رجلاه، أو عقباه، ثم تشد

(١) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 44.
(٢) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج11، ص 150.
(٣) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 44.
(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص 150، هامش (4).
(٥) انظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 182. وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج9، ص ص 122-125.
(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق3، ص 208؛ موير: تاريخ المماليك، ص 119، حاشية (2).
(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص ص 151- 152. وانظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ص 34، مع الاختلاف في صدر البيت الثاني.
(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق3، ص 217.

الخشبتان شداً وثيقاً مما يؤدي إلى كسر العظم[١]. وتزداد قسوة العصر تبعاً للمكان المعصور من جسمه[٢]، وبدرجه تقريب آلات العصر منه[٣]، فقد يكون العصر في الأصداغ[٤]، أو في الكعبين،[٥] وقد يكون التعصير متكرراً وفي أكثر من مكان[٦].

ج- **التوسيط**: وهو شكل من أشكال الحكم بالإعدام في العصر المملوكي، وطريقته، بأن يُعّرى الشخص من الثياب، ثم يُشّدُ إلى خشبة مطروحة على الأرض، ويضرب بالسيف تحت سُرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين، فتنهار أمعاؤه إلى الأرض[٧]. ونهاية التوسيط دائماً هي الموت، يأتي قبلها وسائل تعذيب مختلفة[٨].

د- **الخوزقه**: انتشرت طريقة الخوزقه في أواخر العصر المملوكي[٩]، والخازوق: لفظ من أصل تركي (قازيق) أي الوتد، وهو عمود مدبب كانوا يُجلسون عليه من يحكم عليه بالإعدام، ليموت موتاً بطيئاً أليماً بنزيف الدم، وتمزق عورته وأمعاؤه، ويكون طوله أكثر من 70 سم[١٠].

وكانت الخوازيق على أنواع، منها ما يضرب في الأرض، ويوضع في أعلاها صاري ببكرة، فإذا عُلِقَ عليه الشخص، جذب إلى أعلى، ثم يرخى إلى أن يقع على الخازوق، فيخرج من جسده حيث يقع منه[١١]. والنوع الثاني من الخوازيق يكون غليظاً[١٢]. وإذا كان النوعُ الأولُ أشبه بآلة من الآلات، فالنوع الثاني: هو النوع التقليدي المعروف، تزداد قسوته، كلما ازداد غلظه.

---

(١) العيني: عقد الجمان، ج3، ص 29، حاشية (2).
(٢) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 431.
(٣) الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 522.
(٤) المقريزي: السلوك، ج2، ص 664.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 379. .
(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 242.
(٧) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 48.
(٨) المنجد: أماكن القصاص في دمشق، مج 48، ص 557.
(٩) المرجع نفسه، مج 48، ص 559.
(١٠) دهمان: معجم ألفاظ التاريخية، ص 66.
(١١) العيني: عقد الجمان، ج4، ص 293.
(١٢) ابن طولون: إعلام الورى، ص 171؛ ومفاكهة الخلان، ق1، ص 287.

هـ- **التكحيل**: توكل مهمة التكحيل لرئيس الكحاليين[١]، والكحّالُ: هو طبيب العيون[٢]. وتنفذ بطريقتين: إما بأن يُحمّى ميل حديد بالنار، وتكحل به عين المذنب فيفقد عينه[٣]، أو بغمس الميل بمادة تسمى " أبي عيش" كفيلة بأن تذهب البصر[٤]، وقد يكحل الشخص مرتين، وصولاً إلى فقدان البصر تماماً[٥]. كما قد تكحل إحدى عينيه ثم تسمل[٦].

و- **التسعيط**: ويتم باستخدام الماء والملح والخل أو الجير وغير ذلك، وقد يُسعط الشخص باستخدام كل المواد السابقة، كما في حادثة تسعيط موسى بن التاج اسحق، حيث استمرت هذه العقوبة عليه طيلة مدة سجنه والتي استمرت ستة أشهر حتى مات[٧]. واستخدمت عقوبة التسعيط بالملح مع سعد الدين البقري وولده بالإضافة إلى الضرب بالمقارع والعصي[٨].

ز- **الشنكلة أو التعّليق**: تتم هذه العقوبة بأن يُعلَّقَ الشخص من أصابع يديه أو رجليه بطرف عالٍ كشجرة أو شباك حديد، وقد طُبِّقَتْ هذه العقوبة على الحاج محمد بن الاهناسي الوزير، حيث علق من أصابع يديه في شباك حديد[٩].

ح- **الضرب بالمقارع**[١٠]: استخدمت المقارع في عملية الضرب وغالباً ما يكون على الرجلين أو الظهر[١١]، وتزداد شدة العقوبة بزيادة عدد الضربات، فقد ذكر العسقلاني أن سعد الدين بن البقري ضرب ثلاثمائة ضربة على رجليه وظهره[١٢]، وغالباً ما يترافق الضرب بالمقارع مع عقوبات أخرى كما في حالة موسى بن التاج الذي ضُرِبَ بالمقارع وعُصِرَ وسُعِطَ بالماء، والملح، والخل، والجير[١٣].

---

(١) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 300.
(٢) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 129.
(٣) دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 48.
(٤) ابن أيبك: كنز الدرر، ص 300.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 203.
(٦) المرجع نفسه، ج2، ق1، ص 132.
(٧) المرجع نفسه، ج2، ق2، ص 506.
(٨) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 442.
(٩) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 20.
(١٠) المقارع: المِقْرَعَةُ: السوط، وقيل خشبة تضرب بها البغال والحمير، والجمع مقارع. الزبيدي: تاريخ العروس، ج21، ص ص 546- 547.
(١١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص ص 133- 134.
(١٢) المصدر نفسه، ج2، ص ص 133- 134.
(١٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 506.

ط- **السلخ والحشو**: كسلخ الجسد والرأس،[١] وغالباً ما يترافق السلخ مع الحشو، حيث يستخدم القطن أو التبن[٢]، أو الملابس[٣] في حشو الجثة بعد سلخها.

ك- **الخوذة الحاميــة**: من الأساليب التي اتبعت في التعذيب الخوذة الحامية، حيث تُحمى الخوذة، ثم توضع على الرأس[٤]. وقد عوقب ابن الطبلاوي بهذه الطريقة ثم سجن فـي خزانـة شمائل[٥].

ثامناً: حالات الوفاة ومراسيم الدفن

أ- محاضر الوفاة:

كانت الوفاة داخل السجن أو في المنافي خاصة في حالة كبـار الأمـراء تقتـضي كتابـة محضر بأسباب الوفاة. فلما توفي المنصور عبد العزيز وإبراهيم أبناء الظاهر برقوق المنفيـين في الإسكندرية ونقلا ليدفنا في القاهرة. أُحضر مع الأمير الموكل بنقلهما محضراً يثبت أنهمـا "ماتا بقضاء الله وقدره"[٦] وبعد أن سجن الأمير سيف الدين قجماس ابن عم الظاهر برقوق في قلعة دمشق، وقد قبض عليه جريحاً أثناء حصار برقوق لدمشق، توفي فـي الـسجن، فأثبـت محضر أنه مات من الضربة التي أصابته في الحصار.[٧]

ونظراً لشيوع حوادث القتل داخل السجن بأمر من السلاطين أو من ينوب عنهم. كان يـتم تزوير بعض محاضر الوفاة. ومن أمثلة ذلك إرسال محضر إلى القاهرة بوفـاة جماعـة مـن الأمراء المسجونين في سجن الفيوم بسبب سقوط حائط عليهم، وقد وُصِفَ هذا المحـضر بأنـه مفتعل[٨]. أعده والي الفيوم بعد أن أرسل إليه صراي تمر نائب الغيبة بالقاهرة أمراً بقتلهم.[٩]

---

(١) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 234، 402؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج8، ص 23.
(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 53.
(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج8، ص 23.
(٤) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 1178.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 499.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج6، ص ص 3- 4 .
(٧) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 631.
(٨) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص 696؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 287.
(٩) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 323.

ب- إخراج جثة السجين:

يرى البغدادي أن إخراج السجين المتوفى من العامة من سجن الوالي قد لا يسمح به إلا بعد دفع مبلغ من المال للسجان. وقد بنى هذا الإفتراض على ما كان يفرضه والى القاهرة على الناس من رسوم مقابل السماح بدفن موتاهم(١).

وتختلف طريقة إخراج جثة السجين من الخاصة باختلاف ظروف الوفاة أو باختلاف مكانة السجين. ويعرض هنا نماذج لثلاث حالات مختلفة. الحالة الأولى منها: عندما أمر المنصور قلاوون بسجن حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في سجن قلعة الجبل وقتله داخل السجن. فبعد أن أدخل السجن تعرض للتعذيب لمدة ثلاث أيام(٢) ثم قتل خنقاً.(٣) وبقي ثمانية أيام مطروحاً في السجن ثم أُفرج عن جثته ملفوفاً في حصير ليغسل ويُدفَن.(٤) وعندما جُهِّزَ ليغسل وجد وقد "تهرأ لحمه وتزايلت أعضاؤه" (٥).

أما حالة الوفاة الثانية: فهي وفاة قطلوقتمر البدري سكراناً في سجن الإسكندرية(٦) وفيها تم دفن جثة قطلوقتمر في دهليز السجن(٧) من غير غسل ولا صلاة.(٨)

الحالة الثالثة في هذا الموضع: وفاة ابن تيمية في إحدى قاعات قلعة دمشق سحر ليلة الاثنين 20 ذي القعدة سنة 728هـ/ 1328م(٩) فبعد أن مرض ابن تيمية بضعه وعشرين يوماً. توفي فذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع وتكلم به الحرس على الأبرجة فتسارع الناس بذلك فاجتمعوا حول القلعة ففتحت أبوابها وأذن لهم بالدخول عليه، وكان قد حبس عنده قبل غسله جماعة من أصحابه قرأوا القرآن عنده(١٠).

---

(١) البغدادي: السجون في مصر، ص 121. وحول الرسوم التي يفرضها الوالي على أهل الميت. انظر: المقريزي: السلوك، ح4، ق1، ص ص 453- 454.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص 323.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص365- 366.
(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 757.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص 323.
(٦) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 318.
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص215.
(٨) ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 235؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 215.
(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ح14، ص 135، 148؛ ابن حبيب: درة الأسلاك، ورقة 76.ب، 98.ب؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 85.
(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ح14، ص148؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص ص 85- 86.

ويُلاحَظُ من خلال حادثة وفاة ابن تيمية أنه غسل، وكفن، وصلي عليه، وانتظره مشيعوه في المكان الذي سجن فيه.(١)

تاسعاً: أماكن النفي:

النفي لغة: هو التغريب(٢)، والطرد(٣)،والنفي اصطلاحا: إخراج أرباب الفساد والمغضوب عليهم من أوطانهم أو من الأماكن التي يعملون بها. (٤)

أ_ أماكن النفي داخل مصر

1 - **دمياط**(٥):

كانت دمياط أهم المنافي خلال العصر المملوكي(٦) وكان المنفيون إليها ينقسمون إلى قسمين: القسم الأول: المنفيون الذين كانوا يتهمون في بعض القضايا السياسية ويرسلون إليها مباشرة. فقد تم نفي الأمير طقزدمر بعد أن تولى قوصون نيابة السلطنة مكانه وتحكم في أمر الدولة (٧). كما قام منطاش بنفي عدد من الأمراء الألوف وذلك بعد خلع الظاهر برقوق(٨).

القسم الثاني: المنفيون الذين يتم نفيهم بعد إخراجهم من سجن الإسكندرية مثل الطنبغا العثماني، وبطا الطولوتمري، والطنبغا شادي(٩). بالإضافة إلى طشتمر العلائي وجلبان الكمشبغاوي نائب حلب.(١٠)

2 - **قوص**:

كانت قوص من أقسى أماكن النفي داخل مصر(١١)، واتخذها المماليك مكاناً لنفي الخلفاء ومن عزل من السلاطين، وأبناء السلاطين السابقين، كما اتخذها الأمراء أصحاب النفوذ مكاناً

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ح14، ص148؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص ص 85- 86.
(٢) الجوهري: الصحاح، مادة غرب؛ الموسوعة الفقهية، ج16، مادة حبس .
(٣) الجوهري: الصحاح، مادة نفى.
(٤) علاء طه: السجون والعقوبات، ص 138، حاشية (4).
(٥) تبعد دمياط عن القاهرة مسافة 191كم .
(٦)Ayallon, D: The Mamluk Military, P. ٣٦. سماها Ayallon بأكبر مركز للبطالين " المنفيين" .
(٧) ابن إياس: بدائع الزهور،ج1، ق2، ص 491.
(٨) المرجع نفسه، ج2، ق2، ص 413.
(٩) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 216؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج2، ص 287.
(١٠) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 607.
(١١) Ayallon, D: The Mamluk Military, P.٣٧

لنفي خصومهم وأتباع هؤلاء الخصوم، واتخذت كذلك للنفي في بعض المشاكل الأمنية والإدارية.

الخلفاء: ممن نفي إلى قوص من الخلفاء الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع بعد أن سجن في البرج الكبير من قلعة الجبل[١] ثم أفرج عنه سنة 737هـ/ 1337م وسفر بعدها إلى قوص[٢] وبلغ عدد من أخرج معه حوالي المائة شخص من حريمه وجميع أولاده وابن عمه[٣] وتولى عملية إيصال الخليفة ومن معه إلى قوص الأمير سيف الدين قطلوتمري وأوصى والي قوص "أن يحتفظ بأمرهم"[٤].

بقي المستكفي في قوص بقية حياته حتى توفي في مستهل شعبان سنة 740هـ/ 1339م.[٥] وخلال عملية النفي رتب له ومن معه ما يكفيه[٦] وقد بين المقريزي مقدار ما خصص له، إذ يقول: "وكان مرتبه في كل شهر خمسة آلاف درهم، فعمل له بقوص ثلاثة الآف درهم، ثم استقر ألف درهم فاحتاج حتى باعت نساؤه ثيابهن"[٧].

كما نفي إلى قوص الخليفة المتوكل على الله أثناء سلطنة الأشرف شعبان، وتحكم الأتابك أيبك بأمور الدولة، ولم يمكث الخليفة فيها حيث أعيد في اليوم التالي لوصوله إليها إلى القاهرة ليقيم بها "بطالاً"[٨].

السلاطين وأبناء السلاطين: نفي إلى قوص من السلاطين وأبناء السلاطين المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد وثلاثة من إخوته[٩] بعد أن دبر نائب السلطنة الأمير قوصون

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 472. وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج2، ص 194.
(٢) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 362، حاشية (4). وانظر: المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 416.
(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 416؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 204. وانظر: اليوسفي: نزهة الناظر، ص 363.
(٤) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 363.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 204؛ الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص 160؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 69؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 126.
(٦) اليوسفي: نزهة الناظر، ص 363.
(٧) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 417.
(٨) السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 232؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ، ص 231.
(٩) قيل أكثر من ثلاثة من أخوة المنصور. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 209. وانظر السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 68، 116.

لخلع المنصور بعد شهرين من توليه السلطنة[١]. وقد أُنزل المنصور أبو بكر في الدار التي أُنزل فيها الخليفة المستكفي أثناء إقامته في قوص، وعاش المنصور في قوص حوالي أربعة أشـــهر[٢] ثم قتل فيها[٣].

ونفي مع المنصور أخوه الصالح عماد الدين إسماعيل الذي تولى السلطنة سنة 743هـــ/ 1342م وكانت سيرته في مدة نفيه أحد أسباب اختيار الأمراء له لتولي هذا المنصب حيث كـــان يصوم الاثنين والخميس "ويشغل أوقاته في الصلاة وقراءة القرآن مع العفة ... والصيانة"[٤].

الأمراء: تم نفي عدد من الأمراء إلى قوص أيضاً لاسيما من شـــارك فـــي الـــصراعات السياسية بين الأمراء، فتبين الروايات في المصادر أن العناصر المؤثرة بـــشكل مباشـــر كانـــت تسجن في الإسكندرية، أو تنفى إلى دمياط أما العناصر المشاركة فتنفى إلى قوص ومن الأمثلـــة على ذلك: ما تم زمن الأشرف شعبان إثر الصراع بين الأمير طشتمر الأتابـــك وبـــين الأميـــر برقوق أمير آخور حيث دبر برقوق للقبض على طشتمر، فقبض عليه مع كبار مناصـــريه مـــن الأمراء وأرسلهم إلى سجن الإسكندرية، كما قبض على عدد من مماليكه ونفاهم إلـــى قـــوص[٥]. وما حدث بعد أن أصبح برقوق أميراً كبيراً وتغلب على خصمه بركه، حيـــث ســـجن مجموعـــة كبيرة من الأمراء في الإسكندرية ثم أفرج عن بعضهم ونفاهم إلى قوص[٦].

3- الإسكندرية:

نُفِيَ إلى الإسكندرية أبناءُ السلاطين كما نُفِيَ إليها كبارُ الأمراء، فقد قام الناصر فرج بـــن برقوق بنفي إخوانه المنصور، عبد العزيز، وسيدي إبراهيم وأخرج معهما أمهاتهمـــا وخـــدمهما. وأوكل مهمة إيصالهم إلى الإسكندرية إلى الأمير قطلوبغـــا الكركـــي، والأميـــر إينـــال حطـــب العلائي[٧] وخصص لأخويه ومن معهما خمسة آلاف درهم، ولكل من الأميرين المرافقين ألـــف درهم. [٨]

---

(١) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص 231؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 69.
(٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص 116؛ ابن طولون: أعلام الورى، ص15.
(٣) ابن طولون: إعلام الورى، ص15. وانظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 136.
(٤) المقريزي: السلوك، ج 2، ق3، ص 619.
(٥) المقريزي: السلوك، ج 3، ق1، ص 323. وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، 236.
(٦) المقريزي: السلوك، ج 3، ق1، ص 323؛ وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، 236.
(٧) المقريزي: السلوك، ج 4، ق1، ص 31؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 252.
(٨) المقريزي: السلوك، ج 4، ق1، ص31. المبلغ للمرافقين يسمى أجور تسفير. انظر: نقل المساجين.

وكانت وفاة إخوان المنصور بعد أقل من شهرين مثاراً للإشاعة بين الناس حيث "لهج الناس أنهما ماتا مسمومين"(١).

وشاركت مدينة دمياط مدينة الإسكندرية باستقبالها لبعض المنفيين، فعندما قبض قوصون نائب السلطنة للأشرف كجك على عدد من الأمراء نفى النائب السابق طقزدمر إلى دمياط ونفى جماعة من الأمراء إلى الإسكندرية(٢). وبعد أن تغلب منطاش على يلبغا الناصري، قبض على تسعة أمراء مقدمي ألوف، ونفاهم إلى الإسكندرية، ونفى جماعة إلى دمياط(٣).

4- أسوان:

كان غالبية المنفيين إلى أسوان من المماليك. فقد نفي إليها عدد كبير من المماليك اليلبغاوية زمن الأشرف شعبان(٤)، كما نفي إليها الطواشي سابق الدين مثقال الأنوكي مقدم المماليك السلطانية(٥).

5- الواحات: (ألواح)

اختيرت الواحات الواقعة في الصحراء الغربية لمصر(٦) مكاناً للنفي، وكانت الإشارات نادرة حول حوادث النفي إليها. حيث نفي إليها القاضي ابن الأثيري الشافعي. فبعد شكوى رفعها ضده أحد قضاة الشافعية في حلب استقدم ابن الأثيري إلى القاهرة ثم أخرج منها إلى قوص أولاً ومكث بها ثلاثة أيام ثم نقل إلى (ألواح) وبقي فيها حوالي شهر(٧).

ب- أماكن النفي خارج مصر

1- القدس:

كانت القدس من أماكن النفي المهمة في العصر المملوكي(٨) ،وذلك لأسباب تعلقت برغبة السلاطين بالنفي إليها دون غيرها.وهي: العزلة النسبية للمدينة من جهة وقربها النسبي من مصر

(١) المقريزي: السلوك، ج 4، ق1، ص 33.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 491.
(٣) المصدر نفسه، ج1، ق2، ص 413.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 71.
(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 1116.
(٦) المصدر نفسه، ج3، ص 1089.
(٧) المصدر نفسه، ج3، ص 1089.
(٨) Ayallon, D: The Mamluk Military, P.٣٤. وانظر: الإمام: مدينة القدس، ص 114؛ علي السيد: القدس، ص 37.

من جهة أخرى، وانعدام وجود حامية عسكرية من مصر في المدينـــة يمكـــن أن تتخـــذ كعامـــل مساعد في قيام ثورة أو عصيان، بالإضافة إلى اعتدال المناخ ووجود الأماكن المقدســـة وهمـــا عاملان أخذا بعين الاعتبار لمن يتم تخفيف حكم النفي عليه(١).

وتحمل إحدى الروايات لمؤرخ القدس الحنبلي حول المنفيين إلى القدس ما يظهر أن وجود هؤلاء كان أمراً واقعاً، فأسماهم: "المقيمين"(٢). يقول الحنبلي: "بعيـــد تـــولي الأشـــرف قاتيبـــاي السلطنة في رجب من سنة 872هـــ/ 1467م أصدر مرسوم بالإفراج عـــن الأمـــراء المقيمـــين بالقدس منذ زمن الظاهر خشقدم، و بعد خروج هؤلاء وقبل وصولهم القاهرة أعيد النظر بأمرهم "فرسم بعودتهم إلى القدس الشريف، فعادوا على ما كانوا عليه"(٣).

وأورد الحنبلي في رواية أخرى حادثة نفي عدد من الأمراء بين دوادار ومحتسب وأنهـــى الرواية بقوله: فمنهم من أقام بالقدس إلى أن توفي ومنهم من أفرج عنه بعد ذلك"(٤). وقـــد شـــكل هؤلاء المنفيون فيما بعد فئة من فئات السكان في القدس خلال العصر المملوكي خاصة أن مـــنهم من استصحب عائلته وأتباعه.(٥)

ويبدو أن النفي إلى القدس كان أهون الشر على المنفيين، ومن هنا فإن بعضهم كان يوسط حتى ينفى إلى القدس ومن بين هؤلاء: الأمير طراباي الظاهري الذي شُفِعَ فيه فأُفرِجَ عنه مـــن سجن الإسكندرية زمن الأشرف برسباي وصدر قراراً بنفيه إلى دمياط(٦). ويبـــدو أنـــه وظـــف شفاعة أخرى قبيل إخراجه إليها، حيث يذكر الصيرفي أن الأشرف برسباي عطف عليه "ورسم بإطلاقه لكن شرط توجيهه إلى القدس الشريف"(٧).

وقد تمكن بعض المنفيين في القدس من تولي بعض الوظائف، فعندما أُخرج الأمير بوري الأحمدي إلى القدس منفياً "أنعم عليه بنظر مسجد القدس والخليل عليه السلام"(٨).

---

(١) Ayallon, D: The Mamluk Military, P.٣٤
(٢) الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص 283.
(٣) الحنبلي: الانس الجليل، ج2، ص 283
(٤) المصدر نفسه، ج2، ص 283.
(٥) الإمام: مدينة القدس، ص ص 114- 115.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 65
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص95.
(٨) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص 232.

أما الفئات التي كانت تنفى إلى القدس فهي تقع تحت فئتين: الأولى: أربـــاب الوظـــائف خاصة الديوانية منها، والثانية: نواب المدن الشامية.

أربابُ الوظائف: نفي إلى القدس عددٌ منهم مثل الأمير آقبعا بن عبد الله الدوادار الذي نفي بطالا زمن الأشرف شعبان(١)، والأمير يشبك المحمدي الدوادار الكبير الذي نفي زمن الأشـــرف برسباي(٢)، ونائب القلعة تغري برمش بن عبد الله الجلالي المؤيدي الذي نفي زمن المؤيد شـــيخ بسبب جهله بالأمور الإدارية ولأنه كان "يداخل السلطان فيما لا يعنيـــه"(٣)، كـــذلك نفـــي قـــشتم الناصري كاشف البحيرة بأمر من الظاهر جقمق(٤)، ونُفِيَ أيضاً أمير الحاج سيف الـــدين تنبـــك المحمدي وذلك بأمر من الأشرف قايتباي.(٥)

نواب المدن الشامية: يرد في المصادر إشارات تبين اختيار القدس لنفي هذه الفئـــة مثـــل: نائب حلب ثم دمشق أرغون الكاملي الذي نفي إليها ومات فيها سنة 758هــ/ 1356م(٦)، وكذلك الأمير تغري بردي نائب دمشق(٧)، والأمير ططر نائب حلب(٨).

وممن نُفِيَ إليها أيضاً اشقتمر المارداني الذي تولى نيابة حلب أربع مرات، وطرابلس مرة واحدة، وسجن في الإسكندرية ثم نفي إلى القدس بطالاً سنة 780هــ/ 1378م(٩) ثم تولى نيابـــة حلب للمرة الخامسة فنيابة دمشق ثم نفي إلى القدس بطالاً سنة 784هــ/ 1382م(١٠) وتوفي فيها منفياً سنة 791هــ/ 1388م(١١). كما نفي إلى القدس بطالاً نظيـــر اشـــقتمر وخـــصمه بيـــدمر الخوارزمي(١٢) نائب الشام وذلك سنة 781هــــ/ 1379م بعـــد أن أفـــرج عنـــه مـــن ســـجن الإسكندرية.(١٣)

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 83.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 136.
(٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص 274.
(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص 257؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 206.
(٥) الصيرفي: إنباء الهصر، ص 303.
(٦) المقريزي: السلوك: ج3، ق1، ص 36.
(٧) ابن حجر: إنباء الغمر، ج5، ص 19.
(٨) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 51.
(٩) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص ص306- 307. وانظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 271، 780.
(١٠) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص307.
(١١) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 278.
(١٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص307.
(١٣) ابن إياس:بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 244- 245. وانظر: ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص8.

2- دمشق:

أطلق اسم "الشام" في العصور الإسلامية وفي العصر الحاضر على مدينة "دمشق" ولكن في هذا الموضع يصعب اعتبار ما ورد في المصادر حول عمليات النفي إلى الشام أنه يعنى بها مدينة دمشق فقط، ومن الأدلة على ذلك ما ذكره ابن إياس في أحداث سنة 767هـ/ 1365م عن قيام الأشرف شعبان بالإفراج عن جماعة من الأمراء وإرسالهم إلى الشام... ومن بين هؤلاء الأمراء: طيبغا الطويل الذي أرسله إلى القدس بطالا.[١]

ومن جهة أخرى يصعب الجزم بأن "الشام" تشمل المدن الواقعة في إقليم الشام الجغرافي، ومن الأدلة على ذلك ما ذكره الصيرفي عن حادثة نفي ثلاثة من الأمراء تمت سنة 817هـ/ 1414م حيث يقول "الأمير طقز نفي إلى الشام والأمير منطاش إلى صفد والأمير تنبك إلى طرابلس"[٢].

من هنا فإن ما يُؤْخَذُ به هو من اقترنت عملية نفيه باسم المدينة، ومن هؤلاء الأمير بدر الدين محمد بن الوزيري الذي نفاه الناصر محمد إلى دمشق، وأنعم عليه بما يخصه من خمس ملطية وهو خمسين ألف درهم[٣]. والأمير أيدكين والي القاهرة الذي نفي أيضاً زمن الناصر محمد[٤].

وكثرت حوادث نفي البطالين إلى دمشق واعتبر النفي إليها أخف وطأة من النفي إلى مدن الشام المحصنة[٥] فحين نفي آقطوه الموساوي أحد أمراء الطبلخانة إلى طرطوس شُفِعَ فيه فتوجه إلى دمشق بطالا[٦].

3- الكرك[٧]:

---

(١) ابن إياس:بدائع الزهور، ج1، ق2، ص ص 28- 29.

(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج ، ص 344.

(٣) المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص144

(٤) المرجع نفسه، ج2، ق2، ص377

(٥) Ayallon, D: The Mamluk Military, P.٣٧ حيث يقول أن الأمراء المنفيون إلى طرطوس مثلا يتلقون عفوا جزئياً ويتم ارسالهم الى دمشق بطالين.

(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 488، حاشية (1). وانظر: ابن حجر : إنباء الغمر، ج3، ص31.

(٧) حول وصف المدينة بالإضافة إلى قلعتها أنظر: ابن بطوطة: الرحلة، ج1، ص 106؛ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص 38؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج2، ق2، ص69؛ غوانمة: إمارة الكرك، ص 143.

اختيرت الكرك مكاناً لنفي من خلع من السلاطين وإخوانهم وأفراد أسـرهم ومـن أريـد أبعادهم من أبناء وأحفاد السلاطين السابقين، وكذلك من كبار الأمراء فتحدثت المصادر عن نفـي أبناء الظاهر بيبرس، ونفي الناصر محمد ونفي إخوة وأقارب الأشرف شعبان إضافة إلـى نفـي عدد من الأمراء.

أما بالنسبة لأبناء الظاهر بيبرس ففي ربيع الأول من سنة 678هـ/ 1279م نفي الملـك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس بعد أن خلع من السلطنة كما نفي معه أخوه خضر،[١] وبعد ثلاثة أشهر من خلع بركة ونفيه أُلحق به أخوه بدر الدين سلامش[٢] وكان قد بويـع بالـسلطنة ولقـب بالملك العادل وعمره سبع سنين[٣]" وكانت مدة ملكة مائة يـوم"[٤]، وبعـد ذلـك بـسنتين سـنة 680هـ/ 1281م أُخرج كل آل الظاهر بيبرس من الأولاد[٥]، والنساء والمماليك والخـدم إلـى الكرك[٦].

وكانت الكرك في بعض الأحيان موقع تفاوض بين المنفيين والسلاطين فبعـد أن سـاءت العلاقة بين كبار الأمراء وبين الملك السعيد بركة[٧] تآمروا عليه وخططوا لخلعـه مـن الحكـم، وكشف قلق والدته وإدراكها بأن أمر خلعه وحتى نفيه أصبح متوقعاً فحاولت التوسـط وإنقـاذه وجاء حوارها مع قلاوون المتكلم باسم الأمراء ليكشف عن ذلك وكان مما قالته: "إن كـان لكـم غرض في الملك فخذوه ودعوني وولدي ننضوي إلى جهة تختارونها ولا تؤذوني فيه"[٨].

وحين تم التفاوض بين السلطان بركه والأمراء تم الإتفاق على أن يخلع بركه نفسه مقابـل أن يعطى الكرك، وفي الوقت الذي بايع الأمراء سلامش بن الظاهر بيبرس بالسلطنة أخرج بركة

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص344؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص322؛ الذهبي: دول الإسـلام، ج2، ص138؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص220؛ البخيت: مملكة الكرك، ص85.
(٢) البخيت: مملكة الكرك، ص85.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص322؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص411؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص104.
(٤) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص658.
(٥) البخيت، مملكة الكرك، ص85.
(٦) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص704؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص281؛ الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص131.
(٧) حول العلاقة بين بركه ورفاق أبيه من كبار الأمراء. انظر:على سبيل المثال: المقريزي: الـسلوك، ج1، ق2، ص ص645- 646 .
(٨) العسقلاني: الفضل المأثور، ص44. - أم الملك السعيد هي ابنة حسام الدين بركه خان بـن دولـة خـان الخوارزمي اليمكي. انظر: ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص232.

إلى الكرك" فوصل إليها وتسلمها بما فيها من أموال وكان شيئا كثيرا"(١) وأعطيت الشوبك لأخيه خضر(٢). ويؤكد ابن كثير ذلك حيث يقول" وكتبت بذلك مكاتيب ووضع القضاة والمفتون خطوطهم بذلك"(٣).

وبعد ذلك قام قلاوون الذي كان أتابك السلطان سلامش بخلع سلامش، وإخراجه إلى الكرك عند أخويه، وتنصيب نفسه سلطاناً وذلك في رجب من سنة 678هـ/ 1279م(٤) ، كما شهد شهر ذي القعدة من نفس السنة وفاة الملك السعيد بركة(٥).

وتبين الأحداث التالية، الخطأ الذي وقع فيه الأمراء وخاصة قلاوون عندما نفوا أبناء الظاهر بيبرس إلى الكرك، فعند وصول الملك السعيد إليها عين الأمير علاء الدين ايدغدي الحراني نائباً له، بدل علاء الدين الفخري الذي رجع إلى مصر، فقام ايدغدي بعد وفاة الملك السعيد بتنصيب الأمير خضر مكان أخيه ولُقّبَ بالملك المسعود(٦).

لقد شكل مماليك الظاهر بيبرس وهروب عدد منهم إلى المسعود خضر، ومن خرج منهم مع سلامش قوة لا يستهان بها ومن هنا أخذ الملك المسعود يتطلع للسيطرة على مناطق مجاورة للكرك، ولم يكترث لشروط قلاوون عندما نفاه مع إخوته إليها، بأن لا يتعرض "إلى ما عداها من البلاد"(٧).

وقد كان لحصانة الكرك من جهة وعناية الظاهر بيبرس بأمور المدينة أثناء سلطنته من جهة أخرى دوراً في نجاح ما اعتمده الملك السعيد بركة حيث استفاد مما خزن والده الظاهر بها "من الأموال الجزيلة والذخائر الكثيرة"(٨) في تقوية نفسه وفي استمالة أهالي الكرك والعربان

---

(١) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص344. انظر: ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص220؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص70
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج31، ص322.
(٣) المصدر نفسه، ج31، ص322.
(٤) أبو الفداء: المختصر، ج2، ص345؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص70.
(٥) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص ص 25-26؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص220؛ ابو الفداء: المختصر، ج2، ص 356؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج21، ص 277؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص93.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 26 ؛ ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص220؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص93.
(٧) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص70.
(٨) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص70 .

المقيمين حولها، والنجاح في أخذ الشوبك(١) والبلقاء والتطلع نحو صرخد ومراسلة شمس الدين سنقر الأشقر نائب دمشق الثائر على قلاوون(٢).

وإذا كان الربط بين الملك المسعود وسنقر الأشقر بعيد عن موضوع البحث، إلا أنه يمكن القول أن أبناء الظاهر بيبرس ومماليكه تحولوا من منفيين إلى ثوار مما اضطر المنصور قلاوون إلى التفاوض ثم عقد صلح معهم سنة 680هـ/ 1281م حيث أقرهم على الكرك وأعمالها من حد الموجب إلى الحسا، ووافق على شروطهم التي كان فيها: تجهيز الأخوة الذكور والإناث أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى الكرك ورد أملاك الظاهرية إليهم(٣).

ويبدو أن المسعود قد أخل بشروط الاتفاق مع المنصور القلاوون، فقام قلاوون سنة 685هـ/ 1286م بإرسال تجريدة بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة، فحاصر طرنطاي الكرك إلى أن استسلم المسعود وأخوه سلامش في صفر من السنة المذكورة فقُبِضَ عليهما واقتيدا إلى القاهرة وأسكنا في القلعة ثم سجنا وبقيا في السجن إلى ما بعد وفاة المنصور قلاوون حيث نفيا بعدها إلى القسطنطينية بأمر من الأشرف خليل بن قلاوون(٤).

أما الكركُ فكان طرنطاي قد تسلمها عند استسلام الملك المسعود وعين عليها عز الدين أيبك الموصلي نائب الشوبك(٥)، ثم زارها المنصور قلاوون في نفس السنة وتفقد أحوالها(٦).

الناصر محمد بن قلاوون: نفي الناصر محمد إلى الكرك سنة 696هـ/ 1296م بأمر من السلطان لاجين(٧) وأعيد إلى القاهرة سنة 698هـ/ 1298م فتولى السلطنة للمرة الثانية(٨).

---

(١) حول الشوبك التي أعطيت لخضر بموجب اتفاقية تنازل الملك السعيد بركه عن السلطنة يذكر بيبرس الدوادار أن الملك السعيد عند وصوله إلى الكرك أرسل جماعة لأخذها ولكن قلاوون أرسل تجريدة وسيطر عليها وعين نائبا من قبله عليها. انظر: بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 92.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص ص 26-27؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص ص 70-71.

(٣) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص 95.

(٤) النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 29؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 85؛ ابن حبيب: تذكرة النبية، ج1، ص 102؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص116؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص356؛ العيني: عقد الجمان، ج2، ص348، 350.

(٥) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص115.

(٦) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ص102؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص356.

(٧) بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص149، ومختار الأخبار، ص 104.

(٨) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص112؛ البخيت: مملكة الكرك، ص85.

وأقام الناصر محمد في الكرك من سنة 707هـ/ 1308م إلى سنة 709هـ/ 1309م، حيث خرج إليها بإرادته متظاهراً أنه يريد الخروج إلى الحج وبعد أن وصل إليها ومكث بها مدة أرسل كتاباً إلى الأمراء في مصر يخبرهم بعزل نفسه(١).

ويُظْهِرُ نص الرسالة التي أرسلها المظفر بيبرس إلى الناصر محمد أن الكرك أصبحت منفى للناصر رغم خروجه إليها بإرادته، وقد أورد ابن إياس نصها على لسان المظفر بيبرس الذي قال يهدد الناصر "إذا أنت لم ترجع عن مكاتبتك للأمراء وإلا نقلتك من الكرك إلى القسطنطينية كما فعل الأشرف خليل مع أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري"(٢).

وكان للرسالة تأثير كبير على قرار الناصر فأسرع بالخروج من الكرك نحو دمشق ثم نحو القاهرة حيث وجد المظفر بيبرس قد هرب فتولى السلطنة للمرة الثالثة.(٣)

أقارب السلاطين: اتخذت الكرك مكاناً حصيناً لإبعاد وحجز من يخشى السلاطين أمرهم من أقاربهم ففي سنة 780هـ/ 1378م عندما قرر الأشرف شعبان أداء فريضة الحج، خاف أن يقوم أخوته وأبناء أعمامه بثورة أثناء غيابه فأرسلهم إلى الكرك(٤).

وعلى الرغم مما ذكره ابن حجر أن الأشرف أرسل أقاربه إلى الكرك فسجنوا بها" وأرسل معهم سودون الشيخوني ليقيم عندهم محتفظاً بهم"(٥) إلا أن عدم ربط المصادر التي أوردت الحادثة بأي اضطراب سياسي أو عسكري واختلافها في موعد إخراج أقارب الأشرف إلى الكرك ثم إرجاعهم إلى القاهرة(٦) تدل على أن وجودهم في الكرك كان نفياً وليس سجناً.

4- طرابلس(٧):

كانت حالات النفي إلى طرابلس لأسباب سياسية مباشرة ذات مساس بالسلطان أو بسبب تجاوزات فردية.

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 135؛ السيوطي: حسن المناظرة، ج2، ص 112؛ بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص191.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 425.
(٣) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص14؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6، ص 135.
(٤) البخيت: مملكة الكرك، ص85.
(٥) ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 192.
(٦) انظر الإختلاف عند: السخاوي: وجيز الكلام، ج1، ص 222؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص 304؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 200.
(٧) طرابلس: ومن أسمائها إياس وطرابليطا واطرابلس. ياقوت: معجم البلدان، مج4، ص25.

ومن الأمثلة على من تم نفيهم الابغا العثماني الذي نفاه الظاهر برقوق مع جماعة من المماليك بتهمة التدبير لقتله[١]. وتمراز المؤيدي الذي نفاه المؤيد شيخ يعد أن رأى منه" ما غير خاطره عليه"[٢]، كما نفي جماعة من الأمراء زمن الظاهر جقمق منهم سنطباي رأس نوبة الجمدارية، و يشبك الظاهري، ويشبك الساقي[٣]. ونفي بأمر من جقمق أيضاً إينال الساقي الظاهري بسبب ضربه كاتب من المماليك يسمى الزيني فرج[٤].

5- حلب:

كانت حلب من مناطق نفي الأمراء، فقد نفي إليها الأمير قراجا العمري الناصري والي الرجيبة بسبب سوء معاملته للحجاج[٥]. والشيخ اليحياوي بسبب شربه الخمر مع جماعة في بيته والعثور على أحد المماليك مقتولا فيه[٦]. كما نُفِيَ إليها شمس الدين الكاتب بسبب كلام صدر عنه "في حق الإمام الشافعي"[٧].

6- صفد[٨]:

نفي إلي صفد عدد الأمراء ممن تولوا وظائف إدارية عليا مثل الأمير ملكتمر بن عبد الله الناصري الذي وصل إلى وظيفة إستادار قبل أن ينفى في حدود سنة 771هـ/ 1369م[٩]، وكذلك صلاح الدين الدوادار الذي نفي سنة 773هـ/ 1332م بأمر من الناصر محمد، وقد أورد المقريزي سبب نفيه بأنه كان يعامل رفقاؤه بتكبر فانتهز شهاب الدين أحمد بن محي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر هذا الأمر "و ما زال به حتى أبعده السلطان" [١٠].

وتجدر الإشارة هنا أنه في حدود سنة 788هـ/ 1386 في السلطنة الأولى للظاهر برقوق شكل المنفيون جبهة معارضة خططت لقتل برقوق وكان المحرض والمتابع لهم شخص

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 94.
(٢) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 429.
(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 432.
(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص 257.
(٥) المصدر نفسه، ص 116.
(٦) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 119.
(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص ص 167- 168.
(٨) صفد أو صفت: تشرف على بحيرة طبريا وتربض على سلسلة جبال عاملة المطلة على حمص بالشام. للمزيد: انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص ص 154- 155؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 242؛ ياقوت: معجم البلدان، مج3، ص 214.
(٩) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 351.
(١٠) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص ص 361- 362..

يسمى ابن البجاصي فانكشف أمره وعُوقِبَ من قبل نائب صفد حتى مات(١).

7- غزة:

نفي إلى غزة مملوك أمرد يسمى: عمير أخرجه الناصر محمد مع أبيه سنة 735هـ/ 1334م "وكتب إلى نائبها أن يقطعه خبزاً هناك"(٢).

8- صرخد(٣):

اختيرت لنفي نائب الكرك زمن الناصر محمد، فأخرج إليها ولم يدخلها حيث صدر مرسوم بسجنه بقلعه دمشق ثم في صفد وبعدها الإسكندرية(٤). كما أمر الناصر محمد بنفي ابنه أحمد إليها ولم يتم نفيه حيث شفع فيه الأمراء ورجع من سرياقوس(٥).

9- الصبيبة(٦):

نُفِيَ إليها الأمير قراسنقر سنة 689هـ/ 1298م وبعد دخوله إليها عين نائبا على حماه(٧).

10- المرقب(٨):

نُفِيَ إليها بهادر الشهابي مقدم المماليك أثناء سلطنة حاجي بن الأشرف شعبان بعد أن اتهم بأنه أخفى برقوق عنده(٩) وذلك قبيل رجوع برقوق إلى الحكم.

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 181.
(٢) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 386.
(٣) صرخد: موضع بالشام ملاصق لحوران ولا يوجد وراء عمله من جهة الشرق والجنوب إلا البرية ومن جهة الشرق فيها طريق يعرف بالرصيف يصل إلى بغداد. ابو الفداء: تقويم البلدان، ص 258؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج14، ص 111. وتقع صرخذ اليوم في سوريا وتتبع لمحافظة السويداء. انظر: شعث: حلب، ص 4.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 186.
(٥) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 515.
(٦) الصبيبة: بلدة صغيرة تتبع مدينة بانياس سميت باسم قلعتها التي عرفت بالصبيبة. أما موقع بانياس فإلى الغرب من دمشق بميله نحو الجنوب. انظر: البغدادي: مراصد الأطلاع، ج1، ص 158؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 248؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ص 108.
(٧) ابن الوردي: تاريخ، ج2، ص ص 238- 239.
(٨) المرقب: تشرف على ساحل بحر الروم بينها وبين طرطوس اثنا عشر ميلاً. انظر: ياقوت: معجم البلدان، مج 5، ص 108؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 254.
(٩) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 221.

11- حماه:

نُفِيَ إليها عدد من الأمراء البطالين منهم صاحب الحجاب طيدمر الإسماعيلي(١) كما نُفِـيَ إليها سيف الدين القلمطاوي بعد أن عزل نيابة طرابلس(٢).

12- مصياف:

نُفِيَ إليها إياس الصرغتمشي الدوادار وذلك سنة 784هـ/ 1382م(٣).

13- مكة المكرمة والمدينة المنورة:

صنف Ayallon مكة والمدينة ضمن أماكن النفي القاسية خـلال العـصر المملـوكي(٤)، وممن نفي إلى مكة أفراداً من مجموعة قبض عليها سـنة889هـ/ 1484م بتهمـة الاشـتغال بالكيمياء.(٥) ونفي إلى المدينة الطواشي فيروز وبقي فيها سنة ثم أذن له بالرجوع، ومـن الـتهم التي وجهت إليه أخذ الرشوة.(٦) وذم أحد قضاة الـشرع أمـام الـسلطان وإسـاءة الأدب فـي حضرته(٧).

ج- أماكن النفي خارج حدود الدولة المملوكية

1- القسطنطينية :

أطلقت عليها المصادر المملوكية اسم بلاد الأشكري(٨).

اختار السلاطين المماليك القسطنطينية للنفي إليها منذ بدايات الدولة، ففي سنة 652هـ/ 1254م قام المعز أيبك بنفي الأشرف موسى بن الناصر يوسف إليها.(٩) وفي سـنة 657هـ/ 1258م قام المظفر قطز بنفي المنصور على بن أيبك وأخيه قاآن وأمهما.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص 283.
(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج3، ص 362.
(٣) ابن حجر: إنباء الغمر، ج2، ص 110.
(٤) Ayallon, D: The Mamluk Military, P.٣٧.
(٥) السخاوي: وجيز الكلام، ج3، ص 950.
(٦) ابن حجر: إنباء الغمر، ج8، ص 141.
(٧) الصيرفي: نزهة النفوس، ج3، ص 131.
(٨) انظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج5، ص411. انظر: المقريزي: السلوك، ج2، ج2، ق3، ص 749، الأشكري: وهو محرف من اسم أول امبراطور بعد استيلاء الصليبيين على القسطنطينية. وكان اسمه ثيودور لاسكاريس Lascaris (1254/ 1258م) وكان مقر حكمه مدينة نيقية. انظر: المقريزي: المقفـى، ج2، ص 538، حاشية (1) . وانظر: العيني: عقد الجمان، ج2، ص221 حاشية (2).
(٩) العيني: عقد الجمان، ج1، ص 221.

وقد اختلف المؤرخون عند الحديث عن خبر نفي المنصور علي حيث ذكر المقريــزي أن قطز وأخوه وأمه سجنوا في قلعة الجبل، ثم أرسلوا إلي سجن دمياط في برج السلــسلة قبــل أن يرسلوا إلى القسطنطينية(١). وذكر العيني: أنهم سفروا إلى الإسكندرية ومنها إلى القسطنطينية(٢).

أما بيبرس الدوادار فقد ذكر أنهم سجنوا في قلعة الجبل ثم أخرجوا إلى دمياط ليسجنوا في دار عمرها لهم قطز في برج السلسلة. دون أن يذكر خبر إخراجهم إلى القــسطنطينية.(٣) وأيــد ذلك ابن إياس الذي قال بأن المنصور أخرج مع إخوانه وأمه، وأضـــاف أن المنــصور مــات بدمياط ودفن فيها.(٤)

من خلال ما سبق وبعد افتراض صحة سجن أبناء أيبك وأمهما في دمياط يمكن القــول أن تسفيرهم بحراً من دمياط عبر المتوسط نحو الجهة الشمالية الشرقية أسرع وأسهل من الرجــوع غرباً عبر المتوسط إلى الإسكندرية ثم عبور البحر نحو القسطنطينية.

أما عن عودة قاآن فقد أُشِيرَ سابقاً إلى القبض عليه عند قبر أبيــه فــي ســنة 672هـــ/ 1273م بعد ست سنوات من نفيه مع أخيه(٥). ومن المرجح أنه عاد سراً دون أن يجــرؤ علـــى الدخول إلى القاهرة. وأن عودته كانت قبل ذلك فبين نفيه مع أخيه الــذي تــم ســنة 657هـــ/ 1258م وبين القبض عليه خمس سنوات وليس ست سنوات.

إضافة إلى ما سبق ذكره نفي إلى القسطنطينية سنة 690هـ/ 1291م أبنــاء الظاهــر بيبرس بدر الدين سلامش وأخوه المسعود خضر وأمهم(٦) ونسائهم(٧) وذلك بأمر مــن الأشــرف خليل. وقد تم إخراجهم ليلاً من القاهرة إلى الإسكندرية، وتولى مهمة إيصالهم عز الــدين أيبــك الموصلي الإستادار(١) الذي سفرهم عبر البحر المتوسط (٢).

(١) المقريزي: السلوك، ج1، ص 418؛ نصر الله: رحيل الصليبيين، ص 81.
(٢) العيني: عقد الجمان، ج2، ص 221.
(٣) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 10.
(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 32.
(٥) بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص 77؛ النــويري: نهايــة الأرب، ج30، ص 209. وانظــر: ســجن الفسطاط.
(٦) العيني: عقد الجمان، ج2، ص350؛ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية، ص116؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج1، ص 102؛ أبو الفداء: المختصر، ج2، ص 356؛ النويري: نهاية الأرب، ج31، ص 29.
(٧) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 775.

وتظهر أخبار أبناء الظاهر بيبرس في مـدة نفـيهم معاملـة الأشـكري – الإمبراطـور البيزنطي– لهم، ووفاة سلامش، والإجراء الرسمي الذي اتخذ لإعادتهم إلى مصر. فعند وصولهم إلى القسطنطينية أكرمهم الأشكري "وأجرى عليهم ما يقوم بهم"(٣).

ولم يسمح بعودة المنفيين(٤) إلا سنة 696هـ/ 1296م بعد أن تولى لاجين السلطنة وتطلب ذلك إجراء رسمي تمثل بكتابة لاجين إلى الأشكري كي "يجهز أولاد الملك الظاهر بيبرس إلـى القاهرة مكرمين"(٥). وفي ذلك ما يدعم القول أن دخول قاآن ابن المنصور أيبك إلى مصر قد تـم سراً.

قبرص:

أُطلِقَ عليها في المصادر: بلاد الفرنج(٦). نُفِيَ إليها سودون الجلب سنة850هـ/ 1402م زمن الناصر فرج.(٧)

---

(١) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 775. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج3، ص104.
(٢) العيني: عقد الجمان، ج3، ص88.
(٣) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 775س. وانظر: العيني: عقد الجمان، ج3، ص88.
(٤) توفي سلامش في القسطنطينية وعند عودة أمه إلى مصر نقلت الجثة معها ودفنتها فيها. انظر: المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص 828؛ العيني: عقد الجمان، ج3، ص104.
(٥) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص ص 727- 728.
(٦) وردت قبرص تحت هذا الاسم عند الصيرفي والمقريزي. وعرفها محقق نزهة النفوس عند إيـراد حادثـة النفي بأنها (قبرص). انظر: الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 160، حاشية (4) .
(٧) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1100؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 160.

النتائج

عالجت هذه الدراسة موضوع السجون في مصر في العصر المملوكي بعد أن عرضت للسجون في الفترات السابقة، فتمت دراسة السجون المملوكية من حيث موقعها، وطريقة بناءها، وأنواع المساجين فيها، كما تم التعرف على أوضاع المساجين فيها، ومن خلال ذلك تم استخلاص النتائج التالية:

1- وجود علاقة واضحة بين اتساع الدولة الإسلامية وبين ازدياد الحاجة إلى وجود السجون وتعدد مواقعها.

2- الارتباط الكبير والواضح بين مواقع السجون، وتصميم بنائها خلال فترات ثلاث وهي: الفاطمية والأيوبية والمملوكية، فتشابه المماليك مع الفاطميين في اتخاذ السجون مفردة البناء، كما أنهم ورثوها وتشابهوا مع الأيوبيين في اتخاذ السجون المفردة وسجون القلاع، واستخدموها بعد أن آل إليهم حكم مصر.

3- إن معظم السجون المملوكية تركزت داخل القاهرة.

4- ذاعت شهرة السجون المفردة البناء واكتظت بالمساجين، كسجن خزانة شمائل، وسجن المقشرة. واستخدمت لسجن أرباب الجرائم، فوسمت بهذا الاسم تمييزاً لها عن السجون السياسية.

5- تميز العصر المملوكي بنوع خاص من السجون وهو سجون الجباب.

6- استخدمت مرافق قلعة الجبل بالإضافة إلى السجن الرئيسي، والجباب، وسجن خزانة الخاص في سجن الخاصة، وإن تميز الجب في التضييق، وخزانة الخاص في استيعاب أعداد كبيرة من المساجين.

7- تميز سجن الإسكندرية (برج أو أبراج الإسكندرية) باستيعاب أعداد كبيرة من المساجين من الأمراء، وفي هذا تحقيق رغبة السلاطين في إبعاد هؤلاء الأمراء.

8- انتشار ظاهرة الترسيم، واتساع وتنوع السلطات المشرفة على السجون الخاصة ومواقع الترسيم. بالإضافة إلى الصلاحيات الواسعة لموظفي الدولة في اتخاذ السجون الخاصة، ومواقع الترسيم، وفي إجراءات الحراسة، وفي معاقبة المرسم عليهم لأغراض مصادرتهم.

9- إن تبعية السجون اختلفت وذلك تبعاً لتنوع هذه السجون، فكانت السجون المفردة البناء تحت إشراف الوالي، في حين كانت السجون المرفقة بمنشآت الدولة كسجن قلعة الجبل تخضع لإشراف نائب القلعة ونقيب القلعة.

10- تعدد وتباين مصادر الإنفاق على السجون فشملت الأوقاف، والخزانة السلطانية، وصدقات وهبات المقربين من السجناء كما شملت أرباب الديون.

11- تعدد وتباين أشكال الإنفاق على المساجين وشاع في العصر المملوكي ما يعرف باستفكاك المساجين وجاء ذلك بمبادرة من السلاطين.

12- فرضت في العصر المملوكي ضريبة على المساجين تسمى مقرر السجون شملت المساجين بمختلف أنواعهم.

13- انتشار ظاهرة إجبار المساجين على التسول والتي كشفت عن تردي أوضاع المساجين وإهمال الدولة لهم.

14- تأثر السجون بشكل واضح بالأوضاع السياسية في الدولة المملوكية.

15- اتساع عمليات السجن في القضايا السياسية والإدارية بالمقارنة مع القضايا الاجتماعية والفكرية.

16- تدهور الأحوال الصحية للمساجين وانتشار الأوبئة داخل السجون.

17- قدرة المؤرخين في العصر المملوكي على وصف الحالة النفسية للمساجين، وإيرادهم لبعض حوادث الانتحار؛ فشكل ذلك بالنسبة للدراسة مادة تاريخية هامة.

18- التباين في تقديم الخدمات للسجناء خلال العصر المملوكي، وقسمت إلى نوعين: خدمات شاملة قدمت للمساجين من الخاصة، بدءًا من الطعام والكسوة وانتهاءً بالخمر ومجالس اللهو، وخدمات جزئية قدمت للمساجين من العامة اقتصرت على الطعام فقط.

19- شهد العصر المملوكي مناقشة قضايا فقهية هامة داخل السجن مثل مسألة زيارة قبور الأنبياء والصالحين.

20- استخدام المساجين في أعمال السخرة.

21- تنوع وسائل وأدوات تعذيب المساجين وارتباطها بعقوبة السجن، بالإضافة إلى إشراف السلاطين عليها مثل حادثة تسمير ابن العرام.

22- اتساع عمليات النفي خلال العصر المملوكي وتعدد الخيارات أمام السلاطين وشيوع ظاهرة نفي السلاطين وأسرهم إلى القسطنطينية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية المخطوطة:

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف، (ت874هـ/ 1469م). **مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة**، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 100، (صورة بالميكروفيلم).

الجزري، شمس الدين أبو عبد الله بن مجد الدين إبراهيم، (ت739هـ/ 1338م). **حوادث الزمان**، نسخة عن مخطوطة غوتا رقم 1560، ملك د. نعمان جبران.

ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر الحلبي، (ت779هـ/ 1237م). **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، ج1، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم: 533.

الحلاق، محمد بن يوسف، (عاش في سنة 1173هـ/ 1760م). **تحفة الأحباب بمن ولي مصر من الملوك والنواب**، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ، رقم: 9.

الخالدي، بهاء الدين محمد بن لطف العمري، (من أعيان القرن 9هـ/ 14م). **المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الإنشاء**، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم: 1027.

الشجاعي، شمس الدين، (ت في القرن 9هـ/ 14م). **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده**، المصدر: ألمانيا، برلين، رقم 248، ملك د. محمد خريسات.

الصديقي البكري، أبو السرور بن محمد بن علي بن عبد الرحمن، (ت 1007هـ/ 1598م). **قطف الأزهار من الخطط والآثار**، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم: 34.

.... **النزهة الزكية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية**، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم: 9.

ثانيا:المصادر العربية المطبوعة:

القران الكريم

ابن الأخوة القرشي، محمد بن محمد بن أحمد، (ت 729هـ/ 1329م). **معالم القربه في أحكام الحسبة**، (تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد المطيعي)، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة، 1976م.

ابن الأزرق، أبو عبد الله، (ت896هـ/ 1490م). **بدائع السلك في طبائع الملك**، 2ج، (تحقيق علي سامي النشار)، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1977.

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي، (ت930هـ/ 1524م). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 5ج، (تحقيق محمد مصطفى)، ج1، ق1، ط2، مصورة عن ط1(1402هـ/ 1982م)، ج1، ق2، ط2، مصورة عن ط1، (1403هـ/ 1982م)، ج2، ط2 مصورة عن ط1 (1404هـ/ 1984م)، ج3، ج4، ج5، ط3، مصورة عن ط2 (1404هـ/1984م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبد الله، (ت 736هـ/ 1325م). **كنز الدرر وجامع الغرر**، الجزء التاسع منه بعنوان: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر. (تحقيق هانس روبرت رويمر، مكتبة الخانجي)، القاهرة 1960م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت 256هـ/ 869 م). **صحيح البخاري**. (اعتنى به أبو صهيب الكرمي)، بيت الأفكار الدولية، الرياض. 1998.

البصروي، علاء الدين يوسف بن أحمد الدمشقي الشافعي، (ت905هـ/ 1499م). **تاريخ البصروي، صفحات مجهولة عن التراث من تاريخ دمشق في عصر المماليك (871هـ/ 904م)**. (تحقيق أكرم حسن العلبي)، دار المأمون للتراث، بيروت، دمشق، 1988.

ابن بطوطة، أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، (ت779هـ/ 1377م). **تحفة النظار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار**، المعروف برحلة ابن بطوطة، ط2، 2ج، (تحقيق علي المنتصر الكتاني)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، 1968، ج2، 1979م .

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت739هـ/1338م). **مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 3ج، (تحقيق علي محمد البجاوي)، دار المعرفة، بيروت، ج1،ج2، 1954م، ج 3، 1955م.

البنداري، قوام الدين الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، (ت642هـ/ 1244م). **سنا البرق الشامي**، مختصر البرق الشامي لعماد الدين الأصفهاني (ت597هـ/ 1200م)، مكتبة الخانجي، مصر 1979م.

بيبرس الدوادار، بدر الدين بن عبد الله المنصوري، (ت725هـ/1352م). **التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة (648هـ -711هـ/1250م - 1311م))**، (نشرة عبد الحميد صالح الحمدان)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.

.... **مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى عام 702هـ**.(تحقيق عبد الحميد صالح حمدان)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت874هـ/ 1469م). **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، 2ج، (تحقيق محمد كمال الدين عز الدين)، عالم الكتب، بيروت، 1990م.

.... **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 16ج، (قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد، (ت393هـ/ 1002م). **الصحاح، تاج اللغة وسر العربية**، 6ج، (تحقيق أحمد عبد الغفور العطار). دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.

ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر، (ت 779هـ/1377م). **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، (تحقيق محمد أمين وسعيد عاشور)، ج1، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1976م، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي، (ت852هـ/ 1449م). **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

.... **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ط2، 9ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

.... **الإصابة في تمييز الصحابة**، 8ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1910م.

ابن حجي الحسباني، شهاب الدين أبو العباس أحمد، (ت816هـ/ 1413م). **الذيل على تاريخ ابن كثير،(تاريخ ابن حجي)**، (تحقيق عمر علي ذياب الشامي)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

الحنبلي، أبو اليمن القاضي مشير الدين الحنبلي، (ت927هـ/ 1521م). **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 2ج، دار الجليل، بيروت، 1973م.

أبو داود، سلميان بن أشعث السجستاني، (ت 275هـ/888 م). **سنن أبي داوود**، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت809هـ/ 1407م). **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، 2 ج، (تحقيق لجنة إحياء التراث العربي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.

الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز، (ت748هـ/ 1374م). **كتاب دول الإسلام**، 2ج، دار المعارف النظامية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1337م.

الرحبي، عبد العزيز بن محمد الحنفي، (ت1184هـ/ 1770م). **فقه الملوك ومفتاح الرّتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج**، 2ج، (تحقيق احمد عبيد الكبيسي)، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1975م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت 1205هـ/ 1790م). **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق عبد العليم الطحاوي)، وزارة الإعلام: الكويت، 1984م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، (ت771هـ/1370م). **معيد النعم ومبيد النقم**، ط2، (تحقيق محمد علي النجار وآخرون)، د.ن، د.م. 1993م.

السخاوي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، (ت902هـ/ 1496م). **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

.... **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 12ق في 6 مج، دار الجيل، بيروت، 1992م.

.... **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، (تحقيق بشار معروف وآخرون)، مؤسسة الرسالة، د.م، 1995م.

السرخسي، شمس الدين، (ت490هـ/ 1096م). **المبسوط**، ط2،31ج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

السيوطي، الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت911هـ/ 2505م). **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، 2ج، دار إحياء الكتب العربية، 1968م.

ابن شاكر الكتبي، محمد بن أحمد بن شاكر، (ت764هـ/ 1363م). **عيون التواريخ**، 21 ج، (تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود)، ج 20، دار الرشيد، بغداد، 1980م، ج21 دار الحرية، بغداد، 1984.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي، (ت665هـ/ 1267م). **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين**، ط2، (نشرة السيد عزت العطار الحسيني)، دار الجيل، بيروت، 1972م.

ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، (ت873هـ/ 1469م). **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، (وضع حواشيه خليل المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.

ابن شاهين الملطي، عبد الباسط بن خليل، (ت920هـ/ 1415م). **نزهة الأساطين في من ولي مصر من السلاطين**، (تحقيق محمد كمال الدين)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م.

ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، (ت684هـ/ 1285م). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشم والجزيرة**، (تحقيق سامي الدهان)، المعهد الفرنسي، دمشق، 1956م.

.... **تاريخ الملك الظاهر**، (باعتناء أحمد حطيط)، مركز الطباعة الحديث، بيروت، 1983م.

صالح بن يحيى، صالح بن يحيى بن صالح بن يحيى، (ت في القرن 9 هـ/ 15م). **تاريخ بيروت وهو أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت**، (تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي وآخرون)، دار المشرق، بيروت، 1986م.

ابن صصري، محمد بن محمد، (ت بعد عام 800هـ/ 1397م). **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، ط2، (تحقيق ونشر وليمز م. بربنر)، مطبعة كاليفورنيا بركلي ولوس انجلوس، 1963م.

الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود، (ت900هـ/ 1494م). **إنباء الهصر بأبناء العصر**، (تحقيق حسن الحبشي)، دار الفكر العربي، د.م، د.ت.

.... **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ زمان**، 3ج، (تحقيق حسن الحبشي)، مطبعة دار الكتاب، القاهرة، ج1، ج2، 1970م، 1971م، ج3، 1973م.

الطبري، محمد بن جرير، (ت310هـ/ 922م). **تاريخ الرسل والملوك**، ط2، 10ج، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، 1967م.

ابن طولون الصالحي، محمد بن علي الدمشقي، (ت953هـ/ 1546م). **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، (تحقيق محمد أحمد دهمان)، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، د. ت.

.... **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 2ج، (تحقيق محمد مصطفى)، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ج1، 1952م، ج2، 1964م.

ابن عبد الظاهر، محيى الدين عبد الله بن رشيد الدين، (692هـ/ 1292م). **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، (تحقيق مراد كامل)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الجمهورية العربية المتحدة، 1961م.

.... **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، (تحقيق عبد العزيز خويطر)، د.ن، الرياض، 1976م.

العسقلاني المصري، شافع بن علي الكاتب، (ت830هـ/ 1260م). **الفضل المأثور في سيرة السلطان المنصور**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي أبو الفلاح، (ت 1098هـ/ 1678م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 8ج، (تحقيق لجنة إحياء التراث العربي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

العيني، محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين، (ت 855هـ/ 1451م). **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، (تحقيق فهيم محمد شلتوت)، دار الكتاب العربي، القاهرة 1966م، 1967م

.... **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 4ج، (تحقيق محمد أمين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، 1987م، ج2، 1988م، ج3، 1989م، ج4، 1992م.

أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين، (ت732هـ/ 1331م). **تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر** (علق عليه ووضح حواشيه محمود ديوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

.... **تقويم البلدان**، (عني بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك ديسلان)، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت 807هـ/ 1404م). **تاريخ ابن الفرات**، (تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين)، المطبعة الأميركانية، بيروت، مج7، 1942م، مج8، 1939م.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، (ت749هـ/ 1349م). **التعريف بالمصطلح الشريف**، (تحقيق محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

.... **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي)، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986م.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي، (ت851هـ/ 1448م). **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 3 ج، (تحقيق عدنان درويش)، المعهد الفرنسي، دمشق 1977.

القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي (ت 648 هـ/ 1250م). **الفروق**، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

القلقشندي، أحمد بن علي، (ت 821هـ/ 428م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 14ج، (ج1، 2، 3، 4، 7، 13،12،11،10، تحقيق نبيل خالد الخطيب)، (ج6، 8، 9، تحقيق يوسف علي الطويل)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، (ت 751هـ/ 1350م). **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية المسمى "الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية"**، (تحقيق محمد حامد الفقي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1953م.

الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي، (ت587هـ/ 1191م). **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط2، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، (ت 774هـ/ 1372م). **البداية والنهاية**، (تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح)، ج14، دار الحديث، القاهرة، 1994م.

الكندي، أبو عمر محمد يوسف، (ت 350 هـ/ 961م). **الولاة وكتاب القضاة**، تهذيب وتصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيّن، بيروت، 1908م.

ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 275هـ/ 888م). **سنن ابن ماجه**، (شرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي)، دار المعرفة، بيروت، 1996م.

مجهول. **خزانة السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها في عصر الأيوبيين والمماليك**، (تحقيق محمد نبيل عبد العزيز)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م.

مجهول، **تاريخ الملك الأشرف قايتباي**. (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

المسعودي، علي بن الحسن، (ت346هـ/ 957م). **التنبيه والإشراف**، (تحقيق عبد الله صادق)، دار الصاوي، القاهرة، 1938م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن أحمد بن علي، (ت845هـ/ 1441م). **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 11 ق في 4ج، (تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، 1972م.

.... **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، 2ج، ج1، طبعة دار التحرير وطبعة بولاق، د.م، 1270هـ، ج2، دار صادر، بيروت، 1978م.

.... **المقفى الكبير**، 8ج، (تحقيق محمد اليعلاوي). دار الغرب العربي، بيروت، 1991م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت711هـ/ 1311م). **لسان العرب،** 15مج، دار صادر، بيروت، د.ت.

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 927هـ/ 1520م). **الدارس في تاريخ المدارس،** (أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب، (ت733هـ/ 1332م). **نهاية الأرب في فنون الأدب،** 31 ج، ج 27 ، (تحقيق سعيد عاشور)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ج29، (تحقيق محمد ضياء الدين الريس)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر1992م، ج30، (تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة)، مركز تحقيق التراث، القاهرة 1990م، ج31، (تحقيق السيد الباز العريني)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ/ 1297م). **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،** 5ج، ج1، ج2،ج3، (تحقيق جمال الدين الشيال)، ج4،ج5، (تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور)، د.ن، د.م، 1980م.

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، (ت749هـ/ 1349م). **تاريخ ابن الوردي،** جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، (ت768هـ). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،** (وضع حواشيه خليل منصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبيد الله ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ/ 1228م). **معجم البلدان،** 5ج، دار صادر، بيروت، 1995م.

أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم، (ت183هـ/ 799م). **كتاب الخراج،** دار المعرفة، بيروت، 1990م.

اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، (ت759هـ/ 1358م). **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، (تحقيق أحمد حطيط)، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (726هـ/ 1326م). **ذيل مرآة الزمان**، 4ج، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ج1، 1954م ، ج2، 1955م.

ثالثا: المراجع العربية الحديثة:

أحمد، أحمد عبد الرزاق، (1979). **البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الإمام، رشاد، (1976م). **مدينة القدس في العصر الوسيط**. تونس: الدار التونسية.

البخيت، محمد عدنان، (1976م). **مملكة الكرك في العهد المملوكي**. ماحص: د.ن.

البستاني، بطرس. **دائرة المعارف**، دار المعرفة، بيروت: د. ت.

البغدادي، محمد أحمد، (1997م). **السجون في مصر من الفتح الإسلامي إلى الحكم العثماني**. دار النهضة العربية، د.م.

البقلي، محمد قنديل، (1893م). **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التميمي، أيمن سليمان، (1997م). **السجون في العصر العباسي (132-334هـ/750-945م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

جبران، نعمان محمود، (2000م). **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. اربد: مؤسسة حمادة.

حجي، حياة ناصر، (1984). **أحوال العامة في دولة المماليك (678- 784هـ/ 1279-1382م)**. دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الكويت: شركة كاظمة.

الحصري، أحمد،(1993م). **السياسة الجزائية في فقه العقوبات الإسلامي المقارن**. بيروت: دار الجيل.

حطيط، أحمد، (2003م). **قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضري**. بيروت: دار الفرات.

الحياري، مصطفى، (1977م). **الإمارة الطائية في البلاد الشامية**. عمان: وزارة الثقافة والشباب.

خرابشة، سليمان عبد العبدالله، (1993م). **نيابة طرابلس في العصر المملوكي**، لجنة تاريخ بلاد الشام، (الجامعة الأردنية / جامعة اليرموك)، عمان / اربد، 1993م.

الدرة، محمد علي طه، (د.ت). **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**. 6 مج، ج11و ج12، (دمشق، بيروت): دار الحكمة.

دهمان، محمد أحمد، (1990م). **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**. دمشق: دار الفكر.

رمضان، هويدا عبد العظيم، (1994م). **المجتمع في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي إلى العصر الفاطمي**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

زقلمة، أنور، (1995م). **المماليك في مصر**. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الزيدي، مفيد، (2003م). **موسوعة التاريخ الإسلامي**. عمان: دار أسامة.

سالم، السيد عبد العزيز، (1982م). **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي.** الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

سعيد، إبراهيم حسن، (1983م). **البحرية في عصر سلاطين المماليك.** القاهرة: دار المعارف.

سليم، محمود رزق، (1965م). **عصر سلاطين المماليك.** 8 مج، القاهرة: مكتبة الآداب.

سليمان، عبد الحميد حامد، (1995م). **الموانئ المصرية في العصر العثماني.** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشربيني، البيومي إسماعيل، (1997م). **مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية.** 2 مج، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شعث، شوقي. (د.ت). **حلب تاريخها ومعالمها التاريخية.** حلب: جامعة حلب.

صدقي، عبد الرحيم. (1986م).**علم العقاب، العقوبة على ضوء العلم الحديث في الفكر المصري المقارن.** القاهرة: دار المعارف.

ضومط، أنطوان خليل. (1982م). **الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري.** ط2، بيروت: دار الحداثة.

الطراونة، طه ثلجي، (1982م). **مملكة صفد في عهد المماليك.** بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الطرابيلي، عباس، (1997م). **شوارع لها تاريخ، "سياحة في عقل الأمة".** القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

طرخان، إبراهيم علي، (1986م). **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى.** القاهرة: دار الكتاب العربي.

.... (1960م). **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة.** القاهرة: مطبعة لجنة التأليف.

طقوش، محمد سهيل، (1997م). **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام.** بيروت: دار النفائس.

عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1987م). **بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته**. القاهرة: عالم الكتب.

.... (1982م). **الحركة الصليبية**. ط 4. 2ج، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

.... (1962م). **المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك**. القاهرة: دار النهضة العربية.

.... (1987م). **نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك**. بحث ضمن المجلد الثالث من موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العبادي، أحمد مختار، (1982م). **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

.... (1995م). **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. بيروت: دار النهضة العربية.

عبده، قاسم، وعلي السيد، (د.ت). **الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري**. القاهرة: عين للدراسات والبحوث.

العريني، السيد الباز. (1976م). **المماليك**، القاهرة: دار النهضة العربية.

علاء طه، علاء طه رزق حسين، (2002م). **السجون والعقوبات في مصر " عصر سلاطين المماليك**". القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاستراتيجية.

العلبي، أكرم حسن، (1982م). **دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين**. دمشق: الشركة المتحدة للطباعة والنشر.

علي، علي السيد. (1986م). **القدس في العصر المملوكي** القاهرة: دار الفكر.

غوانمة، يوسف حسن درويش، (1980م). **إمارة الكرك الأيوبية**. ط2. عمان: دار الفكر.

.... (1979م). **تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم السياسي)**، عمان: وزارة الثقافة والشباب.

الكبيسي، محمد عبيد، (1977م). **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية**. 2ج، بغداد: مطبعة الإرشاد، ،

الكتاني، محمد عبد الحي، (1990م). **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**. 2ج، بيروت: دار الأرقم.

ماجد، عبد المنعم، (1973م). **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى**. ط3. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

.... (1976م). **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**. ط2. 8 مج، مصر: مكتبة الانجلو مصرية.

مبارك، علي باشا، (1980م). **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**. 5 ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، ج1،ج2، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية الصادرة عام 1969، ج3، طبعة مصوره عن الطبعة الثانية الصادرة عام 1970م، ج4، ج5، طبعه مصورة عن طبعة بولاق عام 1305م.

محمد، محمد كمال السيد، (1986م). **أسماء ومسميات من تاريخ مصر**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مصيلحي، فتحي محمد، (1988م). **تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى**. د. م: دار المدينة المنورة.

الموسوعة الفقهية، (1989م). تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية. 3ج في 10مج. الكويت: مطبعة ذات السلاسل.

نصر الله، سعدون عباس، (1995م). **رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى**. بيروت: دار النهضة العربية.

رابعا : المصادر والمراجع المعربة:

آشتور، آ، (1985م). **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**. (ترجمة عبد الهادي عبلة). دمشق: دار قتيبة.

جومار، إدم فرانسوا، (1988م). **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل**. (ترجمة أيمن فؤاد السيد). مصر: مكتبة الخانجي.

روزنثال، فرانز، (1978م). **مفهوم الحرية في الإسلام**. (ترجمة: معن زياده ورضوان السيد). (بيروت، طرابلس): معهد الإنماء العربي.

ريمون، اندريه، (1994م). **القاهرة تاريخ حاضرة**. (ترجمة لطيف فرج). القاهرة: دار الفكر.

صبره، آدم، (2003م). **الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك 1250- 1517م**. (ترجمة قاسم عبده قاسم). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

لابدوس، إيرا، (1987م). **مدن إسلامية في عهد المماليك**. (ترجمة علي ماضي). بيروت: الأهلية للنشر.

متز، آدم، (1967م). **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. (ترجمة عبد الهادي أبو ريدة). ط4. 2ج، القاهرة: مكتبة الخانجي، وبيروت: دار الكتاب العربي.

موير، وليم، (1995م). **تاريخ دولة المماليك في مصر**. (ترجمة محمود عابدين وسليم حسن). القاهرة: مكتبة مدبولي.

خامساً: المقالات العربية والدوريات:

حجي، حياة ناصر. الأمير قوصون، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، مج 8، ع32، 1988، ص ص 6- 55.

.... الأحوال الداخلية في سلطنة الأشرف شعبان، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، مج 14، ع 3، ص ص 161- 222.

الرحيم، أحمد حسن. السجون في مصر من وجهة نظر تربوية واجتماعيــة، **مجلـــة البحـــوث الاجتماعية والجنائية**، ع1، بغداد ، كانون الأول 1975م، ص ص292-310.

الحمداني، هادي. السجون في الإسلام، **مجلة الأستاذ**، كلية التربية، جامعـــة بغـــداد، مـــج 14، ع201، 1966-1967م، ص ص135-143.

زيادة، محمد مصطفى. السجون في مصر في العصور الوسطى، **مجلة الثقافة**، ع260، كانون الأول 1943م، ع62 كانون الثاني 1944، ع279، آذار، 1944م.

محمود، جمال الدين محمد. السجون بين الأمس واليوم، **مجلة العربي**، ع 200، تموز 1975م.

المنجد، صلاح الدين. أماكن القصاص في دمشق، **مجلة مجمع اللغة العربية**، مـــج 48، ج3، تموز 1973م.

.... سجون بغداد زمن العباسيين، **مجلة الرســـالة**، بغداد، مـــج 13، ع 641، 1945م.

سادساً: المراجع الأجنبية:

Abu Lughod , Janet, (١٩٧١). **cairo ١٠٠١ years of the city victorious**. new jersey: Princeton university press.

Ayallon, D, (١٩٧٩). **the mamluk military society**. London: collected studies.

الملاحق

ملحق1. كتاب وقف السلطان محمد بن قلاون على نفسه وعلى ذريته وعلى بعض وجوه البر والقربات وبخاصة فكاك الأسرى، وخلاص المسجونين.(١)

فهرسة الوثيقة

(1) الفهرسة الشكلية:

رقم الوثيقة:30 محفظة 5

مكان الوثيقة : دار الوثائق القومية (بالقلعة) – مجموع المحكمة الشرعية.

مادة الكتابة: رق

شكل الوثيقة: ملف - دروج من الرق مخيطة

عدد الدروج : 13

متوسط أبعاد الدرج: 62 ×31 سم

حالة الوثيقة: أولها مفقود، وهامشها الأيسر ممزق، ولكن نص كتاب الوقف سليم إلى حد كبير.

(2) الفهرسة الموضوعية:

موضوع التصرف: وقف

التاريخ: 10جمادى الآخرة 724 هـ

المتصرف : السلطان الناصر محمد بن قلاون، وكيله عبد الوهاب بن عبد الكريم

الوقف لصالح: السلطان الناصر محمد بن قلاون وذريته، وفكاك الأسرى، وخلاص المسجونين

المتصرف فيه: 20 سهم من ناحية سرياقوس من أعمال القليوبية وحقوقها

تتضمن الوثيقة 30 / 5 الآتي:

1- نهاية كتاب بيع من أملاك بيت المال المعمور إلى السلطان الناصر محمد بن قلاون، وكيله عبد الوهاب بن عبد الكريم بتاريخ 17 صفر 724هـ، وذلك لجميع أراضي ناحية سرياقوس من أعمال القليوبية وما هو من حقوقها.

---

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج2، ص ص 357- 360.

2-كتاب وقف لعشرين سهماً شائعاً من أربعة وعشرين سهماً شائعاً غير مقسوم من جميع أراضي ناحية سرياقوس وحقوقها، باسم السلطان الناصر محمد بن قلاون، وكيله عبد الوهاب بن عبد الكريم بتاريخ 10 جمادى الآخرة 724هـ.

وهذا الوقف على كل من:

18 سهم على السلطان الناصر محمد وذريته، ثم من بعدهم على وجوه البر.

1 سهم على المنقطعين بمكة والمدينة وتجهيزهم إلى أوطانهم.

1 / 2 سهم على فكاك أسرى المسلمين.

1 / 2 سهم على خلاص المسجونين.

وتحتوي الوثيقة على اسجالات بصحة البيع، واسجالات بصحة الوقف ولزومه، والوثيقة 5/30 أصل، ولكنها نسخة ثانية موثقة فجاء نص تأشيرة القاضي الموثق "شهد عندي بذلك في أصله"، كما جاء على يمين تأشيرة القاضي عبارة "ثاني نسخة".

وحكم بصحة هذا الموقف ولزومه كل من:

(1) محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي، وعلامته "الحمد لله على كل حال"، وذلك بتاريخ 18 رجب 724هـ.

(2) محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الكناني الشافعي، وعلامته "الحمد لله حمدا كثيرا" وذلك بتاريخ 2 شعبان 724هـ.

(3) محمد بن أبي بكر بن عيسى المالكي، وعلامته "الحمد لله وبه أكتفي" وذلك بتاريخ 9 شعبان 724هـ.

ملحق 2. روك نيابة طرابلس ونواحيها سنة 717هـ/1317م[1].

وبعد فإن الله تعالى منذ ملكنا أمور خلقه، وبسط قدرتنا في التصرف في عباده والمطالبة بحقه، وفوض إلينا القيام بنصرة دينه، وفهّمنا أنه تعالى قبض قبل خلق الخلائق قبضتين، فرغّبنا أن نكون من قبضة يمينه، وألقى إلينا مقاليد الممالك، وأقام (الحجّة) علينا بتمكين البسطة وعدم التشاقق في ذلك، ومهد لنا من الأمر ما على غيرنا توعّر، وأعدّ لنا من النصر ما أجرانا فيه على عوايد لطفه، لا عن مرح في الأرض، ولا عن خدّ مصعّر. ألهمنا إعلاء كلمة الإسلام، وإعزاز الحلال وإذلال الحرام، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن لا تختار على الدار الآخرة دار الدنيا، وأن ندور مع الحق حيث دار، ونرغب عن هذه الدار، بما أعده الله للإنسان من حياته في تلك الدار، فلم يزل يقيم للدين شعاراً، ويصقى المنكر ويعلن في النصيحة لله ورسوله ويُسِرِّ إسراراً، ويتتبع أثر منكر يعقّبه، وممطول بحقه يوفيه، ويعلم حق قربه يشيّده، ومخذولاً استظهر عليه الباطل يؤيده، وذا كربة يفرجها، وغريبة فحشاء استطردت بين أزراد الخيل نخرجها، وميتة سيئة تستعظم النفوس زوالها، فيجعلها هباءً منثوراً، وجملة عظيمة أسست على غير التقوى مبانيها فيحطمها كرمنا إذ الجزاء عنها موفوراً.

فاستقصينا ذلك في ممالكنا الشريفة مملكة مملكة، واستطردنا في إبطال كل فاحشة موبقة مهلكة، فعفّينا من ذلك بالديار المصرية ما شاع خبره، وظهر بين الأنام أثره، وطبقت محاسنه الآفاق، ولهجت به ألسنة الرعايا والرفاق، من مكوس أبطلناها، و جهات سوء عطّلناها، ومظالم رددناها إلى أهلها، وظلّمة زجرناها عن ظلمها وغيها، وبواق سامحنا بها وسمحنا، وطلبات خففنا عن العباد تركها وأرحنا، ومعروف أقمنا دعائمه، وبيوت لله عز وجل أثرنا منها كل نائبة، ثم بثثنا ذلك في سائر الممالك الشامية المحروسة، وجنينا النصر من شجرات العدل التي هي بيد يقظتنا مغروسة.

ولما اتصل بعلومنا الشريفة أن بالمملكة الطرابلسية آثار سوء ليست في غيرها، ومواطن فسق لا يقدر غيرنا على دفع ضررها وضيرها، ومظان آثام يجد الشيطان فيها مجالاً فسيحاً، وقرى لا يوجد بها من (كان) إسلامه مقبولاً، ولا مَن (كان) دينه صحيحاً، وخموراً يُتظاهر بها، ويتصل سبب الكبائر بسببها، وتشاع في الخلائق مجهراً، وتباع على رؤوس الأشهاد فلا يوجد

---

(١) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص ص 938- 941؛ النويري: نهاية الأرب، ج3، ص ص 105- 113.

لهذا المنكر منكراً، ويحتج في ذلك بمقرِّرات سحت لا تجدى نفعاً، وتبقى بين يد آخذها كأنها حية تسعى.

ومما أنهى إلينا بها حانة عبّر عنها بالأفراح، قد تطاير شررها وتفاقم ضررها، وجوهر فيها بالمعاصي، وآذنت لولا حلم الله و إمهاله بزلزلة الصيّاصى وغذت لأولى الأهوية مجمعا، ولذوي الفساد مربعاً ومرتعا، يتظاهر فيها بما أمر بستره من القاذورات، ويؤتى ما يجب تجنبه من المحذورات، ويسترسل في الانشراح فيها ما يؤدي إلى غضب الجبار، وتتهافت النفوس بها كالفراش على الإقتحام في النار، **ومنها أن السجون إذا سجن بها أحد يجمع عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أفرج عنه ولو في يومه انقلب إلى أهله من الخسارة أسوأ منقلب، فهو لا يجد سروراً بفرجه، ولا يجد عقبى مخرجه**. ومنها أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سكانها يعرفون بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلباً، و لا خالط لهم لبًّا، و لا أظهروا له بينهم شعاراً ، ولا أقاموا له مناراً، بل يخالفون أحكامه ويجهلون حلاله وحرامه، ويخلطون ذبائحهم بذبائح المسلمين ومقابرهم بمقابر أهل الدين، وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعاً، ورجوعهم فيه إلى سوا السبيل أصلاً وفرعاً.

فعند ذلك رغبنا أن نفعل في هذه الأمور ما يبقى ذكره مفخرة على ممر الأيام وتدوم بهجته بدوام دولة الإسلام، ونمحو به في أيامنا الشريفة ما كان على غيرها عاراً ونسترجع للحق من الباطل ثوباً لطالما كان لديه معاراً. وثبت في سبق دولتنا الشريفة عوارف لا تزال مع الزمن تذكر ، ويتلو على الأسماع قوله تعالى: "**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر**".

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوى السلطاني الملكي الناصري، ولا زال بالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً وزاجراً، ولامتثال أوامر الله مسارعاً ومبادراً، أن يبطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره، وهو:

جهات الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجاً عما لعله يستقر من ضمان الفرح الحر وتقديرها سبعون ألف درهم.

السجون بالمملكة الطرابلسية خارجاً من سجن طرابلس، بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ، وتقديرها عشرة آلاف درهم.

سجن الأقصاب المحدث ما بين أقصاب الديوان المعمور التي كان فلاحو الكورة بطرابلس يعملون بها، ثم أعفوا عن العمل: وقرر عليهم في السنة تقدير ألفي درهم أقصاباً.

أقصاب الأمراء، بحكم أن بعض الأمراء كانت لهم جهات تزرع الأقصاب، وقرروا على بقية فلاحيهم العمل بها، أو القيام بنظير أجرة العمل؛ وتقدير ذلك ثلاثة آلاف درهم.
عفاية النيابة بكورة طرابلس وانفة والبثرون وما معه، بحكم أن المذكورين كانوا يبيتون على المراكز بالبحر، فلما سدّت المراكز بالعساكر المنصورة، قرّر على كل نفر في السنة ستة دراهم، وتقدير ذلك عشرة آلاف درهم.
حق الديوان بصهيون وبلاطس عما كان يعاني خصبها؛ وتقدير متحصل ذلك ثلاثة آلاف درهم.
هبة البيادر بنواحي الكهف؛ مستجدة مما كان يستأدى عن كل فدان ثلاثة دراهم، وتقدير متحصلة ألف درهم.

ضمان المستغل بطرابلس، مما كان أولا بديوان النيابة بالفتوحات، ثم استقر في الديوان المعمور في شهور سنة ست عشرة وسبعمائة، وتقديره أربعة آلاف درهم.
ما استجد في إقطاعات بعض الأمراء على الفلاحين، ما لم تجر به عادة من حق حشيش وملح وضيافة؛ وتقديره ستة آلاف درهم.

فليبطل ذلك على ممر الأزمنة والدهور، إبطالاً باقياً إلى يوم النشور، لا يطلب ولا يستأدى، ولا يبلغ الشيطان في بقائه مرادا، وليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ويشاع، ويستجلب لنا به الأدعية الصالحة فإنها نعم المتاع.

وأما النصيرية فليعمر في بلادهم بكل قرية مسجد، وليطلق له من أرض القرية المذكورة قطعة أرض تقوم به وبمن يكون فيه للقيام بمصالحه على حسب الكفاية، بحيث يستنيب الجناب العالي الأميري الكبيري العالمي العادلي الزعيمي الكافلي الممهدي المشيدي الذخري الشهابي نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية والحصون المحروسة، ضاعف الله نعمته، من جهته من يثق إليه لإفراد الأراضي المذكورة، وتحديدها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة، وفصلها عن أراضي المقطعين، ويعمل بذلك أوراق، ويخلد بالديوان المعمور حتى لا يبقى لأحد من المقطعين فيها كلام، وينادى في المقطعين وأهل البلاد المذكورة بصورة ما رسمنا به في ذلك.

وكذلك رسمنا أيضاً بمنع النصيرية المذكورين من الخطاب، وأن لا يمكنوا بعد مرسومنا هذا من الخطاب جملة كافية، وتؤخذ الشهادة على أكابرهم ومشايخ قراهم بأن لا يعود أحد إلى التظاهر بالخطاب، ومن تظاهر قوبل أشد مقابلة.

فلتعتمد مراسمنا الشريفة ولا يعدل عن شيء منها. ولتجر المملكة الطرابلسية مجرى بقية الممالك المحروسة في عدم التظاهر بالمنكرات، وتعفية آثار الفواحش وإقامة شعار الدين القويم "**فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، إن الله سميع عليم**".

والاعتماد على الخط الشريف أعلاه إن شاء الله عز وجل، كتب في السابع من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة، حسب المرسوم الشريف، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كبيرا.

ملحق 3. نص مرسوم الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسري الذي أصدره السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في 18 شعبان سنة 690هـ - آب 1291م.[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله على نعمه الكاملة، ومراحمه الشاملة، وعواطفه التي أضحت بها بدور الإسلام بازغة غير آفلة، مواهبه التي تجول وتجود وتحيي رميم الآمال في يومها بعد رمسها بأمسها، في أضيق اللحود، ويقرِّ لها بالفضل كب جحود".

أحمده حمدا يعيد سالف النعم، و يفيد آنف الكرم الذي خص وعم. ونشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة نؤدي حقوقها ونجتنب عقوقها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، المبعوث بمكارم الأخلاق، والموصوف بالعلم والحلم على الإطلاق، صلاة لا تزال عقودها حسنة الانساق، ونسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أحق من عومل بالجميل، وبلغ من مكارم هذه الدولة القاهرة، الرجا والتأميل، من إذا ذكرت أبطال الإسلام، كان أول مذكور. وإذا وصفت الشجعان، كان إمام صف كل شجاع مشهور. وإذا تزينت سماء الملك بأنجم، كان بدرها المنير. وإذا اجتمع ذوو الآراء على امتثال أمر، كان خير مشير، وإذا عدت أوصاف أولى الأمر كان أكبر أمير. كم تجملت المواكب بحلوله بأعلى قدر، وتزينت المراتب منه بأبهى بدر. وهو المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبيري – وذكر ألقابه، (فقال) – البدري بيسري الشمسي الصالحي النجمي الملكي الأشرفي، فهو الموصوف بهذه الأوصاف والمدح، (و) المعروف بهذه المكارم والمنح.

"فلذلك اقتضى حسن الرأي الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي الصلاحي، لا زالت الكُرب في أيامه تُكشَف، والبدور تكتسى في دولته الغراء، إشراقاً ولا تخسف، أن يفرج عنه في هذه الساعة، من غير تأخير، ويمثل بين يدي المقام الأعظم السلطاني بلا استئذان نائب ولا وزير، إن شاء الله تعالى.

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج3، ص ص 215- 216.

ملحق 4

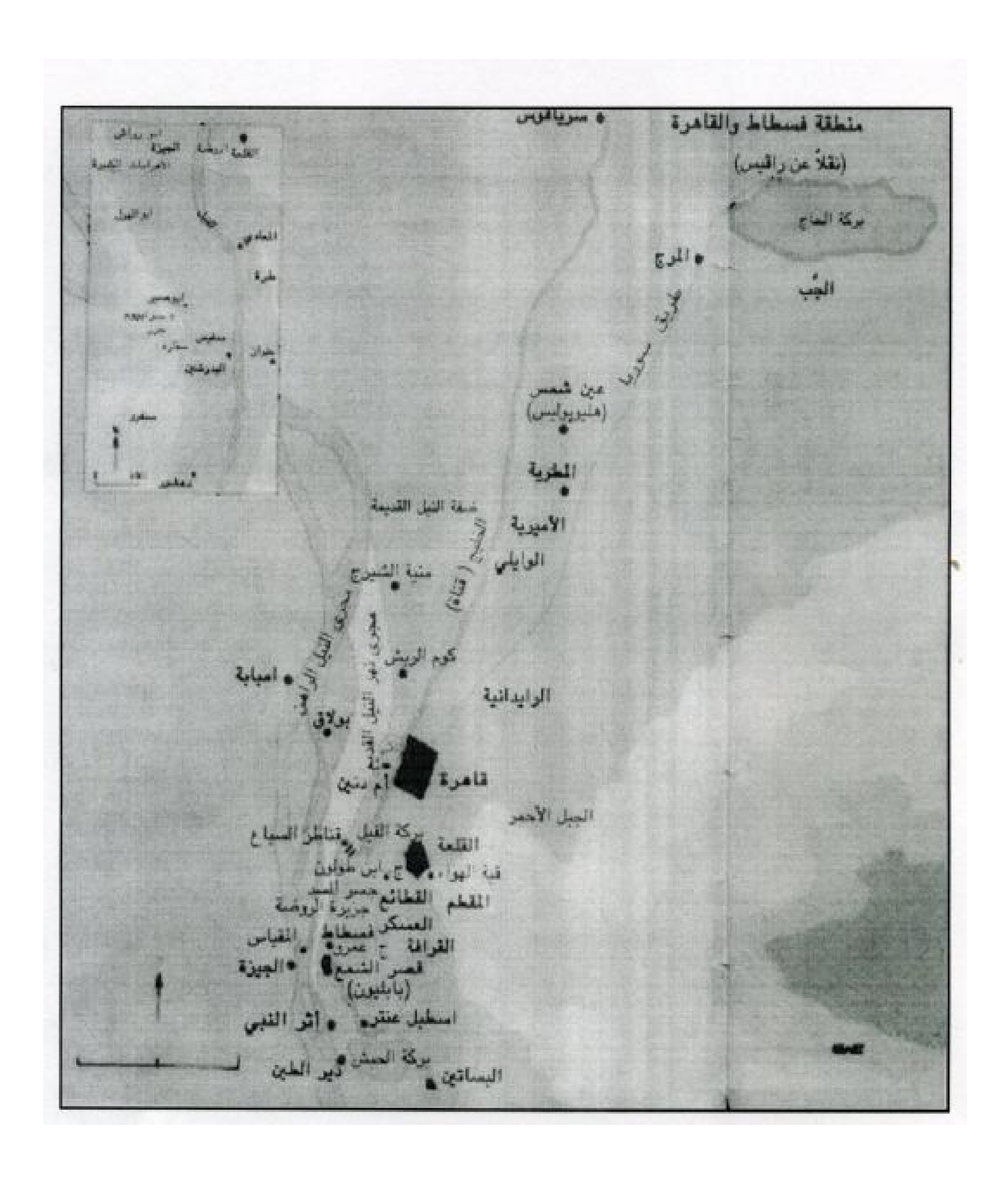


الفسطاط

الفسطاط(١)

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص13.

ملحق 5



الفسطاط والقاهرة(١)

---

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، الغلاف الداخلي رقم (1).

ملحق 6

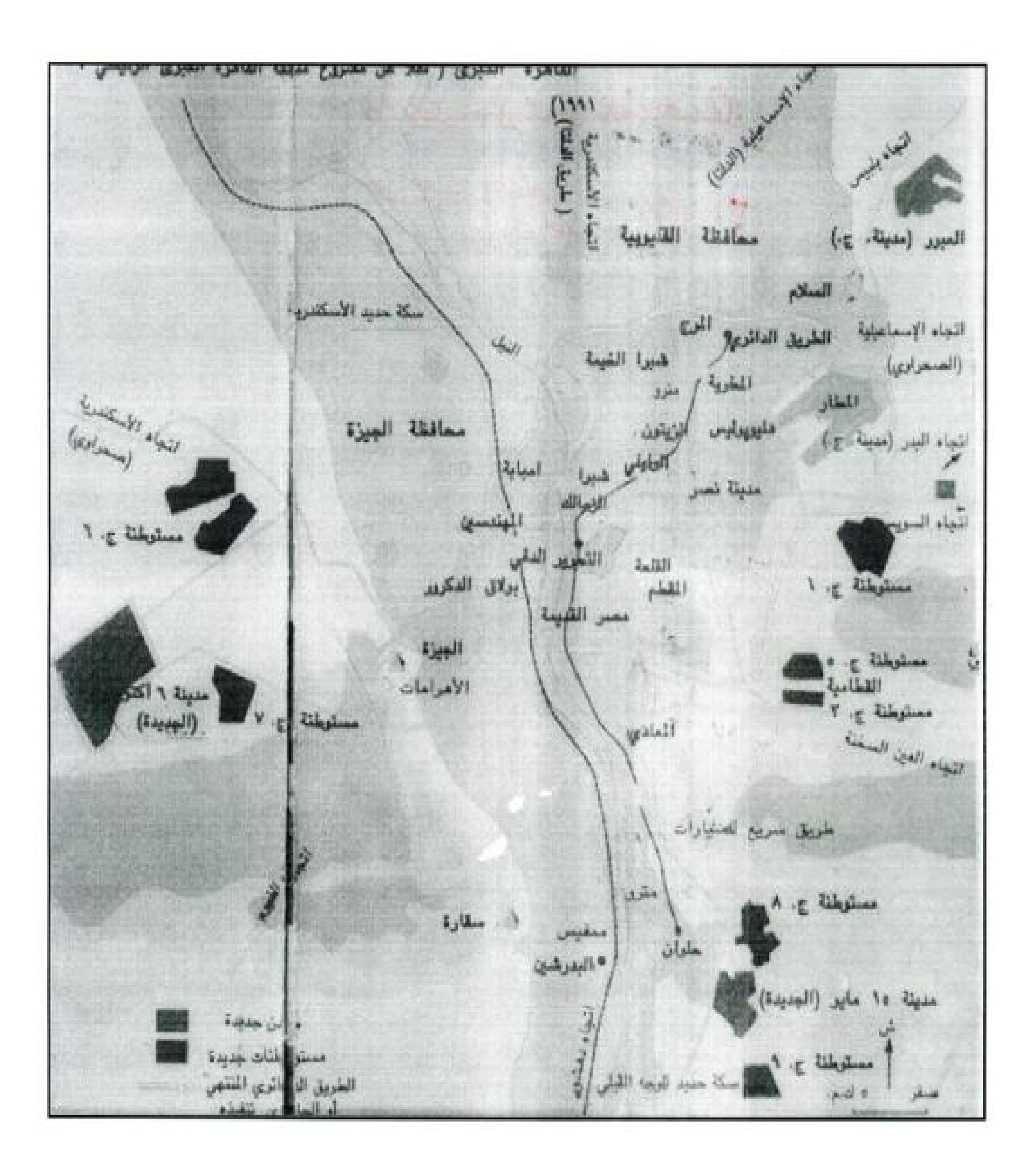


القاهرة الفاطمية [١]

---

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 35.

ملحق 7



القاهرة الكبرى[١]

[١] ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، خريطة الغلاف الداخلي رقم (2).

ملحق 8

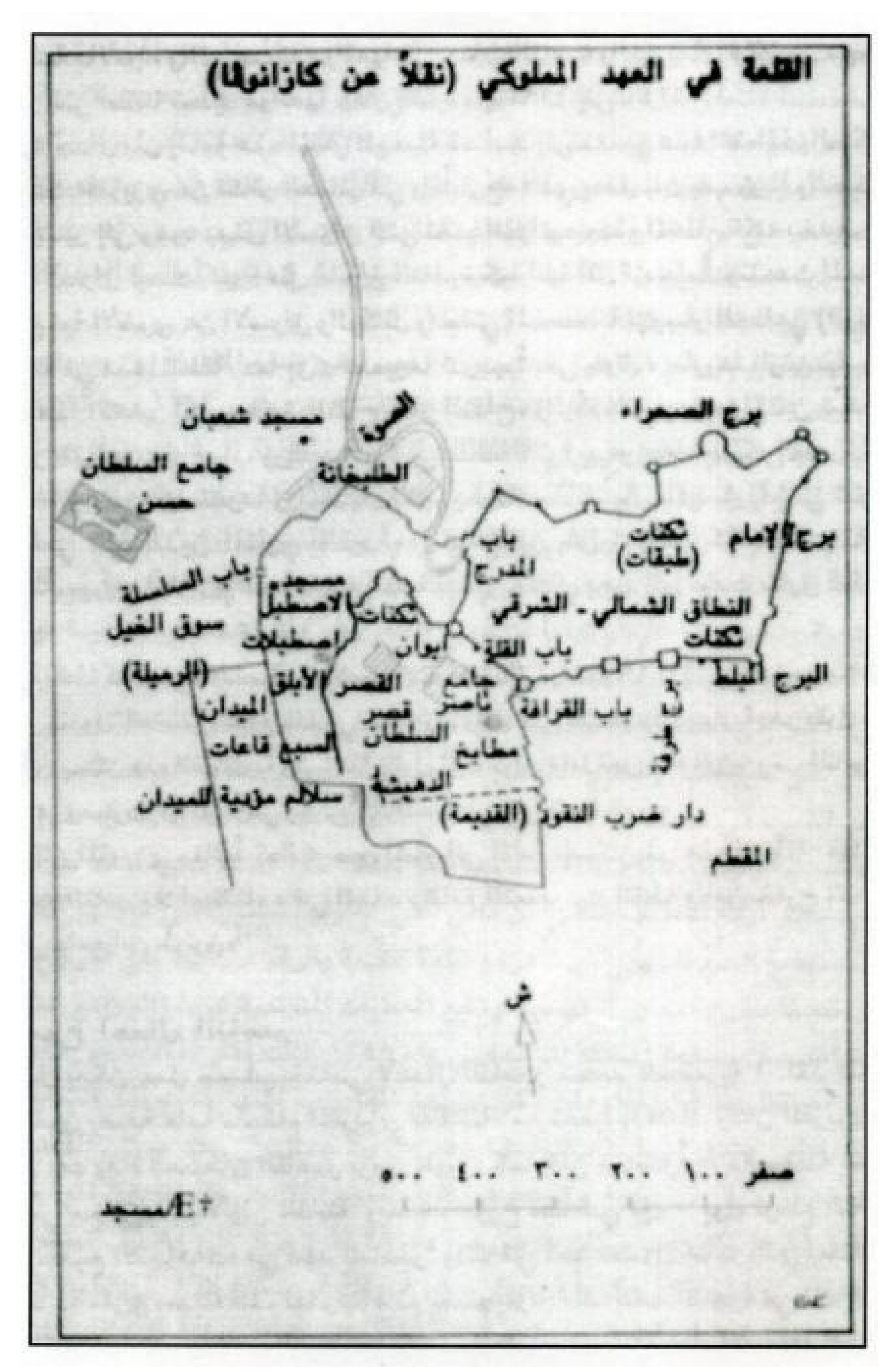


قاهرة صلاح الدين[١]

---

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 81.

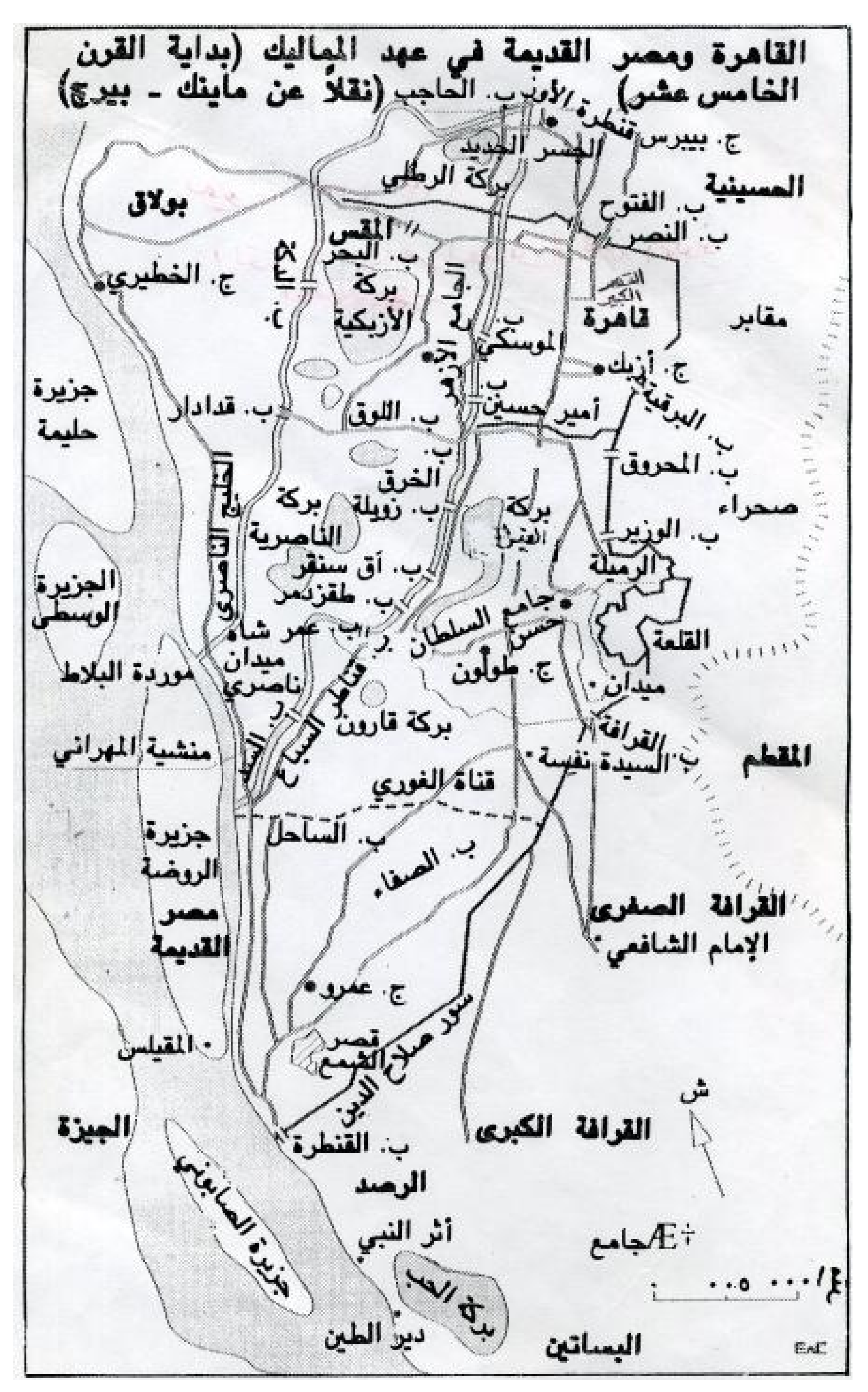
ملحق 9



مخطط القلعة في العصر المملوكي[1]

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 125.

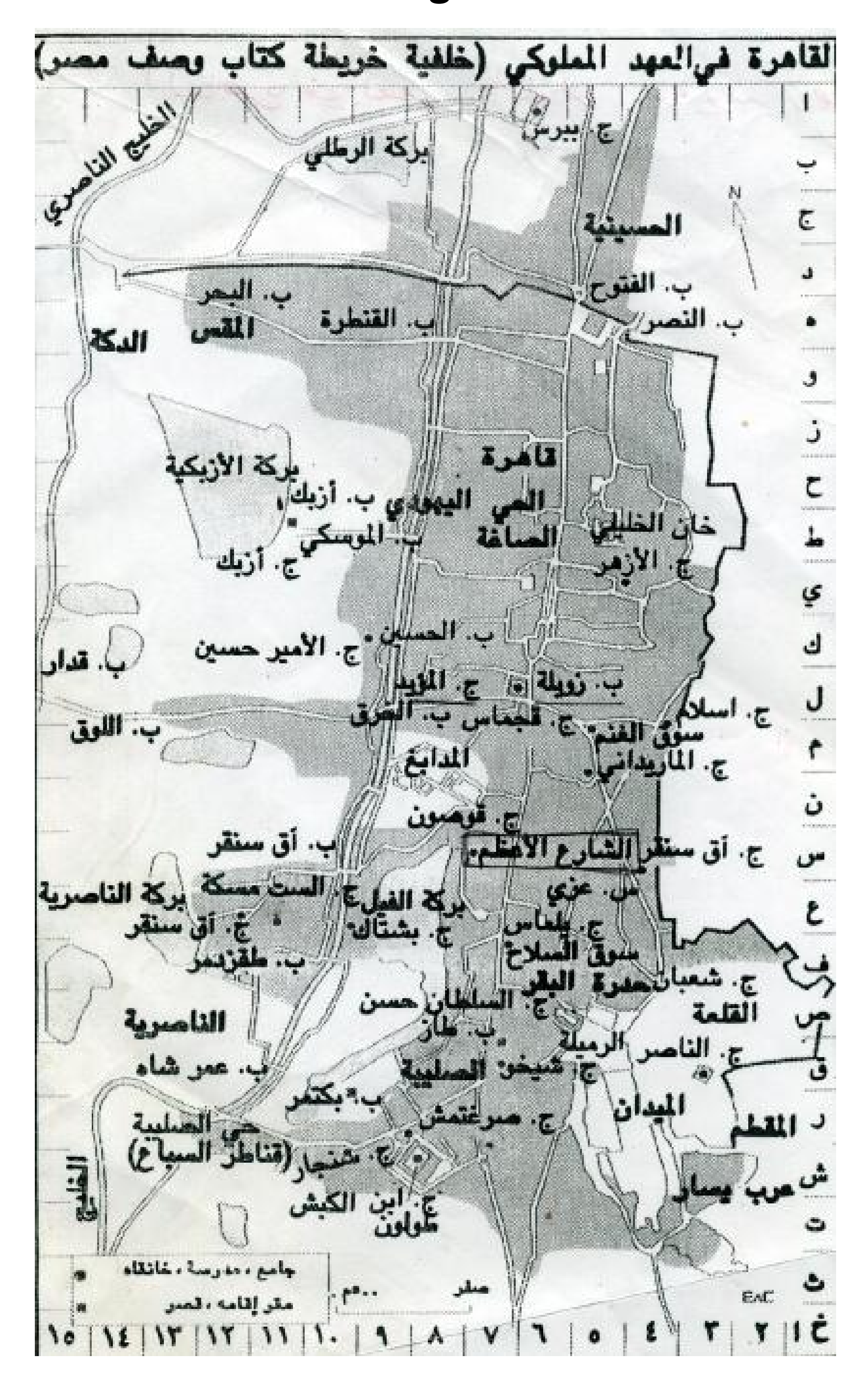
ملحق 10



القاهرة ومصر في العصر المملوكي(١)

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص113.

ملحق 11



القاهرة في العصر المملوكي(١)

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 117.

ملحق 12



القاهرة في العصر العثماني(١)

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 196.

ملحق 15



القاهرة في العصر العثماني(١)

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 196.

ملحق 15

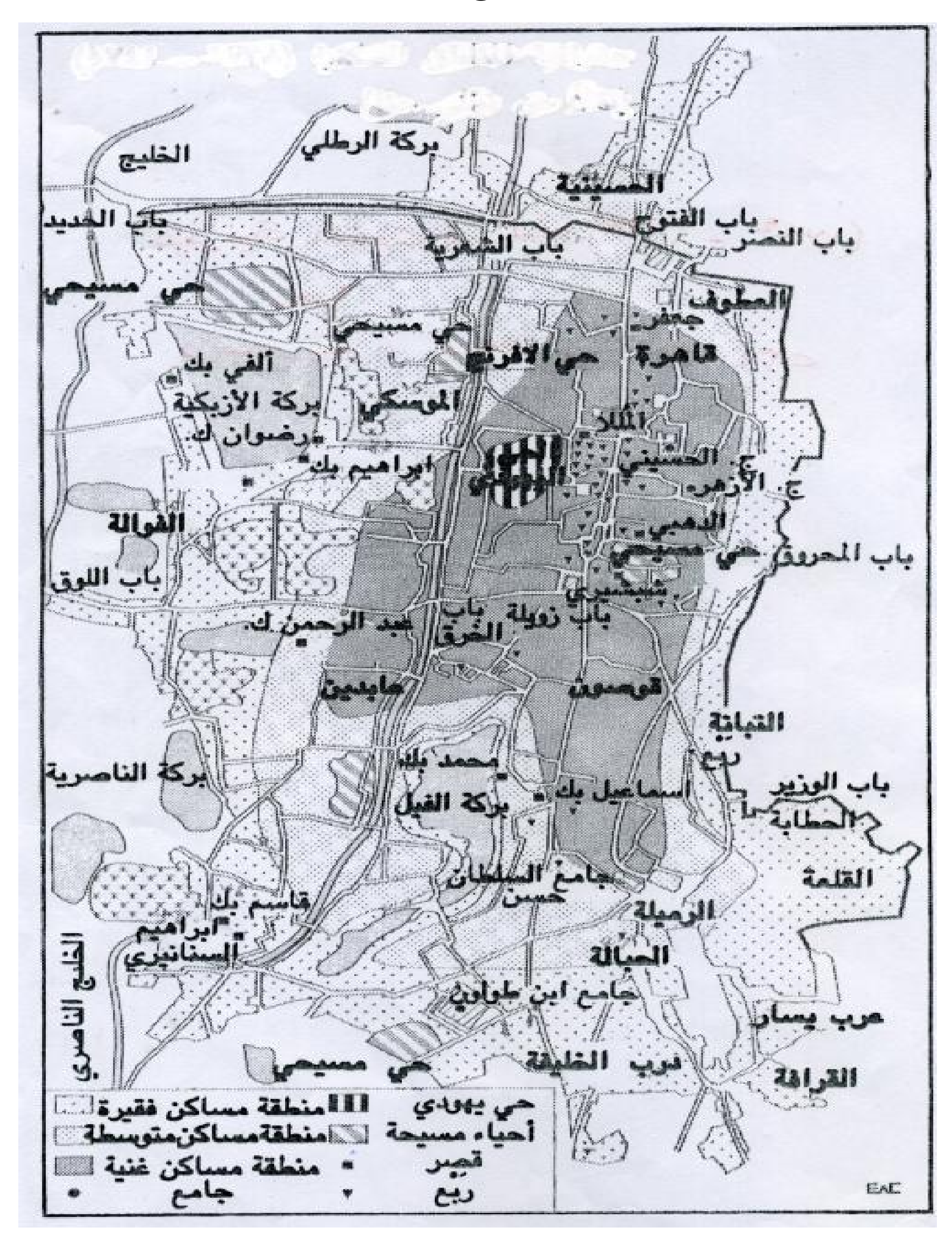


المدينة العثمانية[١]

---

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 223.

ملحق ١٥



جغرافية المناطق السكنية (1738 - 1744) (١)

---

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص 231.

ملحق ١٦



القاهرة في عام 1933[١]

(١) ريمون: القاهرة تاريخ حاضرة، ص277.

Prisons in Egypt During the Mamluk period

(٦٤٨/٩٢٣ AH) (١٢٥٠- ١٥١٧ AD)

By
Hala Nawaf yousef AL- Refa'i

Supervisor
Dr. Mohammad Abdul- Qader Khreisat, Prof.

ABSTRACT

This study investigated the subject of prisons in Egypt During the Mamluk period through an introduction and four chapters. So, the introduction contained a definition for the prison item, and a historical description about prisons, which contained the definition of legislative prison, and the developing of prisons from the profit period until the Mamluk period.

The First chapter investigated the subject of individually building prisons for their site and the types of prisoners within them, and what they faced of destroyed or closed, and the prisons which added with country buildings such as castles prisons, and individual towers, in addition to the special prisons and Al-Tarseem sites.

The second chapter investigated the subject of prisons management, and their internal system, and under this subject, there is a title of prisons management which showed the subjects of management fellow for prisons, and prisons employees, and prisons finance, and through the title of internal systems, the subjects of prisons records were showed, and the processes of prisoners traveling, and the procedures and materials of prisoners controlling, and the process of prisoners abandon, also, the speech about the effect of political and security subject an prisons was done in this chapter.

And the third chapter investigated the prisoners groups in the Mamluk period, through four groups which are: the political, manageterial, social and reasoning prisoners, the subject of political prisoners took the events of Abbasi Khalifa prison, and Mamluk sala'deen, and Ayubi kings and prisoners, and the responsible for revolutions and protests, and the Bedouin of Egypt and sham, and Hijazi princes and yamen governer, in addition the groub of princes and Mamluks (AL- Ajnad). And the study of managerial prisoners subject was done through number of managerial problems such changing, and contracting the judgment, and taking the country money, and this problem connecting with the phenomenon of taking, and the study of social prisoners was done through the fatal and lost problems, and betraying problems. But through the reasoning problems, the research was done in the conditions of At sheikh ibn taymeyah prison.

But the fourth chapter, it takes various subject under the title of "prisoners conditions" so the services presented for prisoners were showed, then the prison environment and diseases spreading with in prisons were described, also, the prisoners psychological status and the self killing accidents with in prisons, and death status with imprison with examples which explain the tomped of some prisoners, in addition to show the phenomena of prisoners asking for money, and using prisoners. Also, showing the fighting events from prisons and the ways of hurting prisoners.

At last it was showed in this chapter, the places of avoidance during the Mamluk period.